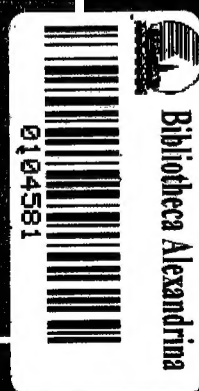
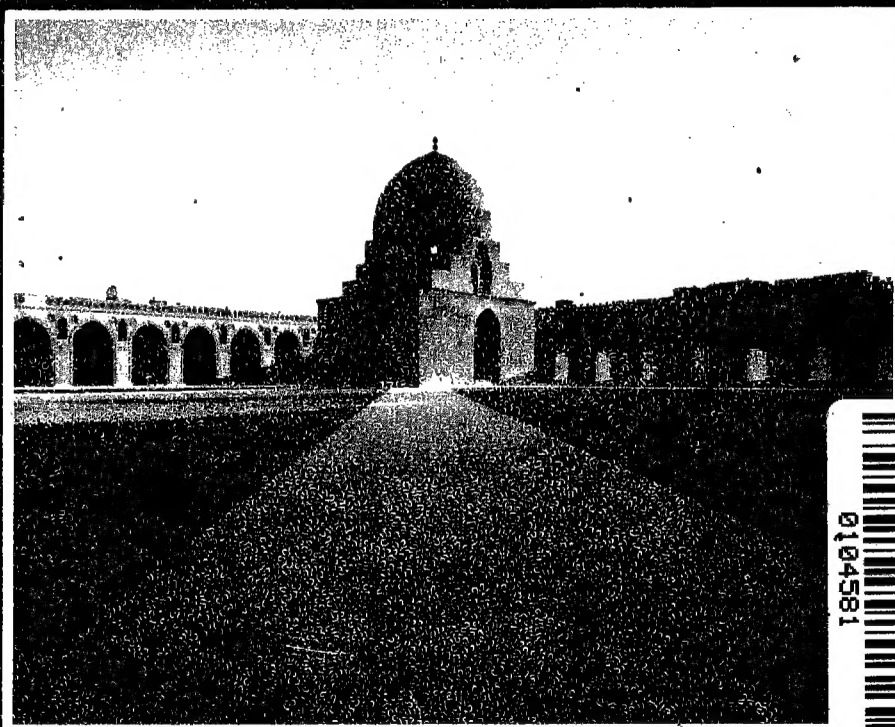


سيرة الحمد ابن طولون

تأليف
أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

حققها وعلق عليها
محمد كرد علي

سيرة

أحمد بن طولون

تأليف

أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها

محمد كرد علي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة - ت ٩٢٢٦٢٠

مقوقر الطبع والنشر محفوظه

للاشر
مكتبة الثقافة العربية
لصاحبها، محمد أنس عبد المجيد
١٤١٤ م، برج المنه القاهرة
٩٢٢٦٢٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الكتاب

المؤلف وتأليفه

اكتفى من ترجوا لمؤلف سيرة ابن طولون بذكر اسمه وأسماء
أجداده واسم قبيلته ، وأشاروا إلى ما غلب عليه من أصناف العلم
والى بعض تأليفه ، والى مذهبه وما طعن عليه فيه . نظر أكثرهم
إليه من ناحية دينه خاصة ، وأغفلوا نواحي مفيدة من دنياه ،
كفعل معظم كتاب السير لا يحفلون بالبحث بأولية الرجل ودراسته
ومشيعته وبيئته ، وما إلى ذلك من العوامل التي لها الأثر الأول
في سر نشأته ، وحصائل قريحته .

وغاية ما عرفنا من نسب البلوي وعلمه ومذهبه أنه أبو محمد
عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني البلوي ، من قبيلة
بلي كعلي ورضي ، وهي فرع من قضاة ينتهي نسبها إلى قطان .
وكانت بلي بالشام فنأدى رجل منها : يال قضاة فبلغ ذلك أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث
قضاة إلى مصر ففرقت بلي بأرضها . ومنازل بلي اليوم في أرجاء الوجه
من بلاد الحجاز ، وقد كان لهم يد بيضاء في فتوح مصر والشام ، وجاء

منهم على الدهر الصحابة والتابعون والعلماء والفصحاء ومنهم عبد الله هذا ، والأرجح أنه كان من بلي الحجاز ، بدليل اقتران لفظ المديني باسم بيته ، نزل أجداده وادي النيل فنشأ مصرياً يتناغى بحب مصر . عرفه ابن النديم في الفهرست بأنه من ألف الكتب للإسماعيلية ، فعرفنا أنه من أعلام الإسماعيلية أي السبعية ، ووصفه بأنه كان واعظاً فقيهاً عالماً ، وأن له من الكتب كتاب الأبواب (وفي رواية كتاب الأنوار) وكتاب المعرفة وكتاب الدين وفرائضه ، وهذا كل ما ذكره له من التأليف . وما زاد الطوسي في فهرسته على عبارة ابن النديم شيئاً ، ونقص منها لفظ « عالم » . وفي تنقيح المقال « ولولا تضعيف النجاشي لاندرج في الحسان ، لعدم الشبهة في كونه إمامياً ، وكون ما في الفهرست مدحاً معتدّاً به له ، ولكن كلام النجاشي أسقطه بالكناية » . والنجاشي هو صاحب كتاب الرجال عند الإمامية وهو ثقته وعمدته . ولم ينص الطوسي على تعديل البلوي ولا على جرحه . وغلا الغضائري فقال فيه انه كذاب وضاع للحديث لا يلتفت الى حديثه ولا يُعبأ به .

ولعل السبب في حمل بعض الإمامية على البلوي ، وعدّه في الضعفاء واتهامه بالكذب والوضع ، ناشئ من إيراد أحاديث لتأييد الدعوة الإسماعيلية فوصموه بأوصموه ، على العادة في تطاعن الفرق في الإسلام والنصرانية . والإمامية والإسماعيلية يختلفون في الإمامة ، فيوافق

الإسماعيلية الإمامية في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق ، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الإمام عند الإمامية ، إلى إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق .

وعرض ابن حجر في لسان الميزان لذكر البلوي ونقل عن الدارقطني أنه يضع الحديث ، وأنه روى عنه أبو عوانة في صحيحه في الاستسقاء خبراً موضوعاً . قال وهو صاحب رحلة الشافعي طوله ونمقها ، وغالب ما أورده فيها مختلف . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال بمثل ذلك وروى عبارة الدارقطني فيه .

وغاية ما أحصي للمؤلف في كتابه هذا ، وهو مما تجلّى به مذهبه الديني أيضاً ، أنه لم يترض في المقدمة عن الصحابة على عادة أهل السنة والجماعة ، واكتفى بالترضي عن آل البيت الطاهرين ، وكان إذا ذكر عمر بن الخطاب ترحم عليه ، وإذا عرض لآل الرسول صلى وسلم عليهم أجمعين . وصيغة صلاته وسلامه على النبي الصيغة التي ألف استعمالها أهل السنة . وأكثر ما رواه من هذا انقبيل منقول عن غيره ، لم يعدل فيه شيئاً . وقد غمز الخوارج مرة لما أشار إلى صدق أحد رجالهم . وفي الجملة ما خالف أهل السنة في شيء مما قال وروى . فكان من هذا النظر إسماعيلياً لا يبعد كثيراً عن هدي الجماعة . ومسافة الخلف بين فرق الشيعة والسنة لم تكن في عصره منفرجة انفراجها في العصور الأخيرة .

ليس لدينا نص يعتمد عليه في السبب الذي حمل البلوي على وضع هذا التأليف . وقد قال في مقدمته انه طُلب منه أن يكتب في سيرة آل طولون كتاباً « يكون أكبر شرحاً وأكمل وصفاً » من كتاب أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية ، وأن الطالب قال له في كتاب ابن الداية في السيرة الطولونية : « ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار » . وليس قوله هذا فيما نرى السبب المهم في وضع كتابه .

قد يرد على الخاطر أن المؤلف شاهد تبديلاً في حال مصر بعد ابن طولون ، فحدثته نفسه أن يضع تأليفاً يخلد فيه مآثره ، ليجعل من سيرته مهمازاً مان يأتى بعده من الولاة والأمرء ، وليتفطنوا لسعة فضل ذاك الآخذ بمخنق الممالك ، والدراكة بترويض الناس على الطاعة . وربما يخطر على البال من جملة التعليقات أن ابن طولون كان يعطف على الإسماعيلية ، أو يستظهر بهم للانتفاع بقوتهم شأن كثير من رجال السياسة يحاولون استخدام كل قوة ، ويوهمون من يخالفونهم أنهم منهم ، إلا أنهم يكتبون إيمانهم ويتقنون الحكمة لا يذكرونها . فعطف البلوي على ابن طولون لعطف هذا على أهل مذهبه ، في زمن قتل فيه الحلاج شر قتلة في بغداد ، وهو صنوؤه وقريبه في مذهبه ، وفي عصر كانت جمعيات الإسماعيلية منتشرة في هذه الأقطار ، يتحفز دعايتها لإنشاء دولة إسماعيلية ، وكان

قيام بني عبيد الفاطميين في إفريقية ثم في مصر آخر تلك الجهود .
 لم تعرف السنة التي وضع فيها البلوي كتابه في آل طولون ،
 والثابت أنه ألفه بعد موت أحمد بن طولون (٥٢٧٠ هـ) وبعد انقراض
 الدولة الطولونية (٢٩٢) وبعد سنة ٣١٢ وفيها وافى مصر الوزير علي
 ابن عيسى بن الجراح ، وقد جرى له ذكر في هذا الكتاب كما
 ذكر فيه الخليفة المقتدر ، والمقتدر قُتل سنة عشرين وثلاثمائة .
 واستتبعنا من رواية المؤلف عن أناس رووا عن ابن الداية أن
 البلوي ألف كتابه في الثلث الثاني من القرن الرابع في أرجح
 الظن ، لأن ابن الداية هلك ، على أقرب الروايات الى الصحة ،
 بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة ، فالكتاب ألف إذاً بعد أكثر من
 ستين سنة مضت على وفاة ابن طولون .

إن ابن الداية روى عن سعد الفرغاني وابن عبدكأن ونسيم
 الخادم وطاهر الكبير الخادم وأبي جعفر المروزي وموسى بن طولون
 ونعت أم ولد أحمد بن طولون وشعيب بن صالح وبراقة الحاسب
 وهارون بن ملول وأحمد بن أبي أوفى وأحمد بن أعين وأحمد بن
 محمد الواسطي وأحمد بن خاقان وأحمد بن دعيم وإبراهيم بن كامل
 وأحمد بن القاسم وعلي بن مهاجر والفارسي والحسن بن واقع ويعقوب
 ابن صالح ومحمد بن عبيد الله الخراساني وعن عمه إسحق بن إبراهيم
 وغيرهم وكلهم من قواد ابن طولون ومن غلمانه أي من رجاله .

وابن الداية أيضاً كتب لآل طولون وعدّ من غلمانهم ، وكانت له بهم خلطة وأنّسة ، وكان لأصالة بيته ، ونُبل محتده ، نفتح له أبواب القصور ، فيطلع على سرّ القوم وجهرهم ، وعلى عجرهم ويجرهم . فتاريخ ابن الداية بهذا الاعتبار ، لو ظفر الباحثون بالأصل السليم منه ، أمتع من تاريخ البلوي ، لأنه كتب عن عيان ومشاهدة ، وتقل عن ثقات عارفين ، وتأليفه نسج يده ، وزبدة تحقيقه . ووضع تاريخ البلوي في عهد خلافه من المؤثرات السياسية في الجملة ، بتغير الزمان وانقراض الدولة ، وانتفاء ما يخشى على المؤرخ فيه من مصانعة من يعاصره أقرب الى السداد والسلامة . وكتابة البلوي سيرة ابن طولون بهذا التطويل المفيد أدنى الى الإحاطة بحال مترجه ، والدولة الطولونية منقطعة ، وصلة الكتائب بها معدومة ، ومذهب المؤرخ غير مذهب من أرّخ له . وللمذاهب تأثير غير قليل في معظم ما كتب من التواريخ في تلك الأيام . أكثر البلوي الاعتذار عن ابن طولون في كل ما صدر عنه من شدة ، وما استطاع في بعض الأخبار النائية عن حد العقل أن يذيلها برأيه فسارع في روايتها ، لئلا يسأله سائل عن رأيه فيها ، كقصّة الجماعة الذين ذكروا ابن طولون في دعوة لهم بما يسوّه ، فألقاهم كلهم في اليم ، في الليلة التي أخذ فيها رقعتين بما قالوه فيه ، واستولى على نعمتهم ، وتفض الدار التي اجتمعوا فيها

من أساسها ، وما طلع النهار إلا وهي رجة مكنوسة مرشوشة !
وكقصه ابن عمار آتى به من سجنه فنصح له أنفع نصيحة في
بقاء سلطانه ، فردّه الى السجن وقال إنه نصحه في دنياه وغشه في
دينه ، وأنه يخاف دهاءه وعقله اذا هو أطلق سبيله ، فمات من
غمه في السجن . وما تقد البلوي ابن طولون حتى في تسرعه بإهلاك
الناس ، يقتل من يقتل بوشاية يرفعها اليه أحد أصحاب أخباره ،
فيغرق في النيل من يغضب عليهم ، أو يلقهم في حفرة يطعمها
عليهم وهم أحياء ، يعجل أبدأ في إنفاذ عقوبته ، لا يرجئها الى
غد يومه ، لينظر إن كان ما اتهم به المتهمون ليس فيه شيء من
الأسباب الخفيفة فيحقن الدماء .

ولم يقل لنا البلوي رأيه في حنق ابن طولون على بكار بن
قتيبة ، قاضي مصر ومن أكبر فقهاء عصره ومحدثيه ، يوم امتنع عن
القول بخلع الموفق ، وخالف القضاة في فتواهم ، وابن طولون يحاول
أن يفتيه قاضيه بما يرضيه ويرضي سياسته . فلما توقف بكار
عن متابعة القضاة في فتواهم سجنه مدة طويلة وعامله أسوأ معاملة ،
أهاناه وسلط عليه الرعاع ، ونسي أو تناسى أنه شيخ كبير وإمام
جليل ، لا ذنب له إلا أنه لم يقل بما قال به قضائه الرسيمون ،
ومن هؤلاء من لا يتوقف عن إغضاب الحق لأرضاء أرباب الدولة
وما ذكر لنا المؤلف قسوة ابن طولون على طبيييه ، وادعاءه

عليهما أنهما قصرًا في علاجه ، فطاف بالأول على جل ناسباً إليه
 الخيانة ، وضربه مقارعاً أوردته حتفه ، وهدد الثاني تهديداً أتى
 على نفسه بعد يوم . وربما يقول البلوي ، هذا صدر عنه وهو في
 حالة غير متزنة ، كان مريضاً وليس على المريض حرج . فيقال له
 عندئذ إن كان ابن طولون متدينًا ندبنا باطنه كظاهرة فسبيله غير
 هذا ، والدينيون يعتقدون أن الموت والحياة بيد الله لا بيد الطبيب ،
 ولا يعقل أن يقصر طبيباه في طبه ، والذنب ذنبه لأنه أبنى أن
 يخضع لما أشارا عليه به من الترتيب .

طريقة البلوي في تاريخه إبراد الحوادث ، وقد يحللها ويعلمها
 أو يصرح برأيه وشعوره أحياناً ، ويروي الأخبار بأسانيداً على
 النحو الذي كان يعمد إليه الرواة وأرباب السير في القرون الأولى .
 والبلوي بليغ يحسن الوصف ، ويؤثر السلاسة ويكتب
 بلا تعمل ، وعبارته خالية من السجع في الجملة ، وفيها ازدواج ولها
 رنة . وكان إذا أراد أخذ بعض ما ورد في كتاب مطول طرح
 الأسجاع أولاً ، ثم أتى على المكررات حتى يأتي تأليفه نسقاً واحداً ،
 لا يبدو فرق كبير بين ما يكتبه ويكتبه غيره .

اقتبس البلوي نحو خمسين قصة من قصص ابن طولون عن ابن
 الداية ذكرها هذا في كتابيه سيرة ابن طولون والمكافأة ، وزاد من عنده
 نحو أربعين قصة أخرى . وما ندري إن كانت زياداته هذه

نُقلت أيضاً في المطول من كتاب ابن الداية ، أو نلقطها البلوي من أماكن أخرى ، ويترجع من نسقها وعبارتها الطلية أنها من بضاعة ابن الداية ، ومعظم الحكايات عن ابن طولون تشهدها في رواية البلوي مفصلة مزيدة زيادات مهمة ، وينقل أول الحكاية من كلام ابن الداية باللفظ والمعنى . وضم المؤلف الى كتابه رسائل ووثائق عديدة لا أثر لها عند ابن الداية وعني بالتوسع في الحكاية فأولى سفره إمتاعاً وإبداعاً . وقد وردت في كتاب البلوي تفاصيل نشأة ابن طولون ، وأخبار حروبه في الثغور ، وأخبار ابنه العباس وغلामه لؤلؤ ، وأخبار مرضه وخلعه الموفق ، على صورة أجمع وأبرع ، ومنها ما خلا منه كتاب ابن الداية كأخبار مرضه ووفاته وجنازته ووصيته وثروته وغير ذلك .

وصدق البلوي فيما ادعاه من محاولته وضع تأليف مطول ، وحقق أمنية من طلب اليه كتاباً أوسع من كتاب ابن الداية ، وساعده على الذهاب بهذا الفضل تأخره في العصر ، وانتفاعه بكتب من تقدمه ، وزاد أنه نفوق بتدسيقه وترتيبه ، وامتاز ببسطه وشرحه . ولعل للبلوي عذراً على سلخ أخبار ابن الداية بمعناها ومبناها ، وزيادته عليها زيادات حببتها الى من ينظر فيها ، وتبدت مهارته في التأليف حتى ليخالها قارئها أنها نسج يد واحدة . فالواقع أن تلك الحكايات كانت من البلوي على طرف الثمام ، ولم ير موجبا

لنسجها نسجاً ثانياً ، وحوك ابن الداية من أجل ما حاك بلغاء العربية .
 هذا وأمثاله مما يعذر عليه ، ولكن من الصعب أن يلتبس له
 عذر في ثقله ما يتقل دون أن يصرح بابن الداية ، فيقول قال
 ابن الداية وأخذت عن ابن الداية ، وهذا ما كان يرجى من عالم
 فقيه واعظ من عياره . ولو فعل لأتى بما يزيد تاريخه وثوقاً ، ولصير
 لكلامه موقعاً أحسن من نفوس العارفين ، بنسبته الفضل لصاحبه .
 ومن بركة الكلام أن يعزى لقائله

وعجيب أن تجازي الطبيعة من يستحق جزاءها اذا خرج
 على قانونها . فقد رأينا البلوي في القرن الرابع استحل ثقل أخبار
 برمتها عن ابن الداية ، سيد كتاب مصر في الدهر الغابر ، دون
 أن يشير الى أبي عذرها ، فاقتضت الطبيعة لابن الداية منه بعد
 أربعة قرون ، سلطت على البلوي المقرزي ، فغزاه في خططه
 وسلخ من كلامه صفحات طويلة في سيرة ابن طولون ، وما أقامه
 من أعمال العمران ، فكانت واحدة بواحدة : غزا البلوي ابن
 الداية ، فسطا المقرزي على البلوي ، وسلط على من جاوز سرقة
 من تقدمه ، من يسرقه بعد زمن ولا يرحمه

أصل المخطوط

أصل هذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق، مسجل في قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢، وكان مدشوتاً فُجع وجُلِّد في أوائل هذا القرن . وهو مما وقفه محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحى الدمشقي المورخ المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، على خزانة المدرسة العمرية بصالحية دمشق، وكتب عليه بخطه أنه ابتاعه بتسعة قروش

ورد اسم الكتاب في أول صفحة هكذا : « كتاب سيرة آل طولون » وجاء الكتاب في سيرة أحمد بن طولون فقط ، وكتب في آخره بخط يخالف خط ناسخه « تمت سيرة احمد بن طولون » والغالب أن الكتاب كان في سيرة آل طولون فضاعت كراريس من آخره ، أو أن المؤلف لم يكمل كتابه كما وعد في المقدمة ، عند إشارته الى تفصيل كتابه على كتاب ابن الداية ، فقال إن هذا « لم يأت بجميع أخباره ولا أخبار أبي الجيش ابنه ، وما كان من جميل أفعاله وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده » . وكتاب البلوي لم يستوف هذه الأخبار كلها ، وكان كلامه مقصوراً على سيرة أحمد بن طولون ، وما جاء من أخبار أولاده جاء بالعرض ، ولأمر كان لها علاقة بأبيهم لا بهم .

وقع هذا المخطوط في ٢٥٣ صفحة منصفة القطع ، وكتب على ورق غليظ بخط أهل القرن الرابع ، عارياً من النقط ومن تاريخ

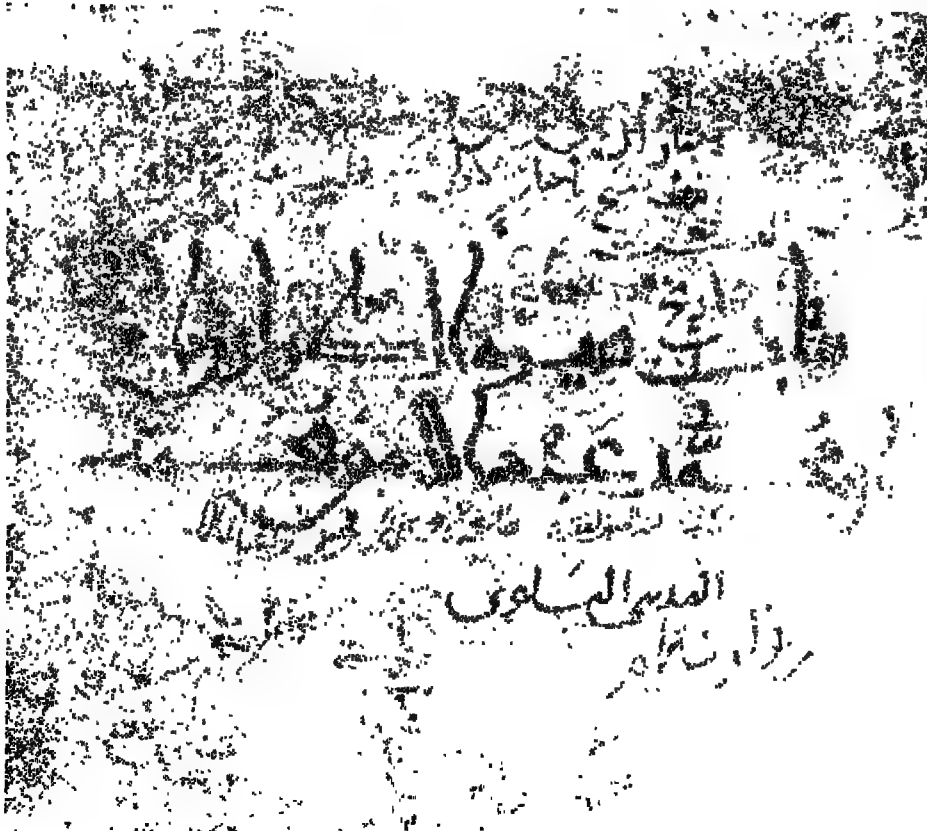
النسخ ، وقد يفلط ناسخه في النحو والتصريف والإيملاء ، وينقل ما لا يفهم ويكرر كلمة سبق له كتابتها فيعيد رسمها في الجملة الواحدة . وقد أصاب المخطوطة بلل طُمست به بعض الكلمات في أول الكتاب ووسطه وآخره ، وأكلت الأرضة رؤوس بعض الصفحات الأخيرة ، ولما رُفع ما ألصق عليها من ورق رُدَّ بعض المطبوس إلى الصحة ، ورُجع في تقويم بعضها إلى أصول نقل عنها المؤلف أو نقل غيره عنه . ومنها ما وضعت له كلمات يقتضيها السياق ، وذلك بشيء من الظن والفرس ، وجعلت الزيادات بين قوسين في السطور المحوطة ، فإذا كان المطبوس نحو كلمتين جعل بدلها تقطعتان ، وإذا كان ثلاثاً وضعت ثلاث وهكذا . أما الشعر فقد هزّعه الناسخ كثيراً فما أمكن رده كله إلى الصحة . خصوصاً ما قيل منه في حادثة خاصة محلية ، ونيسر إرجاع الشعر المعروفة دواوينه إلى نصابه من الصحة .

ولم نر مندوحة من التعليق على الكتاب ، إلا أننا أقللنا منه ما أمكن مجتزئين بما لا غنى عنه ، وصححنا الأغلاط النحوية وغيرها دون أن نشير إلى كل غلطة وقعت ، وإذا كان هناك نص نقل عنه المؤلف نصلح به ما نيسر إصلاحه من نص مؤلفنا ، وقد لا نشير إلى ذلك ، وحللنا بعض الألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية وأضفنا إلى التعليقات ما ظفرنا به مفرقاً في الكتب مما نتم به ترجمة

أحمد بن طولون ، وكان مما فات المؤلف التعرض له .
وقد اغتبطنا ، وحالة مخطوط البلوي على ما ذكرنا ، أن
حسبنا ما سطت عليه الأيام من كلامه جزءاً ضئيلاً ، لا يحول
دون الانتفاع بتأليفه الذي ظل ينتقل في الخزائن ألف سنة حتى
كُتب لابن هذا الجيل أن يخرج للناس مطبوعاً ، وقد أشرف
على البلى ، فحيي بذلك اسم مؤلفه وكاد ينسى لنهاب بقية تأليفه .
لا جرم أن في نشر كتاب البلوي إحياء مادة جديدة في
تاريخ مصر والشام ، ولوناً طريقاً من أدب عصره الجليل فيه حلاوة
وطلاوة ، وألفاظاً فصيحة ومعربة في شؤون الحياة كانت مألوفاً
في زمن المؤلف ونحن في حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص
واقعية على مثال قصص الصُولي والقاضي التنوخي ، تدل على كياسة
ابن طولون وسياسته ، وتفيد القارئ من حكمته وحسنته ، فيها
متعة للنفس وسلوى ، وصورة صادقة من صور ذاك المجتمع .
وقد حافظنا على متن الكتاب ، وترجمنا في الهامش لكل فصل
ولكل قصة ، وختمناه بفهرس للأعلام والبلدان ، وبجريدة بأسماء
المصادر التي رجعنا إليها في التصحيح ، وقد راعينا فيه الأمانة
ما وسعتنا المراجعة

وحاولنا العثور على نسخة ثانية من هذا التأليف لتعارض عليها
هذه النسخة الوحيدة ، وسألنا بعض أصحابنا المستعربين من

علماء المشرقيات في الشرق والغرب ، فكتب الينا صديقنا العلامة
كرنكو Krenkow يقول إنه لم يعرف في الدنيا نسخة ثانية له
ولاشيئاً من أخباره سوى ما في الكتب التي ذكرناها له . وهذا عذرنا
في إبقاء بعض ما توقفنا فيه من عبارات المؤلف بحاله من السقم
والنقص ، وعسى أن يكشف للباحثين وجه الصواب فيما لم يظهر
لنا بعد بذل الجهد .



راموز طرة الأصل المخطوط

...

أحمد بن طولون بنصير البلوي

صوّر البلوي أحمد بن طولون صورة جميلة ، وخلع عليه من الثناء ثوباً فضفاضاً . صوّر ذكائه وقوة ملاحظته ، ورسم فراسته وسياسته ، وعدله ورحمته ، وصدقائه ومكآرمه ، معجباً بكل ما أتاه ، عاذراً له على ما قدمت يداه ، لم ينتقده في شيء مما قص من أخباره . ونسب كل ما وقع له من موت عدو ، وتبديل في مجرى أحوال الدولة ، أو غير ذلك من المصادفات ، الى الإقبال الذي عرف به طالعه ، والحظ الذي « حسن قبيحه وأصلح رديئه » . والبلوي يعتقد بالإقبال كثيراً ، يقيم للطالع والنجوم والمنامات والكرامات وزناً على ما كان أهل عصره .

والمعقول أن ليس هناك إقبال ولا بخت ، والعامل في توفيق ابن طولون تربية صالحة ، كانت من أرقى ما عُرف في دهره ، وذكاء نادر تفرد به دون أبناء جنسه . نشأ في أشرف عصور بغداد جندياً مطبوعاً على أجمل صفات الجندي الشريف ، ولقن في بيته وهو طفل أموراً أفادته في حياته . وحفظ القرآن وجوّدده ، وفصح بالعربية فعدّ من فصحاء رجال السياسة بلسانه وقلمه ، وأخذ عن المحدثين قطعة صالحة من العلم ، ورزق صوتاً جميلاً وأتقن الموسيقى ، ونظم الشعر بالتركية لغة أبيه وأمه .

وتأفف في عُنْفوان شبابه من الظلم الذي يأتيه الأتراك في

عاصمة الخلافة فأثر الهجرة إلى طَرَسُوس من مدن الثغور ، وكانت يومئذ مَقِيل القراء والعلماء والزهاد ، فتخرج بهم وتُأدب بآدابهم ، وانصرف الى العبادة حتى كان يخشى أن لا تصادف أعمال السلطان موقعاً من قلبه لانصرافه إلى أمور الدين . ولما عُهد إليه منصب الولاية في مصر نيابةً عن باكباك من وزراء العباسيين تجلّى نبوغه بأجلى مظاهره ، وثبت غرامه بحسن التدبير والنظام ، واستبان طموحه وثقته بنفسه . ومن حسن حظه أن كانت ولايته على مصر ، ومصر من طبيعتها أن تُغري من ينزلها بالتوطن فيها ، وأن تدمج فيها غيرها ولا تندمج . ها . ومن العسير على بغداد أن تحكم مصر مباشرة للبعد الباعد . مصر وسط رمالها يتعذر الوصول إليها من البر ومن البحر . وطبيعة القطرين متخالفة ، وبلاد الرافدين يومئذ مشغولة بفتنة عظيمة كادت تودي ببني العباس ، وهي فتنة الزنج في البصرة . ومما ساعد ابن طولون على التوفيق في حكم مصر أن كان في طباع أهلها من الاتقياء من يعتقدون فيه الإخلاص لهم ، والحرص على إسعادهم ، ما ظهر أثره في الدول السالفة والخالفة . وفي هواء مصر وتربتها خصائص نطلق عليها اليوم اسم « الإقليمية والقبلية » . ومصر إلى هذا تعتقد بالأمر الواقع إذا كانت حسنة راعيها أكثر من سيئاته ارتضته وتبنته ، وسأيرته في السبيل التي يُزجها فيها .

أول ما فكر فيه أحمد بن طولون لما هبط مصر أن يبعد القوضى

عن أحكامها وترتيبها ، فوضع لها قواعد فرض عليها العمل بها ، فأفلح في ولايته ، وارتاحت رعيته . نظر إلى خصب تربتها وسهولة العيش فيها ، وإلى تدني خراجها ، بعد أن كان يوفرته مضرب الأمثال عند العرب ، فأصلح ، برأيه المسدّد ، الريّ والصرف والجسور والطرق والترع ، وأسقط ضريبة المعاونة وغيرها من الضرائب ، واكتفى بالخراج والمكوس ، فبلغت عبدة خراجها أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، عدا المكوس التي تجبي في الموالي والحدود ، ذلك بعد أن انحط خراجها إلى ثمانمائة ألف دينار ، وما كانت تجبي إلا بشيء من العسف .

هذا هو سر نجاح ابن طولون في حكم مصر ، لم يعرض له البلوي وأشار إليه المؤرخون . وهناك سر آخر له صلة بهذا ، وهو عنايته بتحسين حال الفلاح ، ونشر العدل بين الرعية ، لافرق بين مسلم وقبطي ورومي ويهودي

قام في نفس ابن طولون أن ينشيء في مصر دولة فأمّر بإنشاء القطاع ، وبنى قصره « الميدان » على مثال قصور الخلفاء في الجلالة ، وعمر رجاله وغلّمانه الدور والقصور ، وتبنّوا في النعيم . وما خلت بلاد الأقاليم أيضاً من استيفاء حظها من العمران ، فاضت عاصمة الديار المصرية في أعوام قليلة كأعظم مدينة من مدن الشام . زعموا أن ابن طولون عثر على كنوز عمر منها جامع العظيم ومستشفاه

والعين والحصن ، والحقيقة أنه كانت تفتح له كل عام كنوز من أرض مصر وثروتها الطبيعية .

صرف جهوداً عظيمة لتثبيت قدمه بالديار المصرية كما يصرف في العادة كل من يفتح فتحاً جديداً ، ويحاول أن يصفو له إلى الأبد . وجروء على نزع يده من قيود بني العباس ، وكان من اشتغالهم بأنفسهم أن سار حراً طليقاً لا يخضع لسفاسف سلطان لا يرضيه شيء ، ولا لخليفة يُبلي كل يوم إرادته عليه . وحر كته لم تخف على أهل البصر من أصحاب الدولة ، ومن يهيم بقاؤها عباسية .

عرف ابن طولون من أين توء كل الكتف ، فاختر من المصريين ومن غيرهم طبقة من الوكلاء والسماسة والزبانية والمدّاحين ، وأغدق عليهم إداراته ، فمأوا له الطريق إلى المجد ، واستماتوا في حبه ، وأخلصوا له القصد في الخدمة . وهو بما فطر عليه من بسطة اليد كان يرضي الخليفة بما كان يرسله إليه مسانحة من المال ، ويرضي ولي العهد ، وإن كانا في الظاهر متشاكسين ، ويرضي خزانة الدولة وخزائنه الخاصة ، ويرضي أصحاب السلطان وطبقات العلماء والقراء والفقراء في بغداد ، ويرضي أهل الثغور والعواصم والحرمين ، بما كان يحمل إليهم من المؤن والمعدات والثياب والأموال ، ويرضي أهل الشام والجزيرة وبرقة بما كان يوليهم من عطفه ولطفه ، ويرضي كل من تحدّثه نفسه أن يخلفه في تقلد عمل مصر ، ويرضي فواده

وكتابه وغلمازه وجميع من يمتُّ إليه بصلة . ويعيش مع هذا هو وآله عيش الملوك ، لا عيش أبناء الأجناد من الولاة والمتصرفين ، وخلف في خزائنه من الناضِّ ما لم يخلف مثله قبله أحد من الولاة ، خلف على ما قيل عشرة آلاف ألف دينار أو خمسة ملايين جنيه ذهبي ، عدا عشرات الألوف من العبيد والمماليك والجواري والحيول والبغال والعُدد والآلات ، وعشرات من أسفاط الجواهر والحلي ، وبلغ ربيع إقطاعاته خمسين ومائتي ألف دينار في السنة ، وأقام في مصر من المصانع ما كانت حضرة بني العباس عاجزة عن محاكاته .

كان لشدة انتباهه إذا رأى منفذاً يتسرب إليه منه ضرر يسعى إلى ردمه ، وإذا شاهد خشياً يخاف أن يستحيل جرحاً نفاراً يبادر إلى معالجته لساعته بضروب من الوقاية . وكان يتفنن في أخذ الأخبار إلى ما لم تصل إلى أكثر منه أعظم الدول مهارة في الجاسوسية اليوم ، وإلى ما لم يتسام إليه رجل من عظماء التاريخ في الدول الإسلامية . ولو تساهل في هذه السبيل ما صفا له ملك مصر والشام وما إليهما هذه الحقبة . ووفق لأن يشهد مصرع أعدائه واحداً بعد واحد ، ونال من بعض من عاونوه على قيام دولته ، لما أعتقد أنهم مخالفوه في بعض الطرق ، لم تأخذه بهم شفقة ، ولا شفعت بهم لديه سابقة من خدمة ، أو يدٌ سلفت من إخلاص ، فصفا له بذلك جوٌّ مصر وجوٌّ بغداد .

كان ابن طولون عجيباً في سيرته ، إن احتملت نفسه كل مخالف
 فلا تحتل من يناديه في رأيه ، ويعترض على عمله ولو في سره ،
 يتطال إلى توحيد كلمة الناس في التغني بحمده ، ومن خرج في
 نظره عن الحدود المرسومة عوقب بالقتل . منح الناس حرياتهم في
 النطاق الذي ارتآه ، فإذا اصطدم بما يريد هم عليه ، وأدرك من
 طرف خفي أنهم من المعارضين ، أو من يفاوضون أعداءه ، أو يفاوضهم
 أعداؤه على غير علم منهم ، فهناك الإفراط في تطبيق مفصل
 قانونه ، لا يسمع حواراً ولا مناقشة ، ولا يسير إلا مع حظ نفسه
 ينتقم لها .

وقد يهلك رجلاً لا يستحق جرمه أكثر من مؤاخذه ، أو
 يكفي في تعزيره حبسه أو تشريده ، وقد يفضي عن كبير الجرم
 لأنه رق له ، أو كانت له به صلة ، أو جاءه في حالة سرور ،
 كما فعل مع ابنه العباس عصى عليه فضربه مقارع يسيرة واعتقله ،
 وقضى ، على أفضع صورة من التمثيل ، على من رافقوه إلى
 برقة وطرابلس .

ما عرف ابن طولون الوفاء ولا الولاء : كان إذا غضب أساء
 إلى أقرب الناس إليه ، ولا يزال يسيئ الظن بالخلص له إساءته
 بالخائن ، لا يثق حتى بمن صدقوه ، وكانوا من أكبر العوامل
 في إنشاء دولته ، مثل أحمد بن محمد الواسطي الذي رافقه منذ ظهوره

في واسط إلى آخر أيامه . وما كان يهدأ له بال إلا إذا اطلع على ما تنطوي عليه قلوب عماله ، ولهذا كان يُغني من يقلده أمر البريد ، وإلى البريد يومئذ تُردُّ مراقبة العمال وغيرهم . ويغني من ندهم موافاته بالأخبار في بلاده وخارجها .

كان يدِرُّ الرواتب على عماله وقواده وغلماؤه وجنوده يقبضونها مشاهرات ، ويجزل لهم الهبات والصلوات ، لينتعدوا عن ظلم الناس ، آمنين على رزقهم ورزق عيالهم ، ويجري على المستورين والمستورات ، ويمسّن إلى الفقراء بإطعامهم وكسوتهم ، ويحمل من ترضيه سيرتهم على دوابه ، ويجري الجرايات على الماويج والمعوزين ، وجريدة صدقاته طويلة ، ومن قُدِّر له الوصول إليه ساعة رضا يسعد . وكان يُفْضِل على الذُّسَاك والقراء والفقهاء والمحدثين والمتطبيين والمهندسين يجري عليهم ما يكفيهم ، ولا يُعْنَى كثيراً بالمتجيمين والشعراء على ما يظهر ، لبعده عن الاعتقاد بتأثيرات النجوم على أهل الأرض ، ولا تهمة كثيراً مصانعات الشعراء . وقد مدحه البحترى ثم هجاه ، وتوفّر محمد بن داود على هجوه عند كل سانحة .

ظهر أن ابن طولون كان من المحافظين المأخوذين بعبادات لهم موروثه ، يحافظ على صلواته ، ولا يخلو يوماً من التوسل والتضرع والسجود في الملا . وظهر أنه كان معتدلاً في عشرة النساء ، لا يُفْرط

في التسري واقتناء الجواري ، وهمه أبداً حفظ نعمته ، وصيانة دولته . عهدناه يحب المنادمة والطرب ، ويعقد مجالس الأنس أحياناً ، ويتناول ما استحل تناوله من الشراب ، وكان حتى في مجالسه الخاصة ، يوتر الوقار ويصطنع التقوى ، وهو يحسن الجمع بين اللذات المحللة ، ويمتنع على ما يظهر عن المحرمات . فهو ذو شخصية خاضت كل عباب ، وطرفت كل باب .

أحسن ابن طولون الاضطلاع بأعباء الحكم ، وتمرّس بالسياسة ، وقدّر التبعات التي ألقيت على عاتقه ، فكان يهون عليه إتعاب نفسه لتستريح رعيته ، ويسهر عليهم ليناموا مطمئنين ، وبفضل يقظته ما نجم ناجم يجاذبه حبل السلطة إلا قضى عليه ، ولاقاومه عامل أراد خدمة بغداد على حسابه إلا قهره ؛ ومعظم أهل هذه الطبقة قضوا في سجنه ، أو تحت سياط جلاديه ، وجروا بأرجلهم جراً من حضرته ، على مكانتهم في أنفسهم .

حسب ابن طولون حساب كل طارئ ، وما كان يدور في خلده أن يفترص ابنه البكر المسمى بالعباس فرصة تغيب والده عن مصر في جيش وهو نائبه عليها جيشاً ، ويستتبع أناساً من رجال أبيه ، ويبدل أموالاً وآلات كثيرة ، ويرحل إلى رقة يرفع لواء العصيان على أبيه فيرمضه ويؤلمه . وكان من لؤلؤ ، وهو غلامه وغذي نعمته ، أن ثار عليه في آخر عهده ، وفي أوقات حكمه

فأخذ أموال الجباية من الشام والجزيرة ، ولحق بالموفق عدو ابن طولون اللدود في دار السلام ، فباع ابن طولون حرمه وولده في سوق الرقيق .

كان ابن طولون في الظاهر لينّ الملمس لمن في بغداد ، وهو في باطنه شديد الوطأة عليهم ، لا ينزل لهم عن أقل حق من حقوقه ، هو يتقيهم لا يقانه أنهم لا يُرضيهم سيره بحال ، وكيف يرضون عنه وهم يتوجسون خيفة من انبساط ظلّ حكمه ، ولا يفتأون يذكرون ويذكّرهم الذّاكرون أنهم دونه علماً وعقلاً وعدلاً ، وأنه يخشى أن يكيد بعد حين لبني العباس

وكان من جملة وصاياه لقوّاده ولأئبي الجيش ابنه وخليفته ألا يغتروا بمخاريق أهل العراق ، وألا يندسوا مافي نفوسهم عليهم ، وأن يذكروا أبدأ أن من في مصر شجاً في حلق من في بغداد ، وتقدم إليهم ألا يضعوا أيديهم في أيديهم ، وقال لهم إني أعرف ذنبي لهم . وكل هذا يدعو إلى التفكير في إخلاصه للعباسيين ، ويلقي الشك في تزيده بإظهار إخلاصه لهم ، وأن دعواه أنه لا أرب له في نشوزه على ولي العهد إلا دفع عدوانه على أخيه مسألة فيها نظر ، وهو يعلم علم اليقين بأن الموفق يعمل ليله ونهاره في دفع صائل الأعداء عن دولتهم ، وان المعتمد لا يستجيب لغير صوت شهواته . ويلمح من يقرأ مافي القلوب أن الحرص على الاحتفاظ بحقوق المعتمد ليس

كله من أجل بيعه له في عنقه كما كان يزعم ، ولا كان انتصاره له
بعامل ديني قوي في نفسه ، بل كان هناك أمور يسكنها صدره ،
ولا يعرف غيره سرّها ، ربما كانت تظهر لو لم تعاجله المنية .

ولولا حرب علوي البصرة ما تيسر لابن طولون أن يحكم هذه
الأعوام الطويلة في وادي النيل ، ولولا أنه أصرّ إلى يارجوخ
من قوادر الترك في بغداد ما صارت إليه مصر مرة ثانية نيابة عن
حميه أيضاً ، كما كانت له على عهد بأكباك ، ولولا أن ملأ قلوب
رجال الدولة وصدورهم بهداياه ورشاواه لتقدم بعض الأقوياء من
أصحاب السلطان فاستولى على مصر قبل أن ترسخ قدمه فيها .
وما كان بعد ولايته عن الحضرة ، ولا صعوبة الوصول إليها ،
ولا المئة ألف عنان من جيشه لتفقه لولا أن جاء في غفلة الدهر ،
وبنو العباس محكومون فعلاً للأتراك لا يعملون إلا ما يرضيهم ،
ومن عادة العباسيين إذا استبسلوا افترسوا وإذا ضعفوا استكانوا وذلوا
وأياً كان فأحمد بن طولون وحيد عصره في إدارة الملك ،
رزق صفات تعذر اجتماع مثلها فيمن عاصروه ، وحسناته على التحقيق
أوفر من سيئاته . ومهما قيل في مؤاخذته فهو إلى الاعتدال أقرب
من معظم أمراء تلك الأيام . رأيناه لما حاول الموفق أن يُقصيه عن
ولاية مصر كيف يعمد إلى استدعاء الخليفة المعتمد إلى مصر ليقم
فيها الخلافة العباسية ، فلما تعذر نفوذ الخليفة إليه قام يخلم الموفق

في مدينة دمشق ، ذاكرآ في وثيقة خلعه أسباباً معقولة تنم عن جرّ بزة ودهاء ، على حين رأينا الموفق يتقول عليه ، ويشتمه على منابر بلاده ، ويرميه بالمروق من الدين ، ويتهمة بإخرا ب ثغور المسلمين ، وبقثال المجاهدين بأهل الفسق الملعدين ، وباستباحة الحرم وسفك الدماء ، وكل هذا لم يحصل منه شيء ، وكانت سياسة ابن طولون عكس ذلك ، كان يغض عن مساوئ أصحاب الثغور ، يهونهم ويقوهم ليكونوا في حرز حريز من مطامع الروم . وعهد السلطان إلى غير واحد أن يحموا حمى الثغور فأخفقوا ، وما أمن عليها إلا لما عهدت حمايتها إلى كفاءة ابن طولون .

وبعد فإن أنكر منكر شيئاً على ابن طولون فأكثر ما ينكر عليه إسرافه في سفك الدماء ، قتل فيما قيل في سجنه ثمانية عشر ألف إنسان . والمنكر اليوم يتكلم بعقلية ابن هذا القرن الناشئ على حب الحرية ، المتشبع بحقوق الإنسانية . ولا مربية بأن الدماء كانت رخيصة في الأزمان الماضية ، وكان ابن طولون يحاول مع هذا أن يظهر بمظهر الشفقة ، وما ندري هل كان ذلك منه عن تدين ورحمة ؟ إن معظم رجال السياسة كرجال المال قساة القلوب ، غلاظ شداد ، لا يحنون ولا يعطفون ، وهم وإن حاولوا الظهور بما يقضي به الدين أشد الخلق تحلاً من جوهره في باطنهم .

إن ست عشرة سنة قضاها ابن طولون في تأسيس دولته قد يقضي

الطغاة في الحكم مثلها وضعفها ، ولا يقوم لم عمل ، ولا يتم لم مشروع ،
أما هو فقضى في آخر العقد الخامس من عمره محققاً الآمال بإصلاحات
كثيرة ابتدعها فعدت من بنات أفكاره ، كعنايته بوضع الأضياف
والجزازات والتقايد ، فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون
كل ما يقوله وما يقال في حضرته ، فإذا كان الليل خلا بكاتبه ،
وأصلح له ما كتب ، ليحفظ ما دار من الكلام على حقيقته ويرجع
إليه عند الاقتضاء .

كان الراضون عن حكم ابن طولون ، المغتبطون بأيامه أكثر من
الناقين ، استراح الناس إلى أحكامه ، على أنه صورة من رجل
الاستبداد يخالط سيرته تدين وتصور ، في عصر فسد بعض أوضاعه ،
وفي دولة قامت باسم الدين وهدفها الدنيا ، يسترخس الصالح والطالح
من أصحاب ولاياتها إهراق الدماء ، وهل كان ابن طولون إلا واحداً
منهم ؟ نتقف في تلك المدرسة ، وجرى على تلك الطريقة ، استحل
احتجاج الأموال كما كانوا يحتجون ، وجار على من لا تسمع أصواتهم ،
وهو إلى هذا يطعم الفقراء ، ويصطنع الرحمة ، ويجود على من ينفعه
أو يتوقع نفعه ، ويقيم الشعائر الدينية ، ولا يعمل إلا ما فيه فتنه
العامة ، بيد أنه كان من يأخذ ويعطي ، ويخزن وينفق ، ويعدل ويظلم ،
ويجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة . يعرف ما يريد وما يُراد ،
وما يجب وما لا يجب ، وهدفه الأسنى استقلاله بالديار المصرية ، وتركها

إرثاً شرعياً لأولاده من بعده ، سعى لذلك ضروب السعي ، وما تعفف
لبلوغ غرضه عن ارتكاب كل عظيمة .

لأحمد بن طولون مشابه من الحجاج بن يوسف الثقفي ، بتشابهان
في إحسان السياسة ، والتجديد في طرق العمل ، وبقوة العزيمة وشدة
البطش . الحجاج مثال العربي الحازم في القرن الأول ، وابن طولون
مثال التركي الحازم في القرن الثالث ، جاهد الحجاج لتكوين كلمة دولته
هي العليا ، وجاهد ابن طولون فكان جهاده لنفسه ولبيته . ذلك لم يخلف
من حطام الدنيا شيئاً يُعتدُّ به ، وهذا خلف من الخزائن والكنوز
ما لم يخلف أعظم أمراء تلك العصور مثله .

محمد كرد علي



الحمد لله

الحمد لله وبه أستعين ، الحمد لله خالق السموات والأرض وما بينهما ،
من الآيات والآلات على حكمته ، الشاهدات على قدرته ، المنبهات على
وحدانيته ، حسن نظم فطرته ، « لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »
فسبحانه من ملك قدير ، وإله خبير . وصلى الله على محمد رسوله
الأمين ، وخيرته من العالمين ، المبشر بالجنة عباده المؤمنين ، وبالنار
أعداء الكافرين ، وعلى من تقدمه من النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فهمتُ ما ذكرت ، جعلني الله فداك ، في سيرة آل طولون ،
وأنت قرأت كتاب أحمد بن يوسف في ذلك ، فلم يكن موقعه منك
الغرض الذي إليه ذهبت ، ولا المعنى الذي له نحت ، وأنت تريد
ما هو أكبر منه شرحاً ، وأكل وصفاً . وأن أحمد بن يوسف كان
يُمرُّ في شرح قصة ثم يرجع إلى ما هو قبلها ، وأنه كان يخلط
أخباره ^(١) ، ويأتي بقصة من قصصه التي تدلُّ على ذكاء عقله وفطنته ،

(١) كان الأول أن تكون عبارته هكذا : أخبار أحمد بن طولون . أو فيأتي بقصة من قصص
أحمد بن طولون فإن الضمير في المبارتين أتهم الكلام مع جد الفاعل وسير ما قارىء في هذا
الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القيل جد فيها الضمير عن الفاعل الرجوع إليه مكاد المني يصير
إلى غموض .

والطيف حسه ، ثم يأتي بضدها ، وأنه لم يأت بجميع أخباره ، ولا أخبار أبي الجيش ابنه ، وما كان من جميل أفعاله ، وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده

وقلت ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار ، وأردت أن يكون ذلك مستقصى جميعه ، وعلى ترتيب في شرحه ، ولا يذكر آخرًا قبل أول ، ولا يقدم سالفًا على آنف ، وقد امتثلت أمرك فيما أردت ، وسلكت فيه الذي اخترت . ولم أدع من أخبار جماعتهم شيئًا مثله يؤرخ وبه يتأدب وله يستحسن إلا ذكرته ، وجعلت ذلك أبوابًا [ولم أذكر في] الباب ما ليس من شكله ، ولا خلطت به ماخرج [عن أصله ، وإن] ابن آدم لا يخلو من نقص ونقصير ، ولم يعر من ذلك العلماء الواصفون لشرائط الدين ، والمبلغون سنن المرسلين ، وكيف ما إن قصر عنه مقصر لم يؤزر ، وإن بالغ فيه مجتهد لم يؤجر .

طريقة المؤلف في تأليفه

فأول ذلك ، أعزك الله ، أن المعتصم بالله ، لما اختص الأتراك ووضع من العرب ، فجعل الأتراك أنصار دولته ، وأعلام دعوته ، وبذلك احتج عليهم العلوي البصري فقال :
واستفتحوا بالترك أمرهم لم يستفتحوا بالأوس ولا بالخرج^(١)

ثقة العباسين بالأتراك

(١) كذا في الأصل ويمكن أن يستقيم معناه هكذا

واستفتحوا بالترك أمرهم ما استفتحوا بالأوس والخرج

فكان من عَظُمَتْ عندهم منزلته، وجمدت طريقته، الزموا خدمتهم، وجعلوه الذَّابَّ عن بيضتهم، وقُلِّدَ الأعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة^(١)، واستخلفوا له عليها الخلفاء، وحُمِلَ إليه مالها، ودُعي له على منابرها .

فكانت سبيل مصر عندهم أن يُحَيَّيَ بها من صحت فيه هذه الصفة التي قدمنا ذكرها، كما فعل هارون الرشيد بعبد الملك بن صالح، والمأمون بطاهر بن الحسين، والمعتصم بأشناس، والواثق بإيتاخ، والمتوكل ببغا ووصيف، والمهتدي بيارجوخ، وكما قدم ببغا وأتامش وغيرهما فقلدت مصر بابك، والتس له خليفة فوجه به إليها .

وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه في سنة أربعين ومائتين، أصل طولون والد أحمد ولا أحمد عشرون سنة، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم، ولدت أحمد في سنة عشرين ومائتين، وولدت بعده أخاه موسى وجبسية وسمانة . وكان طولون من طغرغر، حملة نوح بن أسد عامل بخاري وخراسان إلى المأمون، فيما كان موظفاً عليه من المال والرقني والبراذين وغير ذلك في كل سنة، وذلك في سنة مائتين .

وسألت أبا العباس أحمد بن محمد الكوفي^(٢)، وكان خبيراً بأمر

(١) ينون بالحضرة حضرة أبي العباس أو عاصمة خلافتهم وكانت بغداد أولاً ثم سر من رأى أو سامرا . (٢) رواية ابن الداية : وقت : (أي ابن الداية) لا في العباس بن خاقان والسؤال هو نفس سؤال البلوي للكوفي والجواب مثله والعبارة تكاد تكون واحدة .

الأتراك ، عارفاً بأحوالهم ، عن أحمد بن طولون وقلت له : إن الناس في أمره فريقان أحدهما يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً كان زوج أمه قاسم ، والآخر يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً ابن قاسم جارية طولون ، فأكذب ذلك وضحك منه وقال لي : يلبخ هذا تركي سبي مع طولون ، وكان خفيف الروح يُغني بالتركية ، مستحلي الكلام ، فلما مات طولون ألزمه الوفاء له القيام بأمر ولده ، والمحافظة عليه ، فكان يركب معه حتى يوصله إلى المواضع التي لم يكن أحمد يصل إليها لحدائث سنه ، وصغره عن ذلك ، وكان كل من يراه معه يقول له : هذا ابنك ؟ فيقول : نعم ، هو ابني وابن سيدي رحمه الله .

وتوفي يلبخ بعد وفاة طولون بعشر سنين ، ولم يخلف إلا طفلة ، فكان أحمد بن طولون يُجري على أمها وعليها ما يسمعها من الرزق حتى ماتتا .

وقال لي : ومما يدل على صحة ذلك أن الموفق لما لعن أحمد بن طولون أسنده إلى طولون ولم يُسندَه إلى يلبخ ، ولو كان ابن يلبخ لما زوجه يارجوخ ابنته ، لأن يلبخاً كانت عندهم مغنياً ، وطولون معروف بالستر والصيانة .

فنشأ أحمد بن طولون نشوياً جميلاً غير نشوء أولاد العجم ، من بُعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تُسفُّ إليه

اولية أحمد بن
طولون

طبقة، وطلب الحديث وأحب الغزو^(١)، وخرج إلى طرسوس مرات،
ولقي شيوخ المحدثين، وسمع منهم، وكتب العلم. وحصل له من ذلك
قطعة كبيرة

وألّف بطرسوس جماعة من الزهاد، وأهل الدين والورع، فأدبوه
بآدابهم، فحسنت طريقته، وظهر فضله، فتمكن له في قلوب الأولياء
ما ارتفع به على طبقة، وبان فضله على وجوه الأتراك، وصار محله
عندهم محلّ من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج، ومثل هذا
عند العجم محله عظيم في نفوسهم، لو تصنّع به متصنّع، فكيف من
مبتدئ غير متصنّع. فخطب إلى يارجوخ ابنته فزوجه، وكانت أمّ
ابنه العباس [وابنته] فاطمة

فلما كان في نفسه من محبة الخير ورغبته فيه، سأل الوزير^(٢)

(١) كذا ويحتمل أن تكون العرب

(٢) في القطعة المأخوذة من كتاب أحمد بن يوسف الكاتب في سيرة ابن طولون
أن أحمد بن طولون مع تفاسه وجلالته في قوس الاتراك كان شديد الإكراه عليهم، يستصغر
عقولهم وآدابهم، ويذكر أنهم قد تسنّوا من المراتب ما لا يستحقون، وأن حرمة الدين بهم
هتوكة، وفرائضهم ممتلة. فقال لأحمد بن محمد بن خاقان يوماً: إلى كم يا أخي تقيم على هذا
الاثم؟ لا نطأ موطناً إلا كتب علينا خطيئة. والصواب أن نسأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن
يكتب لنا بأرزاقنا إلى الثغر تقيم به في ثواب قائم، وجهاد متصل. قال: فركنت إلى هذا،
ورضنا إلى عبيد الله قصة فكتب أرزاقنا في الثغر. فلما انتهينا إلى طرسوس، ورأى ما التابس
عليه من الأمر بالمعروف وبجانبه المنكر، أنست نفسه وزال اسقيحاشه، وتبع المحدثين، ولم
يكن يدخل إلى منزله من التشاغل بهم إلا ليلاً. قال: فكنت إذا رأيته بهذه الحال أيت
من أن يتصرف في شيء من أعمال السلطان.

أن يكتب له برزقه إلى الثغر^(١) ، وعرفه رغبته في المقام به ، فأجابه الوزير عبيد الله بن يحيى إلى ذلك وكتب له به ، وخرج فأقام بطرسوس مدة ، وشق على أمه مفارقتها لها ، فشكّنته بما أقلقته . فلما قتل الناس إلى سرّ من رأى^(٢) ، قفل معهم بسبب أمه ، وكان جملة القافلين نحواً من خمسمائة رجل ، والخليفة يومئذ المستعين بالله .

غرام الخليفة
بالطوائف الرومية

وكان قد اتفق أن المستعين بالله استحسن شيئاً يعمل ببلاد الروم ، من بزبون^(٣) وكراسي حديد منقوشة بأحسن نقش ، يجري فيها الذهب ، وأشياء يَضِنُّ بها الملك أن تخرج إلى أرض العرب ، فأنفذ خادماً من خدمه يتكلم بالرومية إلى ملك الروم ، برسالة جعلها سبباً لما يريد ، وأمر الخادم أن يتلطف في ابتياع ما تهيأ له مما قدمنا ذكره وقدر عليه ، وخرج الخادم ووصل إلى ملك الروم وأدّى الرسالة ، وأنزل في دار فرشت له ، وبلغ في إكرامه كل مبلغ ، وجعل يلتمس شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه ، فاشترى ما حصل له منه وقرّ بغل ، لم يمكنه أكثر منه .

(١) الثغر (بالفتح ثم السكون وواو) : كل موضع قريب من أرض العدو سمي ثغراً ومنه ثغر الشام وبهجه ثور ومن مدن التتورتيا ، الاسكندروية ، المصيصة ، أذنة ، طرسوس ، ومن ثور الجزيرة مرعش وانطاكية وبنراس ، قال البكري : واختزل الرشيد الثور من الجزيرة وقنشرين وسهاها العوام .

(٢) سرّ من رأى ويقال لها سامراء بلدة كانت بين بغداد وتكريت شرقي دجلة على ثلاثين فرسخاً من بغداد وهي من المدن التي أحدثها العباسيون .

(٣) ضرب من نسيج البز أو من رقيق الدياج .

فأجاب ملك الروم المستعين عن رسالته ، وحمل إليه هدايا حسناً ،
وخلص الخادم ذلك البغل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محله من أمير
المؤمنين في حمله ما حمل معه ، وخرج حتى حصل بطرسوس^(١) ، وخرج
مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ومن رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت
الأعراب شيئاً من سوادهم^(٢) في بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت
الصيحة ، وجاء النذير إلى الطائفة التي فيها أحمد بن طولون .
فكان أول من انتدب ، وحضر على القتال ، والذهاب خلف
الأعراب إلى حيث قصدوا ، وسار يريدونهم ، فلما رآه الباقون اتبعوه ،
فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه
عليهم ، وحذفهم بالثياب ، وكان حسن الرمي لا يُخطئ شيئاً ، فخلّى
الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم

ظهر أحمد بن
طولون بالشجاعة
والنجدة

(١) طرسوس: بلدة بالثغور الشامية على ثلاثين كيلومتراً من مرسين كانت الى القرن الرابع من
الهجرة مقر الزهاد والعلماء واستولى عليها الروم ثم الصليبيون ثم فتحها المماليك التركان أصحاب مصر
ودخلت في القرن العاشر في حوزة الدولة العثمانية وهي اليوم من كورة كيليكيا وتند من ولاية
أذنة ولها قبر أمير المؤمنين المؤمنون العباسي رضي الله عنه - وضبطها البكري في معجم ما استمع
بهم الأول واسكان الثاني وقال انها معروفة من الثغور الجزرية قال أبو حاتم هكذا يقول الأصمعي
وغيره يقول طرسوس بفتح أوله وتانيه قال ولا يجوز فتح الطاء واسكان الراء

(٢) السواد: المال الكثير

وكان فيما أخذه الأعراب البغلُ المحملُ ذلك المتاع الذي لم
يُوصل إليه إلا بالحيلة ، وكانت نفسُ الخادم قد كادت أن تخرج لذلك ،
خوفاً على قوت ما أمّله من جائزة أمير المؤمنين ، ولما لحقه من
التعب والمخاطرة قبل أن وصل إليه ، ولما سلّم سكر رُوعه ، ورجع
إليه عقله ، بعد أن كاد يزول .

وعَظُمُ أحمد بن طولون في عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبر في
قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا إلى العراق أحضر الخادم ذلك المتاعَ
إلى المستعين ، فاستحسنه وسرّ به كل السرور ، فذكر له الخادم
ما عاناه في أمره قبل الوصول إليه ، وقال له : وأعظم ما جرى
يا مولاي أنه لما حصل وسلّم إلى طرسوس ، وقفلت مع الناس ، خرج
علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله جلّ اسمه منّ عليّ بغلام من
غلان مولاي أمير المؤمنين يُعرف بأحمد بن طولون ، فإنه أول من
انتدّب وخرج إليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقتلت نفسي
أسفاً على فواته .

فازداد به المستعين سروراً ، وأمر في الوقت لأحمد بن طولون
يألف دينار ، وقال للخادم : إمض أنت بها إليه سرّاً ، وأقرئه مني
السلام ، وقل له عني : لولا خوفي من أن يُعلم بحله من قلبي فيحسد ويقتل
لبلّغته أفضل مراتب أمثاله ، وإذا هو دخل إليّ في المسلمين أَرنيه .

عبدة الخليفة لأحمد
ابن طولون

فأوصل إليه الخادم المال، وعرفه الرسالة « فحمد الله عز وجل على ذلك .
فلما كان يوم السلام، ودخل مع الأولياء، غمز الخادم المستعين
عليه حتى رآه، فأشار إليه المستعين بالسلام . ولم يزل يفعل ذلك،
كلما دخل إليه في المسلمين، ويوجه إليه بالصلاة الوافرة في كل وقت،
دفعه بعد دفعة، حتى حسنت حاله بذلك، ووهب له جارية اسمها
مياس فولدت له أبا الجيش في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين.

خلع المستعين
وتسلمه لابن
طولون

ولما كان من أمر المستعين ما كان من تنكر الأتراك عليه،
واستقر الأمر بعد ذلك على أن يصير المعتز على الخلافة، وينفي
المستعين إلى واسط^(١)، مع رجل يختار له، يوثق بدينه وأمانته،
وترضى به الأتراك، ويأمنه على نفسه، وقع اختيارهم على أحمد بن
طولون، فسلم إليه ومضى به إلى واسط، وأحسن عشرة المستعين
وشكر له ذلك الجليل في أمره، فأطلق له التنزه والصيد . وكره
أحمد بن طولون أن يلحقه منه احتشام، فالزمه أحمد بن محمد الواسطي
كاتبه، وكان يومئذ غلاماً جريئاً، حسن الشاهد، حاضر النادرة،
فأنس به المستعين غاية الأُنس، وشكر لأحمد بن طولون ما يأتيه
في أمره، ولم يألُ أحمد بن طولون حرصاً في خدمة المستعين وتوفيقه.

(١) بلدة في العراق قائمة إلى الآن اختطها المجاج بن يوسف التقي في ملتين ويقال لها واسط
القصبة أو قصر كان قد بناه هو أولاً قبل أن يبنى البلد

امتناع ابن
طولون من قتل
المستعين

فلما تمت البيعة للمعتز ، وخلع المستعين ، أنفذ إليه أهله وولده ،
فأقام بواسط مدة ، واجتمع غلمان المتوكل ، وقالوا نخاف من كيد
يلحق المعتز من المستعين ، فصاروا إلى قبيحة أمه ، فعرّفوها ذلك
وخوّفوها منه ، وقوي الخوف في نفسها فاضطربت له ، فعزمت على
قتله ، فحضر الأولياء وتشاوروا في ذلك فأشاروا به ، فكتبت قبيحة
أم المعتز إلى أحمد بن طولون : « إذا قرأت كتابي فجنّني برأس
المستعين ، وقد قلدتك واسط » . فلما وصل الكتاب إليه اغتم غمّاً
عظيماً ، وكتب إليها يقول : « والله لا يراي الله عز وجل أقتل خايفة
له في رقبتي بيعة وأيمان مغلظة أبداً » .

فلما ورد كتابه بذلك زاد به في قلوب الأتراك محلاً كبيراً ،
ووسموه بحسن التوقف وجميل المذهب ، وأحسن أحمد بن طولون في
ذلك وأجل رحمه الله . كما أمر الحجاج بن يوسف رجلاً من التابعين
بقتل رجلٍ انهم بما أراد قتله بسببه فامتنع وقال :

ولست بقاتلٍ رجلاً يُصَلِّي على سلطانٍ آخر من قریش
له سلطانُه وعليّ إثمي معاذَ الله من جهلٍ وطیش
إذا طأوعته وعَصَيْتُ ربي فما فضلي هناك على قُيُش
وكان قُيُش هذا رجلاً خليعاً ماجناً مارداً .

ووجهوا إلى أحمد بن طولون لما امتنع من قتله بسعيد الحاجب ،
وكتبوا إليه ليسلم المستعين إليه ، وينصرف عن واسط إلى سر من رأى ،
ففعل ذلك وأحمد الناس كلهم فعل أحمد بن طولون ، وشكره عليه
الخاص والعام .

حدث أحمد بن محمد الواسطي قال : و كنت مع المستعين بالله على
الرسم ، فرأينا غيرة خيل قد أقبلت ، فأنفذ غلاماً له يرخص ليعرف
له خبرها ، فعاد وقال : هو سعيد الحاجب ، فاصفر لونه ووجم^(١) ،
فقال لي : يا أبا عبد الله أنا استودعك الله ، هذا جزار بني هاشم قد
جاءني ، فحررت وجزعت ، وعدنا جميعاً .

ووافي سعيد في أثرنا ، فأوصل إلى أحمد بن طولون الكتاب ،
فأحضر قاضي واسط والشهود ، فأشهدهم على تسليمه إياه سليماً ، فتسلمه
وأخرجه من وقته إلى الصحراء ، وضرب له خيمة فأدخله إليها ، فأقام
سويعة وخرج ، وألقى الخيمة عليه ، وركب من وقته دابته ،
وسار راجعاً .

فلما بعد أتينا الخيمة فرفعناها ، وأحمد بن طولون معي ، فإذا
بجثة المستعين مطروحة على الأرض ، وقد صرعه وأخذ رأسه ومضى .
فأقبل أحمد بن طولون يبكي وينتحب عليه ، كما تبكي الثكلى ، وأنا معه
كذلك ، لما ورد على قلبه منه ، ولم يزل قائماً على رجله حتى غسل
وكفن وصلينا عليه وواريناه ، ورحل إلى سر من رأى

(١) وجم وجماً ووجوماً : سكت على غيظ والنبي . كرمه .

مبدأ سعادة ابن
طولون بعوليه
مصر

ووافق دخوله سر من رأي تقليد بكباك مصر ، والتماسه من يخلفه
عليها ، فقبل له أحمد بن طولون : الثقة الأمين ، الحبر ، الدين ، الخير ،
فقلده خلافته وضم إليه الجيش .

ورحل إلى مصر فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين ومائتين ، مقلداً للقصبة دون غيرها ، من الأعمال
الخارجة عنها مثل الإسكندرية وغيرها ، ودخل معه أحمد بن محمد
الواسطي ، وكان خليطاً به جداً ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحق ،
كان الوزير قد قرّنه به .

فحدثني شيخ من شيوخنا قال : جلست في بعض الدكاكين
الشارعة^(١) مع الناس ، لنظر دخول أحمد بن طولون البلد وترتيبه ،
وكان معي في الدكان رجل مكفوف يعرف بأبي قبيل^(٢) صاحب
الملاحم ، فسأله رجل كان معنا عما يجده في كتبهم ، فقال : هذا رجل
نجد صفته كذا وكذا ، ويتقلد البلد هو وولده قريباً من أربعين سنة .
فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون ، فكانت صفته كما وصف في
صورته وشمائله ، لم يغادر منها شيئاً . وكانت مدة الطولونية ثمانين
وثلاثين سنة .

(١) شرع المنزل صار على طريق نافذ وهي دار شارعة ونزل شارع .

(٢) ترجم القنطي صاحب طبقات الحكماء . هذا المكفوف قال : المكفوف الملاحمي
المصري ، هذا رجل كان بمصر ، وكان مكفوفاً ينسب إلى قبيل الملاحمي يتكلم في علم الحدّ ثمان
ويصيب في الأكثر . وذكر قصة دخول أحمد بن طولون القسطنطينية وما قاله نحوه من هذه
البارة إلا أنه استندما للحسن بن واقع الكاتب .

ودخل أحمد بن طولون مصر، وكان على خراجها أحمد بن محمد بن مدبر
وكان من دهاة الناس، وشياطين الكتاب والعمال الأجلاذ، فحسبك أنه
ابتدع بمصر بدعاً صارت سذناً إلى اليوم لا تنقض. ولقد حرص أبو الحسن
علي بن عيسى بن الجراح عند دخوله مصر أن ينقض شيئاً منها فما تهيأ له،
علي صناعته ودهائه بين الوزراء الذين كان هو باركهم^(١) فما ابتدعه بمصر:
النظرون، وكان مباحاً لجميع الناس بمصر، فصير لهم ديواناً مفرداً، وعاملاً
جلداً، يحظر على الناس أن يبيعوه أو يشتروه إلا من جهته. والمراعي،
وهي الكلاً المباح المطلق التي أنبتها الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم.
والمصايد، وهي ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر.

فلما احتشم ابن مدبر من ذكر المصايد، وشناعة القول فيها، أمر
بأن يكتب في الديوان: خراج مضارب الأوتاد، ومفارش الشباك
وغير ذلك بمصر. وله بالشامات^(٢) أمثال هذا.

فحين دخل أحمد بن طولون أهدي إليه ابن مدبر هدايا حسنة
قيمتها عشرة آلاف دينار. وكان ابن مدبر خرج لتلقيه عند دخوله،
ومعه شقير الخادم^(٣) وكان صاحب البريد^(٤) يومئذ بمصر، وهو

(١) هكذا في الاصل . (٢) الشامات : بلاد الشام .

(٣) قال اليعقوبي : وتلاحي احمد بن طولون واحد بن المدبر وهو حامل الخراج بمصر وافسد
بينها شقير الخادم المعروف بأبي صحبة (في رواية ضحية) فكان شقير يتولى البريد وضياعاً
من ضياع الاقطاع وما يستعمل للسلطان من المتاع واليه ينسب الديقي النقيري وكتب كل
واحد منها في صاحبه فنصر ما كباك احمد بن طولون . وكان ما كباك الغالب على امر الخليفة
واعانه الحسن بن مخلد بن الخراج وابو نوح عيسى بن ابراهيم بن موح فكسب بزل ابن المدبر
وتولية رجل من اهل مصر يقال له محمد بن هلال فتولى الخراج وقبض ابن طولون على ابن المدبر
قتيده والبهية صوف ووقفه في الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر (٤) صاحب البريد

دهاء ابن طولون
وما عمله لظهوره
بمظهر العظمة

غلام قبيحة أم المعتز المعروف بأبي صعبة ، فلما تلقياه وسلماه عليه بش
بها وأحسن مخاطبتها

ونظر بين يدي أحمد بن مدبر مئة غلام من مولدي الغور^(١) ،
قد انتخبهم ، وجعلهم عدةً وجمالاً ، وكان لهم خلق حسن ، وطول
أجسام ، وبأس يعرفون به شديد ، وعليهم الخفاتين^(٢) والأقيبة والمناطق
الثقال العراض ، وبأيديهم مقارع تامة غلاظ ، على كل طرف من
أطرافها فضة مقمعة بها ، وكانوا يقفون في حافتي مجلس ابن مدبر إذا
جلس ، وإذا ركب كانوا بين يديه ، فكانت له بهم هيئة عظيمة في
صدور الناس إذا رأوهم .

فلما أهدى إلى أحمد بن طولون الهدية التي قدمنا ذكرها ردّها ولم
يقبلها ، فقال ابن مدبر^(٣) : إن هذه همة عظيمة ، ومن كانت هذه همته

— كان إليه الأخبار وقد اشار الامام ابو يوسف في رسالة الخراج التي بث بها الى الرشيد الى
اختلال امور هذا الديوان في عهده قال : بلغني عن ولايتك على البريد والاخبار في النواحي
تخطيط كثير ومعاينة فيما يحتاج الى معرفته من امور الولاة والرعية ، واتهم ربما مالوا مع الهال واستروا
اخبارهم وسوء معاملتهم للناس وربما كتبوا في الولاة والهال تالم يفعلوا اذا لم يرضوهم وهنا ما ينبغي
ان تنتقده وتأسر باختيار الثقات المدول من اهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والاخبار . قال :
ومتى لم يكن اصحاب البريد والاخبار في النواحي ثقات عدولاً فلا ينبغي ان يقبل لهم خبر في قاض
ولا وال فاذا لم يكن صاحب البريد عدلاً فلا يحل استعمال خبره ولا قبوله .

(١) الغور (بضم اوله وسكون ثانيه) جبال وولاية بين هراة وغزنة وهي بلاد واسعة موحشة
هذا ما قاله ياقوت والثالب ان هؤلاء الثلمان من تلك البلاد لأن الغور (بفتح التين) والساكسون
في الاغوار في العادة سمر البصرة .

(٢) الخفاتين واحدها خفتان ضرب من الثياب وسها التفتان بضم الفاء وفتحها .

(٣) في المكافأة : ما ينبغي ان يتق السلطان بمن لم يكن لشرة آلاف دينار في عينه قدر
على طرف من اطراف مملكته . وهو اقرب الى صحة المعنى .

فغير مأمون على طرف من الأطراف ، وكان في ابن مدبر دهاء عظيم ،
ورياء كبير ، فخافه ^(١) وكره مقامه معه في البلد ، فاجتمع مع شقير
صاحب البريد ، على أن يكتب فيه إلى أمير المؤمنين بما يقدران
به إزالته .

فلما كان بعد أيام كتب أحمد بن طولون إلى ابن مدبر : « قد كنت ،
أعزك الله ، أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ، فلم نجز تغنم ^(٢) مالك ،
كثره الله ، فردناها توفيراً عليك ، وأحب أن تجعل العوض منها
الغلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أحوج منك . » فقال ابن
مدبر : هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل ،
كيف آمنه إذا كان يرد الأعراس والأموال ، ويستهدي الرجال ويستأثر
عليهم ، ولم يجد ابن مدبر بداً من أن يبعثهم إليه ، فتحولت هيئته
إليه ، وتقصت هيئته هو بمفارقتهم مجلسه ، وزال جلالهم له بين يديه
في ركوبه ، وكتب يخبره إلى الحضرة . ونى الخبر إلى أحمد بن طولون
فأسرّه في نفسه ولم يبده ، فأقام أحمد بن طولون أيام المعتز ، فلما مات
وجلس المهدي بالله ، كان في نفسه على باكبك ما بعثه على قتله إياه ،
وردّ جميع ما كان له وفي يده إلى يار جوخ التركي . وكان بين يار جوخ
وبين أحمد بن طولون أجل مما كان بينه وبين صاحبه باكبك ، لما
قدمنا ذكره من تزويجه ابنته من زوجته التي كان المتوكل أزوجه

(١) أي خاف أحمد بن طولون (٢) تنبهه عدّه غيبة

إياها ، وكانت من جواريه ، وكان لها محل وجلالة خطر ، فكان
بارجوخ من أكبر عدد أحمد بن طولون

تثبيت ابن طولون
في إمارة مصر

فلما حصلت مصر لبارجوخ ، في جملة ما حصل له من أمورا كباك ،
كتب إلى أحمد بن طولون يعرفه ما جرى ويقول : تسلم من نفسك
لنفسك . وزاده جميع الأعمال الخارجة كانت عن مصر . وكتب إلى
إسحق بن دينار^(١) ، وهو متقلد الإسكندرية بتسليمها إلى أحمد بن
طولون ، وعظمت منزلته ، وورد على ابن مدبر ما زاد في قلقه وغمه ،
ودعته الضرورة والخوف منه إلى ملاطفته ، والتقرب من قلبه .

طلب موسى بن
طولون ولاية
الإسكندرية

كان موسى أخو أحمد بن طولون رجلاً فيه خير ، فلما حصلت
الإسكندرية لأخيه ، وهي بلد ثغر ، أحب المقام بها ، فسأل يعقوب
أبا يوسف الكاتب ، الذي كان ضمه الوزير إلى أحمد بن طولون عند
رحيله إلى مصر أن يسأل أخاه في تقليده إياها ، وكانت بينه وبينه
مودة ، فقال له : ابتدئ أنت بالقول ، وأنا أكفيك إذا خلوت به ،
فخاطب أخاه على مضض منه ، لأنه كان لما قدما البلد أمر فيه ونهى ،

(١) في المختصر من ابن الداية أن بارجوخ ردّ إلى أحمد بن طولون الأعمال الخارجة
عن معونة مصر إلى يده فتسلم من إسحق بن دينار الإسكندرية ومن أحمد بن عيسى
الصعيد وبرة .

كما^(١) يفعل الأخ الشقيق [مع الشقيق] فتقتل ذلك على أخيه ، حتى إنه قصد قومًا كان أخوه يعتني بهم بالأذية .

وأمسك موسى عما كان يعمله ويحمل مسأله ، فيخرج من البلد ولا يكون معه فيه لما بينته . فلما سأله ردّ عليه ردّا ضعيفاً فأغضبته ذلك ، فقال له : تالله لقد آيست منك ومن مرتبة أنا لها بك في الدنيا ، وإنما طلبت هذا البلد لأنه ثغر من الثغور ، اخترت المقام فيه والتعبّد ، فوعده بتقليده إياه .

وكان أحمد بن طولون يتوقع من يارجوخ إنفاذه إليه الكتب بولاية الثغور الشامية ، وقد رشح أخاه موسى لتقليده إياه طرسوس ، فإنها أجلّ مما طلب منه ، وأسرّ ذلك إلى أن ترد الكتب به عليه ، وأراد أحمد بن طولون بولاية أخيه طرسوس إحياء ذكره بالشعر لأنه كان أغلب البلدان على قلبه محبةً ، وآثرها عنده .

وعزم أحمد بن طولون على الخروج إلى الإسكندرية لمشاهدتها وتسلمها ، فسأل موسى أبا يوسف الكاتب معاودة أخيه في أمرهاله ، حسب ما وعده ، فخطبه في ذلك فوعده أيضاً . وخرج أحمد بن طولون إليها مرابطاً ، فرحاً بما حصل له منها ، لمحبتته انشغور لا غير ، وكان ذلك في سنة ست وخمسين ومائتين

(١) قال أحمد بن يوسف : قلت لأبي جعفر محمد بن موسى بن طولون ، وكان لي صديقاً وبني حقيقاً ، وقد رحل إلى مصر بعد قتل أبي الجيش : لم تطل مدة أبي عمران موسى مع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون بمصر ، وأحب أن أقف على السبب في ذلك ، وما الذي فرق بينهما ؟ قال : لما دخل والدي إلى هذا البلد أمر فيه ونهى كما يفعل الشقيق مع الشقيق فتقتل ذلك على أحمد بن طولون قصد بالأذية من قدم والدي العناية به ، فأمسك عن الأمر والنهي .

فحدث الواسطي أحمد بن محمد كاتبه عنه أنه قال لما وردت عليه الكتب برد الأعمال الخارجة إليه : الحمد لله كثيراً ، وقال : تركنا لله عز وجل شيئاً واحداً ، عوّضنا منه أشياء أعظم منه وأجود وأحمد عاقبة . كانت نهاية ما وعدنا به على قتل المستعين بالله تقليد واسط ، نفخنا الله عز وجل في قتله فلم نقتله ، فعوّضنا جل اسمه مصر وغيرها . فلما قرب من الإسكندرية تلقاه إسحق بن دينار ، وقد كان وقف على ما جرى ، وتوقع صرفه عنها فخرج إليه حتى لقيه بأبعد الموضع ، فلما رآه ترجل له ، وأعطاه بحق الرياسة عليه ، فأحشم^(١) ذلك منه أحمد بن طولون وكان حياً ، رقيق الوجه ، فاستحيا منه أن يصرفه عن البلد فأقره عليه .

اغتيال ابن
طولون بولاية
مصر

وجعل موسى يتربص من أخيه إنجاز وعده له ، فلما طال ذلك سأل أبا يوسف أيضاً المسألة ، وقال له أبو يوسف : أيد الله الأمير ، أخوك منتظر لو عدك ، فقال له : ويحك قد كان ما وعدت به ، وتالله إني لآمل له ما هو أجلُّ منه ، وقد ترى ما صنعه هذا الرجل معنا من الجليل ، على محله أيضاً في نفسه ، ولا والله ما يحملني وجهي أصرفه عن عمله ، فتلطفت لي في أن تصرف رأي أخي عن هذا الأمر ، وقل له إن أخاك يرشحك إلى ما هو أجلُّ من هذه المدينة ، واحذر أن تطلع على شيء مما ذكرته لك من أمر ابن دينار . فلما سأله موسى عن الجواب

مطالبة موسى بن
طولون بوعده
أخيه وضربه
مقارع بيد أحمد

(١) أحشمه عنه وعنه وحشمه واحشمه أخجله .

عرّفه أن أخاه يرشحه لما هو أجلُّ مما طلبه ، فلم يثنه ذلك وقال :
 ما أريد سوى هذه المدينة ، وهي أحب إليّ من كل ناحية جليّة ، فلما
 رآه أبو يوسف لا ينتهي عنها كشف له الخبر ، لما كان بينه وبينه من
 المودة ، ولأنهما كانا يجتمعان على التعجب من مصادر أمور أحمد بن
 طولون ومواردها ، وأن الحظّ قد عمل له ما لم يقدّره ، حتى إنه قد
 حسن قبيحه ، وأصلح رديته .

فاغتاز موسى مما حكاه له أبو يوسف ، وصار إلى أخيه وقال له :
 بخلت عليّ بما لا مشقّة عليك فيه ، وخاطبه بدالّة الأخوة ، بكلام فيه
 غلظ ، بمحضرة الناس ، إلى أن قال له : ما أحسبك تخرج من الدنيا
 سالماً ، لقطعك لرحلك ، وسوء نيتك ، وتفضيلك غلمانك ، ومن تختاره
 بسوء رأيك على أقرب الناس منك ، قلن الله جوارك وأراحني منه ،
 فأمر به فبطح وضربه بيده مقارع يسيرة . فعانّب الناس موسى على
 ما خاطب به أخاه وقالوا له : ليس أخوك اليوم هو الذي تعهده وتعرفه ،
 فوفّه حقّ الرئاسة ، واطرح دالّة الأخوة ، فلم يقبل ، وكان فيه لجأج
 وكبر نفس ، فراسله في أن يكتب له جوازاً ليخرج عن البلد ، فتغنم
 ذلك أحمد بن طولون منه ليريج قلبه منه ، ومن دالّته عليه ، فكتب
 له الجواز وأمر له بال كثير فلم يقبله ، وخرج غضبان إلى طرسوس ،
 فقبض أحمد بن طولون على أبي يوسف وقال له : أظهرت لأخي ما أمرتك

بستوه عنه ، فأوحشت بذلك ما بيني وبينه ، وأتفذه من الإسكندرية
إلى المطبق^(١) بمصر .

وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندى فلسطين
والأردن فلما مات توثب ابن شيخ عليهما ، وقال : هي من عملي
وحمل أحمد بن مدبر مالا إلى السلطان من مصر ، مبلغه سبعمائة وخمسون
ألف دينار ، فقبض أيضاً عليه ابن شيخ وقال : إنا نحتاج إليه للرجال ،
ففرقه في أصحابه . وبلغه اضطراب الأمور بالحضرة فقويت شوكته ،
فجمع الجوع ، وقوي طمعه في التغلب على الشامات بأسرها ، وشيخ
الناس ، لما رأوا من قوة أمره ، أنه على أن يتغلب أيضاً على مصر ، وأنه
مجدد في ذلك

توثب ابن شيخ
على فلسطين
والأردن

فأتفد المهدي بالله حسين الخادم المعروف بقرق الموت^(٢) ومعه
الكرزى وأبونصير المروزي^(٣) الفقيهان ، ومعهما عهد على أنه إن رد
ابن شيخ المال الذي أخذه ، وحمل ما وجب عليه عما كان يتقلده ،
وانصرف عن الشامات ، سلمنا العهد إليه وانصرفا عنه ، فإن لم يفعل لم
يسلما العهد إليه ، وكاتباً بخبره ، ليدبر أمره بما يجب

(١) المطبق كمعسن : سجن تحت الأرض .

(٢) قال القاضي في العتاقة والتتويج : قرق الموت يضرب مثلاً لأشد الشدة ، وكان حسين
الخادم خادماً المنفعة المكتفى الذي كان يتولى البريد لقب بقرق الموت ، وقيل إن المكتفى لقبه بذلك .

(٣) الكرزى هو عميد بن محمد الله الكرزى القاضى وأبو نصر هو اصحاب بن عبد الله المروزي
المروف بأبي نصر (ابن جرير الطبري) .

فلما وردا عليه وخاطباه في ذلك ، احتج في المال بأنه قد استهلك على الرجال ، ثم لم يجبهما إلى شيء مما يجبونه . وورد الخبر بقتل المهدي وجلوس المعتمد فلم يدع له ابن شيخ ، ولا أخذه بيعة على أصحابه ، وأراد أن يوهمهما بذلك منه ، فبلغ منهما فعله ، واستعمل حسين الخادم مداراته بأن دفع إليه عهده على إرمينية حتى أقام الدعوة للمعتمد وأخذ له البيعة ، وعمل ابن شيخ على أن يستخلف على إرمينية ولا ينصرف عن أعماله ، وتخلص حسين الخادم والكريزي والروزي منه بما فعلوه ، وعادوا إلى بغداد ، فعرفوا المعتمد ما كان من ابن شيخ

وكتب إلى أحمد بن طولون يأمره بأن يتأهب للخروج إلى ابن شيخ وأمره أن يزيد في عدته ، وكتب إلى ابن مدثر أن يطلق له من المال ما أراد لذلك ، فتبعهما أحمد بن طولون فعرض الرجال ، وأثبت من يصلح إثباته ، واشترى العبيد روماً وسوداناً ، وجدد آتته وكل ما يحتاج إليه ، وخرج وراسل ابن شيخ بقيس بن حفص كاتب بكار بن قتيبة وبأحمد بن يحيى السراج ، وجعلها معذرة بينه وبينهم قبل إيقاع الحرب ، [وأوعز] إليهما بأن يدعوا إلى طاعة السلطان ورد ما أخذه من ماله المحمول كان من مصر ، فأجابه بجواب قبيح ، فلقياه بالجواب وقد نزل بالعباسة ^(١) فورد الخبر عليه بأن المعتمد قد أنفذ أيضاً إلى ابن

مبدأ قوة ابن
طولون بالاسكندرية
من الجند

(١) قرية كانت بين بليس والصالحية في مديرية الشرقية على خمسة عشر فرسخاً من القاهرة ويقول القريري أنها كانت متنزهاً للملك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك العباس .

شيخ بعلام من غلمانه يعرف بـ ماجور الا فرنجي^(١). وأقام أحمد بن طولون بموضعه إلى أن يعلم ما يكون من ماجور مع ابن شيخ. فلما قرب ماجور من دمشق أنفذ [عيسى بن شيخ] إلى ماجور ابنه منصور، وكان من الشجعان الفرسان، وبخليفته وبجباة من فرسان عسكره، فوافياه في جيش كثيف وأمرهما أن يمنعا دخوله دمشق وأن يحاربا، فالتقى العسكران فأول من قتل منصور بن شيخ وجماعة من وجوه أصحابه، وأسر خليفته، فضرب ماجور عنقه وصلبه مع منصور، وانهزم سائر عسكرهم، ولم ينج منهم إلا ذو فرس جواد عتيق.

ودخل ماجور دمشق عزيزاً مظفراً. فلما اتصل الخبر بابن شيخ وقتل ولده وخليفته وصناديد عسكره، انخزل وفّت ذلك في عضده^(٢)، وانكسرت نفسه، وضاقّت به الشامات، فرحل عنها على طريق الساحل يريد إرمينية، وبلغ خبره ماجور فوجه بن قبض على أعماله كلها، واستخلف عليها خلفاء من قبله، ونقلد أعمال الشامات كلها، وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين.

وعاد أحمد بن طولون إلى مصر، وقد استكثر من العبيد والرجال والآلات، فضاقّت به داره، وكان هو والأمرء من قبله يسكنون

بناء القطائع
والقصور
والأسواق
وامتداد العمران

(١) المشهور أـ ماجور التركي (٢) قت في عضده إذا كسر قوته وفرق عنه أعوانه .
(٣) في معجم المصادر أن جيش طولون بلغ مئة ألف وفي قاموس الأعلام لشمس الدين ساعي أنه بلغ مئتي ألف وإن بلاده أصبحت أشبه بدولة مستقلة .

في الدار التي تعرف إلى اليوم ببلد الإمارة التي لها بابان ، أحدهما بالحارة المعروفة بجوض أبي قديرة ، والمعروف إلى اليوم بباب الخاصة وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانية ، وكان باب الشرطة أيضاً أحد أبوابها ، وكانت كلها داراً واحدة ولها باب إلى المسجد الملاصق للشرطة ، وكان يجمع فيه الجمعة ، وفيه منبره ومقصورته إلى اليوم ، وإنما فُرِقت هذه الدار حُجراً بعد دخول محمد بن سليمان البلد ، وبعد انحلال أمر آل طولون ، وكانت في أيام هارون بن خمارويه قد صيرت ديواناً للخراج .

فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل ، فاخطت فيه قصراً ، وأمر أصحابه وغلماؤه وتبأعه أن يخطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه ، فاخطت الناس وبنوا ، حتى اتصل البناء بعمارة البلد ، وهي هذه الدور الشارعة من حد قيسارية بدر إلى سوق الدواب .

واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر إلى أن جاوز المدينة ، ثم قطعت القطائع ، وسميت كل قطعة باسم من يسكنها ، فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطعة أخرى ، وللفراسين قطعة مفردة ، ولغيرهم من كل صنف من الغلمان ، وبنى القواد مواضع متعددة ، فعمرت عمارة حسنة ، تفرقت فيها السكك والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها ، فسمي منها سوق العيارين^(١) يجمع فيه البزازين والعطارين ،

(١) البازار الكبير الجمي - والذهب ولله يقصد المكثرين من المساومة في الشراء والبيع .

وسوق الفامين^(١) [يجمع] فيه الجزارين والبقالين والشوائين ، وكان في دكاكين الفامين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن ، وسوق الطباخين [يجمع] فيه الصيارفة والخبازين وأصحاب الحلواء ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقاً حسناً عامراً نبيلاً صينياً .

فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن

قصر ابن طولون

وبني قصره ووسعه وحسنه ، وبني فيه ميداناً حسناً يضرب فيه بالصوالجة^(٢) ، فسمي القصر كله الميدان من أجل الميدان . فكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير سُئل عن ذهابه فيقول إلى الميدان ، وعمل له أبواباً وسمي كل باب منها باسم ، فمنها باب الميدان ، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وسمي باب الصوالجة ، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته ، و[ما] كان مما يلي المقطم سمي باب الجبل ، وباب الحرم ولا يدخل منه إلا خادم أو حرمة ، وباب سمي باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرمون^(٣) لأنه كان رجلاً أسود

(١) الفامي : بائع التوم أي التوم والخطة والحس والخبز وبائر الجيوب التي تخبز .

(٢) الصوالجان : المصنوع ج صوالجة . (٣) في رواية الدرغوث وفي أخرى الدرموث .

عظيم الخلق ، وقلد النظر في جنائيات الغلمان السودان ، والرجالة خاصة ،
فسمي باب الدرمون ، وباب آخر سمي باسم حاجب كان عليه يقال
له دعناج ، وباب عمل من خشب الساج سمي باب الساج ، وباب في
الشارع الأعظم ، كان يخرج منه إلى الجامع الذي بناه فسمي باب
الصلاة ، وصور عليه سبعين من جيش . وهذا الباب قائم بحاله إلى
اليوم ، وهو يعرف بباب السباع أيضاً في أول سوق الدواب . وكان
الطريق الذي يعرج منه الفاصل إلى قصره طريقاً واسعاً ، ولم يكن
يكتنفه باب واحد ولا بابان ، فقطعه بجائط ، وعمل فيه ثلاثة أبواب
كأكبر ما يكون من الأبواب [وكانت] الدروب متصلة كلها واحد
إلى جانب واحد ، يفرق بين الناس الركن الذي ينصفق إليه الدرب .
فكان إذا ركب أحمد بن طولون لعيد أو لغيره يخرج عسكره
منه ، متكاثف الخروج ، على حسن ترتيب بغير زحمة ، ويخرج هو من
الباب الأوسط منها ، لا يختلط به أحد ، فتلك السكة إلى اليوم تسمى
ثلاثة أبواب . ومن هذه الأبواب واحد قائم إلى اليوم ، ودخل البابان
الآخران بعدهما في بناء الناس لما انتقضت أيامهم وخربت انقطاع .
وكانت أبواب قصره ، التي سمينا قبل هذا ، تنتح بعد عرض
الجيش أو يوم صدقة ، وسائر الأيام تنتح على ترتيب في وقت ،
وتغلق في وقت ، وكان له في قصره مجلس يشرف منه يوم العرض ،
ويوم المساكين ، فينفذ منه من يدخل إلى جنب الخارج ، فكانوا

يردون من باب الصوالجة ويصدرون من باب السباع .
 وبني على باب السباع مجلساً يشرف منه ليلة العيد على القطائع ، فيرى
 اضطراب العلما في تأهيبهم ، وتصرفهم في حوائجهم ، على مقدار كل
 واحد منهم ، فإذا شاهد من واحد منهم يسيراً من الاختلال ، أمر له
 في الوقت بما يتسع به ، ويزيد في جماله . وكان يشرف منه أيضاً على
 البحر ، وعلى باب المدينة وما والاها ، وكان متزهياً حسناً .
 وكان يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة ، فلما ضاق عنه
 بني الجامع الجديد ، بما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل ،
 في الموضع المعروف بتنور فرعون ، ومنه بني العين المعروفة بعين أبي ابن
 خلد . وتولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة . ونحن
 نأتي بخبره إن شاء الله .

واتسعت أحواله بعد فراغه من بناء الجامع ، وكثرت اصطبلاته
 لكثرة كُرَاعه ، وعظم صوته ، فلما بلغ ماجور خبره خافه وهابه ،
 وكتب إلى الحضرة يقول : « أما بعد فإنه قد اجتمع لأحمد بن طولون
 أكثر مما كان يجتمع لأحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوف منه أكثر ،
 إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ » وكتب أيضاً أحمد
 ابن مدبر وشقير الخادم صاحب البريد بمثل ذلك ، فكتب [الخليفة]
 إلى أحمد بن طولون : « أما بعد فإننا رأينا أن نردَّ إليك أمر دارنا
 بالحضرة ، وتديبر مملكتنا ، فإذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على

الوشايات باب
 طولون إلى بغداد

قصرك^(١) من أحببت ، والبلد لك وباسمك ، واشخص إلينا لما ندينك
إليه ، ورأيناك أهلاً له ، والسلام . »

إرساله الهدايا إلى
أرباب المكاتب
الحضرة

فلما قرأ أحمد بن طولون الكتاب علم بما فيه من الدهاء والذكاء ،
والعقل وحزم الرأي ، أنها حيلة تُوقع عليه ، فأنفذ كاتبه أحمد بن محمد
الواسطي إلى الحضرة ، وحمل معه مالاً كثيراً إلى الوزير ، وكان
يومئذ الحسن بن مخلد ، وحمل إليه مع المال كل شيء يحسن غريب ،
من دق^(٢) تينيس ودمياط ، ومن الخيل والبغال وغير ذلك ما يجوز
الوصف حسناً ومقداراً ، وسأله أن تشمله عنايته في أن يطلق له ولده
وحرّمه ، وكتب إلى يار جوخ صاحبه بما كتب به إليه ، وعرفه ما كاتب
به الوزير ، وسأله مسألته في أمره ، وحمل أيضاً إلى يار جوخ مالاً
ومتاعاً ، فلما وصل كتابه إلى الوزير وماحمله معه ، قال لكتابه : « لَنْ
نُزججه عن عمله ، ولا يُقبل فيه قول ساعٍ سعى فيه » وركب إليه يار جوخ
فسأله فأجابه إلى إنفاذ ولده وحرّمه ، وأقر ولده في عمله ، وركبا إلى

(١) لعلها مصرك .

(٢) في الأصل دق وهو الكتان وإذا قرئت ديق فإن ديق على ما قال القرزي في
الخطط قرية من قرى دمياط تنسب إليها الثياب المثقلة والهاثم الشرب الملوثة والديقي المعلم المذهب وكانت الهائم
الشرب المذهبة تصل بها ، ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقائق ملسوجة بالذهب فتبلغ الهامة
من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والقرل . وفي كنوز الفاطميين أن الثياب الديقية نسبة
إلى ديق وقد كانت في العصور الوسطى بلدة من أعمال دمياط وربما كان موقعها الآن على
مقربة من قرية ديبج الواقعة جنوبي السبلاوين واشتهرت ديق بصناعة المنسوجات الموشاة
بجيوط الحرير والذهب ولم يلبث اسم الألبسة الكتانية المنسوجة فيها (الديقى) أن أصبح طاماً
على نوع من السيج كان يصنع فيها وفي غيرها من البلاد كاسيوط .

أمير المؤمنين فأحسننا القول فيه، وصغرا ما كتب به ماجور وابن مدبر
وصاحب البريد، فأمر بتثبيت يده في عمله، فكتب إليه الوزير
ويار جوخ بذلك، وأطلق له حرمة وولده فحملها كاتبه إليه، ووافاه
وقد بلغ له ما يحبه .

فلما ورد كتاب الوزير بذلك عليه، سره غاية السرور، وتصدق
من وقته بصداقات جليلة كثيرة، وحمل إليه الوزير أيضاً هدايا حسناً،
ومالاً كثيراً، وكتب إليه يشكر ما كان من تطوُّله عليه، واستدعى
منه أن ينفذ إليه كُتُب من يكتب فيه من العمال بمصر وأهل البلد،
فلما ملك به قلب الوزير وملاً به عينه، بعثه على أن أنفذ إليه
ما استدعاه، فأنفذ إليه كتاب شقير صاحب البريد بمصر يقول له :
« إن أحمد بن طولون على التغلب على مصر والعصيان بها » ثم أنفذ إليه
كتباً من ابن مدبر بمثل ذلك .

فأحضر أحمد بن طولون شقيراً الخادم راجلاً من داره، وتقدم
بأن يُتَمَتَّع^(١)، ويكدَّ في عدوِّه، من داره بمصر إلى الميدان، وكان
شقير الخادم مبدئاً مرفهاً، وقصد أحمد بن طولون، لعلمه بذلك منه،
أن يقتله التعب، فلم يصل إليه إلا وقد كادت نفسه تخرج . فلما
مثل بين يديه أمر بأن تحضر السياط والعقابان^(٢) فأحضرا وأمر بشده

إهلاك ابن
طولون لأحد
أعدائه بالحجر
والحجر

(١) تمتع : قتله وحركه جنف أو أكرهه في الأمر حتى قلق .

(٢) العقابان : خنبتان يشح الرجل بينهما الجلد .

في العقابين وغفل عنه ، فاستغاث ساعة ، وسقطت قوته ووقع ، وتبين فيه الموت فلم يُضرب ، وأمر برده إلى داره راكباً ، فلما حصل فيها مات آخر نهار يومه .

وأنفذ أحمد بن طولون إليه العدول حتى شاهدوه عرياناً وأنه مات من غير ضرب ولا سبب غير فناء أجله . فكان علم أحمد بن طولون بأن ما عمله يبلغ به ما يُحب من أمره من غير مكروه ضرب ولا غيره حسناً .

وكان ابن هلال قد تقرب من قلب أحمد بن طولون وتعبَّد^(١) له ، وكان له بمصر محل ونبل ، فسأله أن يكتب إلى الحضرة يطلب له الخراج ، فلموضعه منه ولما في نفسه من ابن مدبر سارع إلى ذلك ، وأكدا القول فيه إلى يار جوخ وإلى الوزير ، فوردت عليه الكتب بتقليد ابن هلال عمل ابن مدبر ، فقبضت يد أحمد بن طولون على الاستخفاف بابن مدبر ، والسعي فيه ، وقبض عليه وحبسه في داره ، بحال سيئة .

وولي المعتمد فردَّ الخراج ، باضطراب أخيه في أمره ببغداد ، إلى ابن مدبر ، ووردت الكتب بذلك على أحمد بن طولون ، فأطلقه وتسلم الخراج ، ولم يمكنه الإساءة لابن هلال ، لموضعه من أحمد بن طولون ، وانحرافه عنه هو ، لما في نفسه منه ، فتأمل ابن مدبر أمره ، فإذا به يخاف من أحمد بن طولون خوفاً لا يأمنه أن يأتي عليه ، فكتب إلى

حسن حالته في
ارضاء حكومه
ببغداد .

(١) تعبد فلاناً اتخذه عبداً كاعتبده ، وتعبد له : تذل .

أخيه يقول: تلتطف لي في التخلص من أحمد بن طولون والخروج عنه، فأورد أخوه عليه الكتاب بتقليده جندى فلسطين والأردن ودمشق، وقلد أبو تراب أحمد بن شجاع^(١) ابن أخت الوزير الخراج بمصر، وذلك في سنة ثمان وخمسين ومائتين.

فاستعمل أحمد بن مدرّمع أحمد بن طولون التلطف والحيلة في الخلاص منه، ووهب له ضياعاً كان يملكها بمصر جليّة المقدار، وعقد نكاحاً بين أبي الجيش ابنه وبين ابنته فحلة^(٢)، وخرج فخرج أحمد ابن طولون معه مشياً له.

واستمال أحمد بن طولون معمر الجوهري، وكان له محل جليل بمصر وبغداد، وأخذ كتبه إلى أخيه ببغداد وإلى حدري وجباب^(٣) الجوهريين، وكانا أجل أهل سرّ من رأى، وإلى جماعة من وجوه التجار بها، بأن يدفعوا إلى خليفته بالحضرة كل ما أحب من المال، وإن احتاج إلى ضمانهم عنه في شيء يحتاج إليه من المصانعة ضمنوا وكتبوا له بذلك، ليأخذ العوض منه بمصر.

فكان خليفة أحمد بن طولون بالحضرة طيفور التركي، وكان جلدأ شهماً ثقة، فكان كلما بلغه عن واحد من القواد أنه قد طلب

حسن حيلة وكيّله
في دار السلام

(١) في اس الداية: أحمد بن محمد بن اخت. (٢) في ابن الداية: وبين طفلة من ولده. (٣) في الجواهر للبيروني أن من أشهر الجوهريين في الأيام الروائية والعباسية ابن حباب وذكر أيضاً رجلاً اسمه عتاب الجوهري في عهد اس طولون وقبله اما حدري فلم يهتد إليه ولم نصحح اسمه.

عمل مصر وُندب لها ، لأن الموفق كان إذا تعذر عليه الرجال ، أو أكدوه^(١) ، قال : مصر خزانة السلطان وفيها أمواله فليخرج إليها أحدكم . فمن همَّ بذلك من القواد ، أخذ طيفور خليفته من التجار ما يريد من المال ، على قدر محل الرجل ، وركب إليه وقال له : أخوك أبو العباس أحمد بن طولون كتب إليّ يقرأ عليك السلام ، ويشكو شوقه إليك ، ووحشته منك ، ويقول لك : يا أخي وسيدي ، بعد الطريق ، وخوف العوائق ، امتنعت أن أحمل إليك من هدايا مصر ، فتطوّل ببسط عنصري في ذلك ، واصرف هذه الدنانير فيما تحتاج إليه ولا تُخلني من مكاتبتك وأخبارك وأحوالك وحوائجك فإني أَسر بذلك . ويدفع إليه المال من ثلاثة آلاف دينار إلى ألفي دينار ، إلى ألف دينار على مقدار الرجل ، فيلحق الرجل من ذلك احتشام ويمتنع من أخذه ، حتى يسأله طيفور ويخاطبه عليه بما يزيل احتشامه فيأخذه ، وقد كبر أحمد بن طولون في قلبه ، وعظم في صدره ، وملكه جميل فعله ، وإذا ذُكرت له مصر استبعد طريقها ، وثاقف عن قبول نقلها ، وإن كان هو الخاطب لها أضرب عن ذكرها . ولا يخلو أيضاً من أن يسكون بينه وبين انتجار الذين قد كاتبهم معمر في أمر أحمد بن طولون معاملة فيصيرون إليه ويطالبونه بما لم عليه من المال ، ويقولون له : أنت قد عزمتم على الخروج إلى مصر وهو بلد لا تُرجى

(١) أكداه : ألح عليه في المسألة .

فيه سلامة من يخرج إليه ، لأن من قصده إنما يقصده مائة ألف عنان . فمن سمع هذا ولو لم يكن حصل له مال ، يجب قلبه ^(١) ويقوى امتناعه ، فكيف وقد انضاف إلى ذلك ما صار إليه ، فإذا حلف لهم أنه لا يخرج ، قيل له : جوزيت لبس تحصل إلا على فساد ما بينك وبين أحمد بن طولون ، وقتل أصحابك وذهاب مالك ، إن سلمت نفسك ، فيزداد بذلك امتناعاً ، ولما فعل في أمره خوفاً واحتشاماً ، فكانت هذه الأحوال تقوي أمره ، ويزول عنه ما يتخوفه ، لأنه علم أن بلده مذبوم مظلوم .

ولما دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين خرج رجل علوي لقب نفسه ببغا الكبير وذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا ، بين برقة والاسكندرية بوضع يعرف بالدرين (?) ، ثم صار إلى صعيد مصر ، فوجه إليه أحمد بن طولون قائداً يعرف بهم بن الحسين ، فكانت بينهما وقعة قتل العلوي في معركتها ، فأخذ رأسه وانهزم أصحابه وتمزقوا .

خارج على ابن طولون بين برقة والاسكندرية

ثم خرج بعده في سنة ست وخمسين ومائتين رجل ذكر أنه إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان يعرف بابن الصوفي أيضاً . وجاءت

خارج آخر في الصعيد

(١) يحقق (٢) في تاريخ اليعقوبي أن الواثق رجل من الطالبيين يقال له إبراهيم بن محمد من ولد عمر بن علي ويرف بالصوفي .

الأخبار أنه دخل إسنا^(١) فنهبا ، وعاث وأفسد في نواحيها^(٢) ، فوجه إليه أحمد بن طولون بقائد من قواده يعرف بابن يزداد فظفر به العلوي فقطع يده ورجله وصلبه ، فبلغ ذلك أحمد بن طولون فأنفذ إليه بهم بن الحسين ، فالتقيا بنواحي إخميم^(٣) ، فهزم العلوي ونهب سواده ، وقتل خلقاً كثيراً من رجاله وانقل أمره^(٤) . وعاد بهم بن الحسين إلى أحمد ابن طولون فعرفه بما جرى من أمرهم ، فخلع عليه خلعاً حسناً وطوقه بطوق ثقیل من ذهب صامت ، وأجازة وقاديين يديه خيلاً حسناً ، فكان بهم إذا ركب في الأعياد يركب بذلك الطوق .

ودخل ابن الصوفي^(٥) إلى نواحي الواحات^(٦) وأقام مدة ، ثم ظهر

(١) اسنى بالكسر ويفتح : بلد بصعيد مصر ويرسوتها جردنا هكذا « اسنا » وهي اليوم من عمل مديرية قنا . (٢) ذكر المؤرخون أنه ظهر في سنة ٢٧٠ هـ علوي اسمه أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بصعيد مصر فقتله ابن طولون على باب أسوان وحمل رأسه إلى القلعة .

(٣) إخميم : بلد بالصعيد على شاطئ النيل وهو اليوم مركز من المراكز في مديرية جرجا قال البرقي وهو الموضع الذي فيه البحري بصعيد مصر . (٤) فله وظله ثلثة قتل والقتل .

(٥) قال اليعقوبي : في هذه السنة (٢٥٧) أخرج أحمد بن طولون الطالبيين من مصر إلى

المدينة ووجه معهم من بغداد ، وكان خروجهم في جمادى الآخرة وتخلف رجل من ولد العباس ابن علي وأراد أن يتوجه إلى المغرب فأخذه أحمد بن طولون وضربه مائة وخمسين سوطاً وأطاعه

فالمسائط وكتب اليها العلامة كرتكو يقول ان زمان احمد بن طولون كان عهد افراط دماء الشيعة في أكثر أقطار الاسلام وكانت في مصر نفسها ثورات عدة وأهم من ذلك أنه كان وراء هذا

كله ثورة الزنادقة المانوية على الاسلام وكانوا يسترون تصدهم بالدعاء لآل بيت النبي (عليه الصلاة والسلام) وترى أن أبا أحمد بن طولون وأريد موسى بن طولون وكان بطرسوس لما غضب

عليه أحمد أمر بليس الياس وهو اعلان ميله الى الشيعة (ولادة مصر للكندي ص ١٦٢ س ٢٧) (٦) الواحات : وأحداه واح قال ياقوت : أعطاها قطية وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي

الصعيد والواحات الأولى مقابل اليوم تمتد الى أسوان وهي أكبر الواحات وراية كورة أخرى يقال لها واح الثاني وخليفتها جبل تمتد كامتداد الذي قبله وراية كورة أخرى يقال لها واح الثالثة وهي

دون الأولين في الهامة ومدينة الواحات الثالثة يقال لها بشتية وهي أكبر من الأولى وأهمها

في نواحي الأشمونين^(١) ، فأنفذ إليه قائداً يعرف بابن أبي المغيث^(٢) ، فوجده قد صاعد إلى الصعيد ، لقتال رجل ظهر بالصعيد ، زعم أنه عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله يكنى أبا عبد الرحمن^(٣)

وكان السبب في خروجه أن البجة^(٤) أقبلت في يوم عيد بقدمهم رجل أعور مارد ، كلهم ركبان على الثجب ، حتى كبسوا الناس في مصلام ، وقتلوا فيهم ونهبوا ورجعوا من حيث جاءوا سالمين ، وكان لهم قبل ذلك مقدمات كذلك ، فخرج هذا العمري غضباً لله عز وجل وللمسلمين ، فكن لهم في طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم فكبسهم ، وقتل رئيسهم الأعور ومن معه ، ولهذا السبب كانت الطولونية وغيرهم من الأمراء وإلى اليوم يوقفون من سفح الجبل مما يلي الموضع المعروف بالجيش جيشاً كثيفاً ، مراعيًا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد .

قال آخر في بلاد
البجة

(١) يقول ياقوت : أشمون واهل مصر يقولون الأشمونين من بلاد الصعيد مدينة قديمة أزيلت وهي اليوم حاضرة ومن عمل أسبوط . (٢) في رواية : الفيت بدل للثيت . (٣) ورد اسمه في البخاري هكذا : عداقة بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عداقة بن عمر بن الخطاب . وفي خطط التبريزي هكذا : أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري .

(٤) يقول التبريزي في المخطط أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالحجرة (لها الحرة) بمدن الزمر في صحراء قوس ومن هنا الموضع ومن قوس نحو من ثلاث مراحل وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة ومن في بلد هذه الجزيرة تأتي جزيرة مصر إلى سيف البحر المالح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودحك ومن بادية (وقد قل غللاً مهاباً في تاريخهم قدامنا) .

ثم دخل هذا العمري إلى بلاد البجة فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وضيق عليهم بلادهم ، وصار شجراً في حلوقهم ، حتى أدوا إليه الجزية استكفافاً له ، وما أدوها لأحد قبله ، فكان لا يعرض لأحد من الناس بأذية لا ذمي ولا ملي ، وكان مسالماً للنوبة ، للعهد الذي لم حتى بداله الثوبى الأول الذي بالموضع المعروف بمريس^(١) فعطف عليه العمري ، وأحلاه عن دياره ، وحرّق مدائنه ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، حتى إنه كان الرجل من أصحابه يشتري الحاجة من البياح أو من البقال . بنوبى^(٢) أو بنوية ، لكثرتهم كانوا في أيدي أصحابه .

فلما التقى هو والعلوي كنت بينهما وقعة انهزم فيها العلوي ، وصار إلى ناحية أسوان^(٣) ، فعاث بها وأفسد ، وكتب بخبره إلى أحمد بن طولون فكتب إلى بهم بن الحسين يأمره بأن يصاعده في طلبه حيث قصد . فلما اتصل الخبر بالعلوي مضى هارباً إلى عيذاب^(٤) وركب البحر إلى مكة وتفرق عنه أصحابه ، فلما حصل بمكة بلغ خبره صاحب مكة فقبض عليه وحبسه عنده ، ثم حمّله إلى أحمد بن طولون ،

(١) كنا ولعلها المريسة جزيرة في بلاد النوبة كبيرة كما في معجم البلدان وسريسة قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد ينسب اليها بشر بن غياث الربيى العلامة المعتزلى المشهور
(٢) أسوان بالقسم : بلد صعيد مصر وعمله اليوم واسع وهو آخر ولايات مصر من الصعيداً ومديرياتها .
(٣) في معجم البلدان أنها بلدة على صفة بحر القلزم أي الأحمر وهي مرسى المراكب التي تهم من عدن الى الصعيد . كانت ملتقى الحاج ودرت في القرن العاشر وهي على البحر الأحمر جنوبي رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ - درجة و ٢٠ دقيقة يقابلها من الغرب على النيل قرية ابوسنبل من مركز الدر الواقعة شمال بلدة حلفا على بعد ٦٦ كيلو متراً (من تعليقات النجوم الزاهرة)

فلما وصل إلى مصر طيف به وشهر للناس على جمل ، واعتقله عنده مدة ، ثم أظهر توبة ، فأطلقه وأحسن إليه ، وخرج إلى المدينة ومات فيها . ولما وقف أحمد بن طولون على خبر العمري ، وشدة شوكره على البجة وغيرهم ، خاف من سوء العاقبة في أمره إن أغفله فأنفذ جيشاً عليه قائد من قواده يعرف بشعبة بن خركام البابكي ، فلما قرب منه خرج إليه العمري وقال لأصحابه : لا تعجلوا فإن هذا رجل أعجبي ، وأنا أخاطبه بنفسي وأنظر ما عنده .

فخرج من عسكره ، وقال لمن قرب من عسكر شعبة : إني أريد أخاطب الأمير قبل وقوع الحرب بيننا ، فعرف شعبة ذلك فخرج إليه ، فلما قرب منه خرج إليه العمري بحيث يسمع بعضهم كلام بعض ، فقال له العمري : إن الأمير أحمد بن طولون لم يبلغه خبري على حقيقته ، وقد موّه عليه في أمري ، إني لم أخرج أبني فساداً ، وبدلك على ذلك أني لم أؤذ مسلماً [ولا] معاهداً ، وإنما خرجت في طلب أعداء المسلمين حتى كفانا الله أمرهم ، فاكفف يدك عن القتال حتى أكتب إلى الأمير ، أعزه الله ، وأكشف له خبري ، وتكتب أنت أيضاً ، فإن قيل عذري ولم نُثقل عليه وطأني وأمن جانبي ، كتب إليك بالكف والانصراف عني ، فأنصرفت معذوراً مشكوراً ، وإن أمرك غير ذلك امتثلت أمره غير ملوم ، فقال له شعبة : لست أنا فيجاً^(١) لك أحمل كتابك ، ما بيني وبينك إلا

(١) الفيج : الحارس أو رسول السلطان الذي يسمى بين يديه والجمع فيوج

السيف . فقال له العمري : ما أنت بحمد الله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه ، وما هذا الفعل السيئ والخلق القبيح إلا لمن هو كذلك . ورجع إلى أصحابه وقال : هذا رجل جاهل أحق فدونكم ، فعطفوا به وحملوا عليه ، فانهزم أقبح هزيمة ، وعاد [شعبة] إلى أحمد بن طولون فعرفه ما كان فقال : أخطأت وأساءت ، كنت قد أهملته ، وكتبت إلينا بخبره على صحته ، لنرى فيه رأينا ، لكنك بغيت عليه فنصر عليك وأهمل أحمد بن طولون أمره مدة ، فلما كان بعد شهر يسيرة وافى إلى أحمد بن طولون غلامان ^(١) زعما أنهما من غلمان العمري وأنهما أتياه برأسه ، فأستحضرهما الرأس فأحضراه ، فدعا بجماعة من أهل الصعيد ممن يعرف العمري فأراهم الرأس ، فعرفوه وشهدوا أنه رأس العمري لا يشكون فيه ، فقال للغلامين : كان صاحبكما مسيئاً إليكما ؟ قالوا : لا ، قال : فكان يمنعكما رزقكما ؟ قالوا : لا ، قال : فركب بحضرتكما إنما استحلتما به قتله ؟ قالوا : لا . قال : فلم تقتلماه ؟ قالوا : لأننا أردنا بذلك الخطوة عند الأمير واتقرب منه ، فقال : ذاك والله أبعد لكما مني ومن الله عز وجل ، وأمر بضرب عنقهما فضربت وصلبت جثثاهما ، وأمر برأس العمري فغسل وكفن وطُيب ودفن .

ثم ورد عليه الخبر بخروج رجل في الصعيد أيضاً يكنى أبا روح واسمه سكن من بوادي بحيرة الاسكندرية ذكر له أنه من بقايا

خارجي في
الصعيد

(١) في المكافاة : صار إليه جماعة منهم ياربون العشرة

أصحاب ابن الصوفي، والتفت به طائفة كبيرة، فقطع الطريق وأخاف السبيل، فوجه إليه قائداً من قواده يعرف يلبق الطرسوسي، وكان جل أصحاب طرسوسين. وكان أبو رونح هذا غلاماً عياراً قد ربي بالريف، وعرف طرقاتها والحرب فيها، فلما اجتمعوا للقتال أوقف أصحابه في أرض كثيرة الشقوق، حصيدة قمح، قد بقي من تبنة ما يستر شقوقه، وأهل الريف قد ألفوا المشي في هذه الأماكن، ولا عهد لأهل طرسوس بها، فلما التقوا تطارد أصحاب أبي روح لهم، وطلبهم خيل يلبق وفرسانه، فوقعت حوافر الخيل في تلك الشقوق فكبت بفرسانها، وسقط بعضهم على بعض، فتراجع أصحاب أبي روح عليهم فقتل كل من سقط، وانهمز من سلم أقبح هزيمة، فعاد يلبق إلى مصر، فكان الذي لقي هو وأصحابه من غوغاء البلد وعطمتهم^(١) أعظم مما لقوه من الهزيمة وأهمل أحمد بن طولون أمره هنيئة إلى أن وافاه خبره من نواحي الفيوم، فأنفذ إليه قائداً من قواده يعرف بابن جيفوبه، وأمره أن يأخذ على طريق الواحات من ناحية الصحراء، ليملك عليه فم البرية من هناك ففعل. ثم أمر شعبة بن خركام بالخروج إليه فخرج. وظن أصحاب أبي روح أن هذا كالأول فلم يهربوا منهم، وصافوه^(٢) بالابليز^(٣) الكثير الشقوق، فأقبل أصحاب شعبة بنادون: خذوا

(١) الطمطمة: حكاية صوت الهجان إذا قالوا عيط عيط وذلك إذا غلبوا قوماً

(٢) صاف القوم القوم في القتال مصافة: وقفوا مصطفين

(٣) الابليز وطن الابليز مابين مصر وهو ما يقبى النيل بعد ذهابه من وجه الأرض

حذر كم من الشقوق فحذروها وهم عليها ، وأخذوا عليهم نواحي طرقهم ، فلما علموا أنهم قد فطنوا لهم ، وأن مكيدتهم قد بطلت ولّوا منهزمين ، فلم يذهب منهم أحد إلا أخذه الذئب فقتل منهم خلق ، ومن استسلم أسر ، وانهمز أبو روح ووّلّى يريد طريق الواح ، ولا ملجأ له غيره . فلما أشرف على ابن جيعويه ، ورآه قد ملك فم البرية والطريق ، وقف وراسله في الأمان ، فظن ابن جيعويه أن شعبة لم يلقه ، وأنه وافاه قاصداً يطلب الأمان راغباً فيه ، فأمنه

ولما بلغ أحمد بن طولون ذلك اغتاض على ابن جيعويه غيظاً عظيماً ، ومنعه من الرجوع إلى البلد ، وألزمه سكنى الريف شهوراً كثيرة ، عقوبة له على إعطائه الأمان ، وكان قد تم له هلاك العدو بأخذه الطريق . وبعث شعبة بالأسارى وفيهم رجل محزومي ، وكان فيما زعموا سيّء المقدرة ردي الظفر ، فضربه أحمد بن طولون بالسوط ، وحمله على جمل ، فمات في الطريق ، فكث زماناً مطروحاً على رأس الجسر . وكان فيهم رجل يهودي منجم ، فقال له أحمد بن طولون : أرايت هذا في نجومك ^(١) ؟ فقال : نعم قد رأيت ، ونصحت له فلم يقبل . نصيحتي ،

(١) قال السيوطي في حسن المحاضرة : وفي أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم فراعاه ذلك فسأل العلماء والنجيين عن ذلك فاجابوا بشي . فدخل عليه اجل الشعروم في الحديث فأنشد في الحال

قالوا تساقطت النجوم	م لحادث فظن صير
فأجت عند قتالهم	بجواب محتك خبير
هدى النجوم الساقط	ت نجوم أعداء الأُمير

فتفادل ابن طولون بذلك ووصله .

فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وُصِّلَ حياً ، مقابلاً للمخزومي حتى مات

هياج أهل بركة

ثم هاج بعد أبي روح أهل بركة، ووثبوا بأمرهم محمد بن فروخ^(١) الفرغاني، وأخرجوه عن البلد، فأنفذ إليهم أحمد بن طولون أبا الأسود الغطريف ويزبك الفرغاني، وكان من حجابيه، وهو صاحب الرحبة المجاورة لدور الماذرائين المسماة به، في جيش عظيم، وبعث إليهم أيضاً مراكب مشحونة رجالاً وسلاحاً وبمجنيق، وأنبعهم بجيش آخر عليه لؤلؤ غلامه. فلما فصل لؤلؤ أتبعه أيضاً جيشاً آخر عليه شعبة بن خركام، وأمر رئيس كل جيش منهم بالتوقف والتساند وبذل السلامة والأمان، إن قبل، وتقديم المَعْدرة وترك العجلة، فإن أجابوه وإلا السيف.

ولبرقة حصن منيع، فترك الغطريف يربك على أحد أبوابه، وترك لؤلؤ أعلى باب آخر، واستعملوا الرفق كما أمروا، فأمنوا بذلك، وأطعمهم^(٢) اللين، ففتحوا الباب الذي عليه الغطريف ليلاً وأوقعوا بعسكره. فلما وقعت الصيحة تسرع الغطريف، وقائد معه يعرف بدعباش وابن لقروخ يعرف بإسرائيل، فقتلوا جميعاً في المعركة، وأصبح عسكر أبي الأسود بلا رئيس، فانضم أهلهم إلى عسكر لؤلؤ، فكان تسرع الغطريف تسرع باسل لزمه فرض وطمع في

(١) في رواية: فرج بدل فروخ

(٢) اطعم أهل الحصن

الظفر وعجل ، ولو تثبت وكان في أجله تأخير لم يقتل . كما روي عن هشام بن عبد الملك أنه قال لأخيه مسلمة : أذهلك دعر قط لحرب أو عدو ؟ فقال : ما سلمت في ذلك من دعر بيته على حيلة نكون معها السلامة ، وما غشيني قط فيهما دعر سلبني رأيي . فقال له هشام : هذه المقالة

وروي أن عمر بن الخطاب أمر الأحنف بن قيس على جيش وجه به نحو خراسان ، فلما قربوا منهم فرقوا جيشهم ثلاث فرق ، وأقبلوا تدلهم طبولهم على السبيل ، ففزع الناس ، فأول من ركب الأحنف فخرج وهو يقول :

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا

وحمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحابه ضرب الطبل ولأوا منهزمين ، وفعل في الفريقين كفعله في الأول ، فتكامل ركوب الناس ، وقد فرغ لهم الأحنف مما أرادوا فتبعوهم ، فكانوا بين قتلى وأسرى .

وأراد الغطريف أن يصنع هكذا ، فخانه المقدار ، ولكل ميتة سبب . فقال أصحاب الغطريف : ما ننتظر ؟ إن لم نناهضهم وإلا عملوا كل ليلة مثل هذا .

فكتب لولئ إلى مولاه بجيلة الخبر ، وما يعمل وما فعلوه ، فكتب إليه يأمرهم بقتالهم ويقول : قد أحسنتم في توفقكم ، وأنتم الآن

تُصرون بمشيئة الله وعونه ، فباكرهم لؤلؤ طالباً لثأر صاحبه كما
قال الشاعر :

إذا ما وترنا^(١) لم نتم عن تراتنا^(٢) ولم نك أوغالا^(٣) تقيم البواكيا
ولكننا نزعجي الجياد شوآزبا^(٤) فنرمي بها نحو الترات المراميا
وعباً عسكره ، ونصب منجنيقاته ، وزحف إلى الحصن ، فلما جد
بهم القتال وأخذتهم الحجارة والنشاب ، صاح بعضهم : طلب الأمان ،
وفتحوا له الباب ، ودخلوا عليهم ، وقبضوا على جماعة من رؤسائهم
فضربهم بالسوط ، وقطع أيدي جماعة منهم ، وصلب منهم طائفة ،
وكتب إلى مولاه بالفتح .

ووصل شعبة إلى لؤلؤ بعد الفتح ، فاستخلفه لؤلؤ على البلد ، ودخل
إلى القسطنطينية ، وحمل معه جماعة من الأسرى ليبري مولاه فيهم رأيته ،
فلما وصل إلى الجزيرة بعث إليه مولاه بالخلع وبطوقين حسنين ثقيلين ،
فلبس الخلع والطوقين ، وحمل الأسرى بين يديه ، وطاف بهم البلد ،
فسكنت رهبة أحمد بن طولون في صدور الناس ، حتى كان
يُفزع الصبيان [و] الأطفال .

ومن إقباله أن المعتمد لما أنقذ أبا أيوب على الخراج ، وكتب
إلى أحمد بن طولون في استحثائه على حمل الأموال ، وإدراار الحمل

تقليد ابن طولون
الخراج والمعونة
بمصر والقفور

(١) وزت الرجل : قتلت حبه ما فردته منه وطلب وتره وترته وهو طلاب الأوتار والترات
(٢) الوغل : الضيف النذل الساطع المصرف في الأشياء . (٣) نزعجي : نسوق . الشواذب : الضواري .

إليه ، أجاب المعتمد يقول : إنه لا يستتر ما أحمله من الأموال عن الأولياء ، ولا يخفى عن الموالي والمطالبين به ، وفيه تأخير كبير من أرزاقهم ، ولا يتهيا أيضاً إدراة الحمل والمتابعة به والخراج إلى غيرهم . فأنفذ المعتمد نفيساً الخادم إليه ، بتقليده الخراج مع المعونة بمصر والثغور الشامية ، ووجه مع نفيس بصالح بن أحمد [بن حنبل] ^(١) ، وكان على قضاء الثغور ، وبمحمد بن محمد الجذوعي ^(٢) ، وكان على قضاء واسط ، على أن يحمل ماجرى الرسم بحمله من المال والطرارز ^(٣) وغير ذلك .

فأخرج أحمد بن طولون شيوخ مصر ووجهها إلى العراق ، مدح ولد مصر
لا بن طولون يشكرون سيرته فيهم ، وضبطه لبلدهم ، وأنفذ معهم أصحاب أخبار من حيث لا يعلمون بهم ، يحصون عليهم ما يكون من واحد واحد ، ويُنهونه إليه عند عودتهم ، فعادوا ولم يعرف سي مني منهم ، فشكر لهم ذلك وأحسن برهم ، وزادت محبته لهم .

وأقر أحمد بن طولون أبا أيوب على الخراج من قبله ، وجعل
تدبيره الخراج واسقاطه المعاون عبد الله بن دشومة أميناً عليه ، وجعل نعيماً المعروف بأبي الذؤيب عينا عليها ، وقلد الأملك لسليمان بن ثابت المعروف بأبي ريشة ، وكان عبد الله بن دشومة منهم ، واسع الحيلة ، بخيل الكف ، لم يكن يعيبه

(١) ترجمته في طبقات الحنابلة لاس الفراء

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفيدي .

(٣) الطراز بكسر الطاء : الثياب الجيدة .

غير بخلة وزهده في شكر الشاكرين ، ويرى بجمله وما حرمه الله عز وجل من اصطناع الجليل ، أن الثناء حيلة من حيل القاصد على المقصود ، ولا يهش إلى شيء من أعمال البر ، ففقه الناس على ذلك وكثر به الدماء عليه ، وكان فيه مع هذا الشر سعاية .

وكان أحمد بن طولون رقيباً على نفسه يتصدق في أثر الإساءة ، إذا جرت منه إلى إنسان ، بالصدقات الجزيلة ، ويتضرع إلى الله جل اسمه في تمحيص ما جناه ، فكان بذلك يوقى ويكفى وينصر ^(١) .

ولما ورد عليه كتاب المعتمد ، بما استدعاه من ردّ الخراج بمصر إليه ، وزاده المعتمد مع ما طلب خراج الثغور الشامية ، رغب بنفسه عن أدناس معاون ومراقبها ، فرفضها وأمر بتركها ، وكتب بإسقاطها في سائر الأعمال ، ومنع المتقبلين ^(٢) من الفسخ على المزارعين ، وحظر الارتفاق ^(٣) على العمال .

وكان قبل إسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دشومة في ذلك ، فقال له : إن أمتني الأمير تكلمت بما عندي . فقال له : قد أمتك الله عز وجل مني ققل ، فقال : أيها الأمير إن الدنيا والآخرة ضرّتان ، فالخازم من لم يخلط إحداهما مع الأخرى ، والمُفرط من خلط بينهما ،

(١) روى ابن تقي بري في التجوم الزاهرة أن جميع خصال ابن طولون كانت بحودة ، إلا أنه كان حاد الخلق والمزاج . فانه لما ولي مصر والشام ظلم كثيراً وعسف ، وسفك كثيراً من الدماء . يقال انه مات في حبسه ثمانية عشر ألفاً . (٢) قبل العامل الصل قتيلاً : الزمه بقدر (٣) الانتفاع والاكتساب

فيتلف أعماله ويبطل سعيه . وأفعال الأمير أيده الله أفعال الحيرة ، وتوكله توكل الزهاد ، وليس مثله ركب خُطة لم يُحكمها ، ولو كنا نشق بالنصر دائماً طول العمر ، لما كان شيء آثر عندنا من التضيق على أنفسنا في العاجل بعمارة الآجل ، ولكن الإنسان قصير العمر ، كثير المصائب ، مدفوع إلى الآفات ^(١) فتترك الإنسان ما قد أمكنه وحصل في يده تضييع . ولعل الذي حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتي بعده ، فيفوز ذلك بما قد حرمه هو .

ويجتمع للأمير أيده الله مما قد عزم على إسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار ، وإن فسخ ضياع الأمراء والمتقبلين في هذه السنة ، لأنها سنة ظلم توجب الفسخ ، وألزمت القصة ^(٢) الاثنين زاد مال البلد وتوفر توفراً عظيماً يضاف إلى مال المرافق ، فضبط به الأمير أيده الله أمر دنياه ، وهذه طريقة خدمة الدنيا ، وإحكام أمور الرئاسة والسياسة فيها ، وكل ما عدل إليه الأمير أيده الله من غير هذا فهو مفسد لدنياه ، وهذا رأيي والأمير أيده الله أعلى عينا وما يراه ^(٣) . فقال له : ننظر في هذا إن شاء الله ، وشغل قلبه كلامه ، فبات في تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دشومة ، فرأى في منامه رجلاً من إخوانه الزهاد بطرسوس ، وهو يقول له : ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاع والفسخ برأي

(١) في ابن الداية : سري بأغظ الآفات . (٢) قصة الملكة : حاضرتها الكبرى

(٣) في ابن الداية : على رأي فيها يراه وفي القرظي : على ما ههنا يراه

تحمّد عاقبته فلا تقبله ، ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه ،
فأمض ما كنت عزمته عليه .

ولما أصبح ابن طولون أنفذ الكتّاب إلى الأعمال بذلك ، وتقدم
به في سائر الدواوين ، وأمضاه ودعا بآب دسومة فعرفه ذلك فقال له :
قد أشار عليك رجلان أحدهما في اليقظة ، والآخر ميت في النوم ،
وانت للحَيِّ [أوجد] ، وبضمانه أوثق ، فقال : دعنا من هذا فلست
أقبل منك ، وركب في غد ذلك اليوم إلى الصيد .

عفور ابن طولون
على كنز

فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانها ،
وهو رمل ، فسقط الغلام ، لنزول يد الفرس كلها في الرمل ، فوقف
عليه أحمد بن طولون وأخرجت يد الفرس ، فنظر فإذا بفتق
فتتح ، وأصاب فيه من المال ، [ما] كان مقداره ألف ألف دينار ، وهو
المطلب ^(١) الذي شاع خبره ، وكتب به إلى العراق ، وكتب أحمد
ابن طولون بخبره إلى المعتمد ، يستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر
أو غيرها مما يأمره به . فكتب إليه المعتمد يأمره بأن يصرفه في وجوه
البر ، فبنى منه البيمارستان . ثم أصاب بعده في الجبل مالا عظيماً فبنى
منه الجامع ، وأوقف جميع ما بقي من المال في الصدقات ، فكانت
صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة ، بنية قوية ، وشهوة شديدة .

(١) في خطط القرظي: الكنز بدل المطلب .

ولما انصرف أحمد بن طولون من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دثومة وأراه المال وقال له : بشس الصاحب والمستشار أنت ، هذا أول بركة مشورة المبت في النوم ، ولولا أنني أمتك لضربت عنقك . وتغير عليه أحمد بن طولون وسقط محله عنده ، ورفع إليه بعد ذلك أنه قد أجحف بالناس ، وألزمهم أشياء ضجوا منها ، فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه .

انقسام الدولة
العباسية شطرين

ومن أفعاله خبره مع موسى بن بغا ، وذلك أنه لما زاد أمر صاحب البصرة واستفحل ، وكان ابتداء خروجه في سنة أربع وخمسين ومائتين ، أنفذ المعتمد رسولا في حمل أخيه المسمى بالموفق من مكة إليه ، وكان المهتدي قد نفاه إليها ، فلما وصل إليه عقد العهد بعده لابنه المفوض وله من بعده ، ولقبه بالموفق ، وقسم المملكة بينه وبين ابنه المفوض ، كما فعل الرشيد في أمر ابنه ، فجعل غرب المملكة لابنه المفوض ، وشرقها لأخيه الموفق . وكتب بينهما بذلك كتابا ارتهن فيه أيمانها بالوفاء ، بما وقعت عليه الشروط على كل واحد منهما وله ، وضمن ذلك العهد الثابت في الشرط كل ما يخاف من مثله في العاقبة . والمعتمد ما يعلم [ما] في طوية الموفق ولا في سره ، وكان يحسد أخاه على الخلافة فلا يراه أهلا لها ، ويطعن عليه ، وينقص من أمره جدا .

ولما جعل العهد لابنه ، ولقبه المفوض ، وجعله هو بعده ، اشتد ذلك عليه ^(١) ، وقوي بغضه لابنه ، وزاد حقه على أخيه المعتمد ، واعتقد فيه ، متى ظفر بالأمر ، التشفي منه ، وبلوغ كل مكروه به ، وكان ، لعمرى ، المعتمد بالله منحلّ الأمر جدّاً ، لأنه كان رجلاً متشاعلاً بملاذ نفسه ، وطية عيشه بالصيد واللعب ، والتفرد مع الجوّاري ، فكانت الأمور ضائعة ، والتدبير فاسداً ، وكل متقلد لعل قد فاز بما يتقلده ، ففعل كفعلة [الرشيد] بابنيه المأمون ومحمد بن زُبيدة ، احتياطاً وإشفاقاً عليهما ، ولم يعلم أن ذلك كان منه لثقتة بابنيه على نفسه وحاله ، فقدّر ذلك في أخيه وولده ، ولم يعلم ما في ضميره له ، وأنه يخرج عن طاعته ، ولا يشكر جميله عنده .

ضعف الخليفة
وتشاغله بملذاته

وإنما وقع الخلاف بين محمد بن زُبيدة وبين المأمون لنقص محمد عن محل المأمون في نفسه وشجاعته وفضله في كل فن من سائر العلوم . ولقد عانت زُبيدة الرشيد على تفضيله المأمون على ابنها فقال لها : الساعة أبين لك فضل كل واحد ، فوجه إلى ابنها ، وقد مضى من الليل وقت ، يدعو إليه ، فوافاه وعليه ثياب المنادمة مبخرأ مطيباً فقال له : اشتقت إلى رؤيتك فسقاه بيده قدحاً ، ووهب له من جوهر كان بين يديه جوهرة واحدة حسنة وصرفه . ووجه إلى المأمون يدعو فابطأ ، ثم سمع بعد ذلك للدار ضجة عظيمة ، وجلبة هائلة ، ثم

استطرد في فضل
المأمون على
الأمين

دخل إليه وعليه صدره السلاح بجوشنه وخوذته^(١) وآلة الحرب ،
وعرف الرشيد بأن الجيش قيام له في السلاح فقال له : ما هذا ؟ فقال :
خفت أن يكون قد حدث حادث احتاج أمير المؤمنين إلى إنفاذي
فيه فجئت مستعداً فقال له : بارك الله عليك ، إنما اشتقت إليك
انصرف مصاحباً ، ووهب له جميع الجوهر . وقال لها : كيف رأيت ؟
فأمسكت عن المأمون .

وكان في الشرط الذي كتبه المعتمد بين الموفق وابنه أنه ما حدث
في عمل كل واحد منهما من حدث ، كانت النفقة عليه من مال خراج
قسمه ، واستخلف المفوض على قسمه موسى بن بغا ، فاستكتب موسى
عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وانفرد الموفق بقسمه ، وتقدم إلى كل
واحد منهما ألا ينظر في عمل صاحبه ، وخلد كتاب الشرط للكعبة ،
وأفرد الموفق لمحاربة العلوي البصري ، وأخرجه إليه وقواته ، وضم
إليه الجيوش ، فلما كبر عليهم أمر العلوي البصري ، وطالت محاربتهم ،
انقطعت مواد خراج الشرق عن أبي أحمد الموفق ، وتقاعد الناس عن
حمل المال الذي كان يحمل ، واحتجوا في ذلك بأشياء ، منها خروج
العلوي ومالحتهم منه ، وأخذ من أموالهم ، ومنها خوفهم من أن يؤخذ
ما يحملونه في الطريق ، لكثرة أصحاب العلوي وانتشارهم في الطرق ،
ومنهم من يتربص بالحمل لينظر كيف تكون الأمور ، وإن يصح الأمر .
فدعت أبا أحمد الموفق الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون

ارتباك الموفق
وإضافته

(١) الجوشن : الصدر والدرع ، والخوذة : المنقر .

في حمل ما يستعين به على أمره ، ولتثبت من صدق عمله ، إلا أنه شكا في كتابه شدة حاجته إلى المال لما هو بسبيله ، وأنفذ إليه لحمل المال نحريراً خادماً المتوكل ، وورد في عقب الكتاب إليه كتاب من المعتمد ، يأمره بحمل المال إليه على رسمه ، مع ما جرى الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والريق والخيل والشمع والخيش وغير ذلك .

وكتب إليه [المعتمد] سرّاً أن الموفق إنما أنفذ نحريراً الخادماً إليك عيّناً عليك ، ومستقصياً على أخبارك ، وأراه أنه قد كاتب بعض أصحابك فاحترس منه ، واحمل المال إلينا معه ، لئلا تقوى يد الموفق به ، وعجل إنفاذه من حضرتك .

رسول الموفق إلى
ابن طولون
وتخدير المعتمد له

ولما وافى نحرير أنزله أحمد بن طولون في دار معه في الميدان ، ومنعه من الركوب إلى موضع من المواضع ، ولم يمكنه الخروج من الدار التي أنزله فيها ، إلى أن أخرجه من البلد ، وتلطّف في الكتب التي كانت معه فأخذها ، وحمل معه ألف ألف ومائتي ألف دينار^(١) ،

(١) في المقدّم الذي لابن طلحة الوزير : وكان ابن طولون من محبته للعدل وإقامته وتأييده الحق وسلوك طريقته ، ميل إلى كل من كان ذلك من صفته ، ويقرب إليه من علم التحقيق من خليقته ، حتى أنه في بعض الأيام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال إلى حفرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه العدول بحيث يشهدون على القاضي ، فكسب الشهود خطوطهم ، وقد عاينوا المال ، وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، فلما بلغ الكتاب إلى سليم وهو بعض الشهود القاه إلى الخادم من يده وقال : أيها الأمير لست أشهد حتى يوزن المال بحضرتي ، فغاضه ذلك منه ، لتأخر الانفاذ ، ثم قال للوزانين : زنوه ، فلما فرغوا من وزنه قالوا : أشهد قال بقي لي النقد ، فدعا بالقاء فنقده ، وسلم جالس مهم حتى فرغ وختت الأكياس ، وتسلمها حاملها ، فكسب شهادته وانصرف . فقال ابن طولون : مثل هذا ينبغي أن يتد عليه ويمال إليه فإن من لا دين له لا أمانة له ، ومن لا أمانة فيه جدير بالاباد ، وألا يولى شيئاً من أمور المسلمين . وكانت هذه الحالة سبباً لتفريه سليم واعتداده عليه وتوحيش أمره إليه .

وحمل جميع ما جرى الرسم بحمله ، وخرج بنفسه ، وأخرج معه
العدول ، حتى شيعه إلى العريش ، ووجه إلى صاحب ماجور بالعريش
فأحضره وسلمه والمال إليه ، وأشهد عليه بذلك العدول ، وعاد إلى
مصر ينظر في الكتب ، فإذا هي إلى جماعة من قواده ، يضربهم
عليه ، ويستميل قلوبهم إليه ، لما كان في نفسه عليه من قوة موالاته
المعتمد ، وصحة طاعته له .

وكانت قد قويت شوكة الموفق بن ضمه إليه المعتمد من الجيوش
والعدة لمناوأة العلوي البصري^(١) . فمن كان كتابه إليه جواباً
عن كتابه كان إليه بدر الحميري ، وهو صاحب القيسارية الوفائية التي
تعرف بقيسارية بدر ، وإليه كانت ضياع أبي أحمد بن المتوكل والطرارز
والخيم وصناعتها ، وكان من وجوه غلمانه وكبارهم ، فضربه بالسوط
حتى مات . ومنهم أحمد بن عيسى الصفدي ، وكان من أجلاء أصحابه ،
فضربه أيضاً بالسوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وطاف به البلد ، وحبسه
في المطبق ، وكان إحسانه إليه وعليه فما شكر ذلك وكفره .

كتاب أحمد ،
طولون إلى المو
يهدده ويتوعا

ولما وصل المال كتب أبو أحمد الموفق إلى أحمد بن طولون
كتاباً يستصغر فيه المال ، ويقول : إن الحساب يوجب أضعافه ،

(١) قال القصاصي : إن المتمد على الله جبل ابنه جعفرأ ولي عهده ولقبه المفوض إلى الله ،
وجبل إليه المغرب ، وغلب الموفق على الأمر وقام به أحسن قيام ، ومال الناس إليه ، وكان
مشتولاً بقتال علي بن محمد صاحب الزنج المعروف بلوي البصرة .

وبسط لسانه فيه ، والتمس من أصحابه من يخرج مثقلاً عمله ، فأعوزه ذلك ، لما كنا قد ذكرناه من ملاطفة أحمد بن طولون لوجوه أهل الدولة الذين يندب أحدهم مثله . وكتب بذلك إلى أحمد بن طولون أصحاب أخباره ، فلما قرأ أحمد بن طولون كتاب الموفق قال : وأي حساب بيني وبينه ، أو حال توجب مكائيتي بمثل هذا وغيره ؟ وأجابه جواباً نسخته ^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتاب الأمير أيده الله وفهمته ، وكان أسعده الله حقيقةً بحسن التخيير له في اختياره مثلي ، وتصيره إياي عمدة التي يعتمد عليها ، وسيفه الذي يصول به ، وسنانه الذي يتقي الأعداء بمجده ، لأنني دأبت في ذلك ، وجعلته وكدي ، فاحتملت الكلف العظام ، والمؤن الثقيل ، باجتلاب كل موصوف بشجاعة ، واستدعاء كل منعوت بغناء ، وكفاية ، بالتوسعة عليهم ، وتواصل الصلوات والمعاون لهم ، صيانةً لهذه الدولة ، وذباً عنها ، وحسماً لأطماع السائئين لها ، والمنحرفين عنها . وكان من هذه سبيله في الموالاتة ، ومجمله في المناصحة ، حرياً أن يُعرف له حقه ، ويوفر من الأعظام قدره ^(٢) ،

(١) ورد هذا الكتاب في كتاب ابن الداية أطول مما جاء في نسخة الأصل هذه ، ورأينا فيه اسجاعاً وافضة لانكاد تؤثر في شيء . مما صدر عن ديوان ابن طولون ولذلك اعتدنا على نسخة كتابنا وأشرنا هنا إلى بعض ما عساه يفيد من التطويل هناك وصححنا نصنا على ذلك النص عند الاقتضاء الشديد .

(٢) في كتاب ابن الداية وردت هذه العبارة هكذا : ويوفر من الأعظام والأكرام نصيبه ، ويعطى من التقديم والإيثار قسطه ، ولا يحمل حظاً منها ببال أولياءه ، ويمارز به الصغار . —

ومن كل حال جليلة حَظَّةٌ ومنزلته ، فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل المال مرة ، والجفاء في المخاطبة أخرى ، بغير حال توجب ذلك . ثم أُكلف على الطاعة 'جملًا' ، وأُلزم للمناصحة ثمنًا ، وعهدي بمن استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته يستدعي ذلك بالبذل والإعطاء ، والإرغاب ^(١) والإرضاء والإكرام ، لا أن يُكلف ويُحمل من أطاعه مؤونة وتقلًا ، على أنني لا أعرف السبب الذي ينتج الوحشة ، ويوقعها بيني وبين الأمير أيده الله ، ولا ثمَّ معاملة توقع مشاجرة ، أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا بسبيله لغيره ، والمكاتبة في أموره إلى سواه ، [وتقليدي ليس من قبله ولا ولايته] ^(٢) ، فإنه والأمير جعفر المفوض أيدهما الله قد اقتسما الأعمال ، وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، أن من نقض عهده ، أو خفر ذمته ، ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه ، فالأمة بريئة من بيعته ، وفي حلٍّ وسعة من خلعه . والذي عاملني به الأمير من محاولة صر في مرة ، وإسقاط رسي أخرى ، وما يأتيه ويسومنيه ، ناقض لشرطه ، مفسد لعهد . وقد التمس أوليائي ،

— من أموال تحمل اليهم ، وصلات واقطاعات تخرج لهم ، مما جعل الأمير أعزه الله حظي من مثوبته ، ونصبي من بزه وتكرسته ، مما لا يزال الأمير أيده الله يقصدي به من المكروه ، ويؤلبه علي وعلى علمي من التدبير ، ويلتمسه مني من حمل المال والمعاون ، حتى كأني اكلف على الطاعة جملًا ، وأُلزم للمناصحة ثمنًا .

(١) رغبه فيه وأرغبه : جملة يرغب وارغب الله قدرك وسعه وأبعد خطوه .

(٢) هذه الجملة وردت في الاصل وفي القريري (ولا اتامن قبله) .

وأكثروا على الطلب ، في اسقاط اسمه ، وإزالة رسمه ^(١) ، فأثرت
الابقاء وإن لم يؤثره ، واستعملت الأناة إذ لم تستعمل معي ،
ورأيت الاحتمال والكظم ، أشبه بدوي المعرفة والفهم ، وأدنى إلى
الظفر والنصر ، فصبرت نفسي على أحر من الجمر ، وأمر من الصبر ،
وما لا يتسع له الصدر . والأمر أبده الله أولى من أعاني على
ما أوتره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عقده ، بحسن العشرة
والإنصاف ، وكشف الأذى والمضرة ، ولا يضطرنني إلى ما يعلم
الله عز وجل كرهه له ، وإلى أن أجعل ما قد أعدته لحياطة
الدولة من الجيوش المتكاثفة ، والعساكر المتضاعفة ، التي قد ضرست
رجالها من الحروب ، وجرت عليهم محن الخطوب ، مصروفاً إلى تقضها ،
فعدنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر وأولى من الأمير .
ولو آمنوني على أنفسهم فضلاً عن أن يرجعوا مني إلى ميل لهم ، أو قيام
بنصرتهم ، لاشتدت شوكتهم ، ولصعب على السلطان معاركتهم ،
والأمير يعلم أن بإزائه منهم واحداً قد أبر عليه ، وفض كل جيش
أنهض إليه ، على أنه لا ناصر له إلا لفيف البصرة ^(٢) وأوباش

(١) في اس الداية زيادة هذه الجملة : عند مصير الخارجين من العراق ، الى حيث صاروا
اليه من نواحي علمي ، ومحاولتهم البيث والافساد فيه .

(٢) الطالب ان الاشارة الى ان صاحب الزنج وان كان جيشه من رعايا البصرة ومن مائتهم
فهو يطلب ما يرسل اليه من الجيوش ، بخلاف احمدس طولون وما ربي من جيوش يمتد عليها .

عامتها ، فكيف بن يجد ركناً منيعاً ، وناصراً مطيعاً ، ومماثل الأمير في أصالة رأيه قصد لائحة ألف عنان 'عدة' له فجعلها 'عدة' عليه ^(١) بغير ما سبب أوجب ذلك . فإن يكن من الأمير إعتاب أو رجوع إلى ما هو أشبه به ^(٢) وأولى ، وإلا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره ، وحسم مادة شره ، وإجراءنا في الحياطة على أجل عاداته عندنا ، والسلام .

إرسال الموفق
العمال للضرب
على أيدي ابن
طولون واستعداد
هذا وتحصنه

فلما وصل الكتاب إلى الموفق أقلقه ، وبلغ منه مبلغاً عظيماً ، وأغاضه غيظاً شديداً ، فأحضر موسى بن بُغا ، وكان موسى هذا عَوَل الدولة ، وأشد أهلها بأساً وإقداماً ، فتقدم إليه في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماجوراً فامثل ذلك ، وكتب الماجور كتاب التقليد وأنفذه إليه ، فلما وصل إليه الكتاب توقف عن إيصاله إلى أحمد بن طولون ، لعجزه عن مناهضته .

وخرج موسى بن بُغا عن الحضرة مقدراً أنه يدوس عمل القوض الذي فيه تقض الشرط ، لما قويت به يد الموفق ، باستيلائه على الأمر ، وطاعة الجيوش بأسرها له ، فلم يكن له مخالف غير أحمد بن طولون ، وقصد بمشارفته الأعمال ، حمل الأموال منها ، وكتب إلى ماجور

(١) العبارة في ابن الداية هكذا : فجعلها عدة عليه من غير أن يتجسم لها مثلاً ، ويحتمل بسببها مؤونة وغرماء .

(٢) في ابن الداية : أشبه بفضل .

وإلى أحمد بن طولون ، لما علم توقف ماجور عنه ، في حمل مال أعمالها ، وعزم على أن يقصد مصر ، لما علمه من قصور حال ماجور عنها ، ليتسلمها ويستخلف ماجور عليها ، ويعود إلى الحضرة ، وخرج حتى بلغ الرقة ، واتصل ذلك بأحمد بن طولون فأقلقه ونمّه وبلغ منه ، لا لأنه يقصر عن موسى ، لكن لتحمله هتك الدولة ، وأن يأتي ما يكون سبيله فيه سبيل من قاوم السلطان وكسر جيشه ، فعمل على محاربة موسى ، وتأمل البلد فعلم أنه لا يفتح إلا من جهة نيله ، فأراد لكبر همته و [كثرة] فكره في العواقب ، أن يبني حصناً^(١) على الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ، ليكون معقلاً لحرمه لكثرتهم كانوا ولذخائره ، ويستعمل بعد ذلك لحرب من يأتيه وقد زال فكره فيما سواه مما يشغل قلبه ، وأمر ببناء

(١) قال القضاة أنه بناء سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه وماله وانه اتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من السفاريات وغيرها وذكر أياً نأ محمد بن داود قال بها من أحمد بن طولون وهي :

لما نوى ابن بُنا بالرفيق ملا ساقية ذرفاً إلى الكمين والعب
بني الجزيرة حصناً يستجى به بالسف والضرب والصناع في تب
دوائب الجزيرة القصوى فخذتها وكاد يمتق من خوف ومن رعب
له سراكب فوق النيل راكدة فما سوى اتقار للنظار والحشب
نرى عليها لاس الذل مذ بيت بالشط ممنوعة من عزه الطل
فا بناها لنزو الروم محشياً لكن بناها غداة الروع للهرب

فلنا: ويظهر أن محمد بن داود هذا كان من الشراء الذين تفرغوا على هجو ابن طولون، فان له مقطوعات غير هذه في مجوه ذكر بعضها الكندي صاحب تاريخ مصر وولاتها .

الحصن على الجزيرة، واتخذ مائة مركب عربية كباراً ومائة مركب
حرية سوى ما يتضاف إليها من العلايات والحائم والعشاريات
والسناديل وقوارب الخدمة، وعمل على سد وجه البحر الكبير [أن]
يمنع ما يجيء إليه من مراكب طرسوس وغيرها بنقض مراكبه،
ويكون ما فيها يذب عن هذه الجزيرة، وعمل على أن ينفذ إلى
الصعيد وأسفل الأرض^(١) فيمنع من حمل الغلات إلى البلد، لينع
من يأتي من البر بالميرة .

فأقام موسى بن بُغا بالرقعة عشرة أشهر، فاضطرب عليه أمر
الأتراك، وطلبوا بأرزاقهم مطالبة عظيمة، استقر منها كاتبه عبيد الله
ابن سليمان، لتعذر المال عليه، وخوفه على نفسه منهم . فلما تبين
موسى بن بُغا عظيم ما جرى ويجرى دعت له الضرورة إلى الرجوع إلى
الحضرة، فرجع وأقام بها شهرين واعتلّ ومات في صفر سنة أربع
وستين ومائتين . ومات عبيد الله بن خاقان في هذه السنة .

وكان أحمد بن طولون مجداً في بناء الحصن على الجزيرة، وقد ألزم
قواده وثقاته أمره، وفرقه قطعاً، وألزم كل واحد منهم قطعة يكف نفسه
بالفراغ منها، ويتعاهد هم هو بنفسه في كل يوم يشرف عليهم، ولا يعلم
أن الله عز وجل قد كفاه وأغناه عما يعانيه، وما يشك أحد أن كل
طوبه بُنيت فيه تقوم على أحمد بن طولون بدرهم صحيح .

(١) يريد أسفل الأرض ما نطلق عليه اليوم الوجه البحري وكانوا يطلقون أعلى الأرض

على ما نعرفه لهدنا باسم الصعيد .

ولما انتابت الأخبار بموت موسى بن بغا كف عن البناء وثصدق
بما لكثير لما وهبه الله جل اسمه له من صيانتة عما تقبح فيه عنه
الأحدوثة ، وما رأى الناس شيئاً كان أعجب من ذلك الجدد العظيم في
البناء ، ومباكرة الصنائع في السحر ، حين يخرجون من منازلهم في كل
يوم ، حتى انتقطع ذلك فلم ير أحد من الصنائع أحداً يطلبه ، فكان
كأنه نار صب عليه ماء فغمد من وقته ^(١) ، ووهب للصنائع كل
ما كان سلفاً عليهم .

قضاء ابن طولون
على أعدائه

وقبض أحمد بن طولون من وقته على أحمد ^(٢) المدائني صاحب موسى
ابن بغا ، وكان بمصر يتقلد ضياع صاحبه بها اني أقطعه السلطان إياها ،
وكان رجلاً ترفاً غدياً نعمة ، وكان مبدئاً ^(٣) ، فشئ راجلاً إليه ،
كما مشى شقيراً صاحب البريد ، وكان يوم شديد الحر ، وكان أحمد
ابن طولون يحقد عليه خلافاً كان له كبيراً فيما كان يحاوله ، ولأنه كان
صاحب موسى بن بغا ، وكان لثقتة بصاحبه وعظم منزلته ، يبسط
لسانه في أحمد بن طولون بأشياء تبلغه عنه ، فيغيظه عليه ويحقد له ،
فلما أحضر أحضر له السياط والعقابين فاستجاب إلى ما طالبه به من المال ،
وبادر بكتب خطه به خوفاً من مكروه يلحقه ، إلا أنه لحته من
التعته والمشي ما كان أغلظ عليه من الضرب أو مثله ، فلما أخذ خطه

(١) كذا في الأصل والنار مؤنثة وتذكر (٢) في اسر الداية : حفر

(٣) البدن كمظم : الجسم

بالمال رده إلى داره فمات في تلك الجمعة . فاحتاز أحمد بن طولون الضياع بما كان كتب به خطه ، وقبض على جميع نعمته ، وقبض على اندونة كاتبه ، فأخذ منه خمسون ألف دينار .

اخفاق من عينه
بهداد لحفظ
الثغور الشامية

ولما مات موسى بن بغا كتب الموفق إلى المعتمد يقول إن الثغور الشامية ضائعة ، وأنها تحتاج إلى من يقيم فيها ويفرز بأهلها ، وأن أحمد بن طولون مهمل لأمرها ، وإنما يبعث إليها من لا يستقل بها ، فاستقر الأمر على أن ينفذ إليها محمد بن هارون التغلبي ، وكان يتولى الموصل ، فكتب إليه في الحضور لينفذ إلى الثغور ، فركب في دجلة ، لعله نالته منعة عن ركوب الظَّهر^(١) ، وهاجت ريح شديدة فألقته إلى موضع من الشط فيه قوم من أصحاب مساور الشاري^(٢) قتلوه ، وأخذوا كل ما كان معه ، وبلغ ذلك الموفق فبقي متحيراً في أمر أحمد ابن طولون ، وما يأتيه به الإقبال ، ووقع اختياره على إنفاذ محمد بن علي بن يحيى^(٣) الأرمني إليها ، فأنفذه متقلداً لها ولأنطاكية ، وحاول سيما الطويل دخول أنطاكية ، فمنعه محمد بن علي بن يحيى منها ومن الثغر ، فكتب إلى أهل طرسوس فألبهم ووثبهم عليه ، وخوفهم منه فقبضوا يده ، ووقعت بينه وبينهم حال غليظ ، وقتل في داره ودفن فيها . وبلغ ذلك الموفق ، فاشتد غيظه أيضاً وحنقه وتعجبه ، وقد

(١) طريق البر (٢) الشاري : الخارجي والبراءة هم الحوارج لقولهم : انا شرنا اهننا في طاعة الله لقبوا بذلك (٣) كذا في الاصل : بخير قط . وفي ابن الداية : يحيى

الثغور أرخوز بن يولغ بن طرخان التركي ، وأمره أن يقبض على سيما الطويل ، فلما وصل إلى الثغور تشاغل بالآكل والشرب ، وأخذ كل ما لاح له ، واستولى على كل ما كان للمرتين بلؤلؤة^(١) ، مما كان يحمل إليهم من الميرة ، فضجوا من تأخر ذلك عنهم ، وكتبوا إلى أهل طرسوس يعرفونهم أنهم إن لم ينفذوا إليهم بما يحتاجون إليه على رسمهم ، سلموا القلعة إلى الروم ، فأعظم أهل طرسوس ذلك وخافوه ، وجعلوا لهم من البلد خمسة عشر ألف دينار ، وعملوا على حملها إليهم ، فقال لهم أرخوز : أنا أحمل إليهم المال من قبلي لنصلح بينهم ، فأجابوه إلى ذلك فكتب إليهم واعتذر من تأخير ما أخره ، فلأنه أميرهم وصاحب الثغور ، قبلوا عذره ورجعوا استصلاحه ، ولما سلم المال شرهت نفسه إليه ، وقال : متى يجتمع لي مثل هذا ؟ فاستولى عليه وعرفهم أنه قد أنفذه . فلما تأخر عن اتقوم المال انصرفوا عن لؤلؤة وسلموها ، فاضطرب أهل الثغور بأسرهم من ذلك غاية الاضطراب ، وضجوا في الطرقات .

(١) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس وذكر صاحب الكامل في حوادث سنة ثلاث وستين ومائتين أن فيها سلت الصغالية « لؤلؤة » إلى الروم ، وكان سبب ذلك أن أحدس طولون قد أدمن الغزو بطرسوس ، قيل أن يلي مصر ، فلما ولي مصر كان يؤثر أن يلي طرسوس لينزو منها أميراً فكتب إلى أبي أحمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه إلى ذلك . قال : وكانت لؤلؤة شجراً في حلق العدو ، ولم يكن يخرج الروم في بر أو بحر إلا رأوه وأنذروا به .

تقليد الثغور لا
طولون

وبلغ المعتمد ذلك فأكره فدعت الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون في تدبير أمر الثغور، وضبطها كما يرى. فلم يكن للموفق بعد ذلك حيلة في منعه منها، وكتب أحمد بن طولون إلى أخيه موسى وكان مقيماً بطرسوس منذ وقعت بينهما تلك الوحشة بتقليده إياه لها فأبى ذلك، لما كان في نفسه منه. فكتب إلى إبراهيم بن عبد الوهاب، وكان أيضاً مقيماً بها، فامتنع تصاوناً، فأنفذ إليها طخشي بن بليزده^(١) ووصاه بحسن العشرة لهم، وجعل السيرة فيهم، واحتمل هفواتهم ففعل، وحسنت سيرته بطرسوس، فأقام بها إلى أن مات، فاغتم عليه أهل طرسوس وسائر الثغور.

هلاك أعداء
طولون

ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور، وكان أحمد من يعرب^(٢) عليه، ويسعى في أذنته فلا تمكنه. فلما بلغه موته حمد الله عز وجل على ذلك، واستخلف ابنه العباس على مصر وخرج من وقته، وأيد ابنه بكتابه أحمد بن محمد الواسطي، ووصى العباس بالاعتداء برأيه، والامتنال لأمره وألا يجاوز شيئاً يرسمه، أو يشير به، وسار في شوال من سنة أربع وستين ومائتين، وقد خلا قلبه من عبيد الله ابن خاقان وموسى بن بُغا وماجور أعدائه الذين كانوا يعملون الحيل في أمره وطلب هلاكه. وجدَّ في السير، واستكتب أبا الضحاك

(١) في رواية: بلين وفي أخرى بليزده

(٢) يرتب عليه: يرد عليه بالانكار

محبوب بن رجاء ، وقدم كتابه إلى ابن ماجور يعزبه بأبيه ، وكان صيياً إلا أن أصحاب أبيه قد أقاموه مقام أبيه في الرياسة ، وتولى الأمر وتديره أحمد بن دعباش^(١) التركي ، وجّه أصحاب ماجور والمقدم فيهم ، وكان رجلاً شهماً جلدًا عاقلاً ، سمحاً بالمال ، سخياً على الطعام ، حسن الخلق ، حازم التدبير .

استباحه أمراء
الشام

ويذكر أحمد بن طولون في كتابه إليه أن أمير المؤمنين قد قلده الشام كله ، مضافاً إلى الثغور الشامية ، وأنه في^(٢) أمر كتابه ، ويقول فيه : وينبغي أن نتقدم فيما نحتاج إليه من الميرة والعلف للعساكر وما نحتاج إليه ، فأجابه ابن ماجور أحسن جواب ، فلما قرب من الرملة تلقاه خليفة أبيه كان بها ، وهو محمد بن رافع بالميرة والعلف ، وكان قد أقام له الدعوة ، لما بلغه خبر رحيله إلى الشام ، فلما وقعت عينه عليه ترجّل له ، وتقدم إليه فباس يده ، فلقبه أحمد بن طولون بجميل ، وبشّ به وساء له عن حاله ، فقال له : سلامة ما أبقي لنا الأمير أيده الله ، فعزّاه بصاحبه وأظهر له غمّاً به ، وشكر ذلك منه ، فأقره أحمد بن طولون على عمله ولم يصرفه ، وشخص إلى دمشق فلتقاه علي بن ماجور وأحمد بن دعباش^(٣) وجميع قواد ماجور وأصحابه ، فوفّوه حق الرياسة ، وقد أعدوا له الميرة والعلف وكل ما يحتاج

(١) في الأصل : دعباس . وفي الكندي : دوعباش

(٢) في الأصل : قد (٣) في الأصل : دعباج وكذلك هو بعد سطرين .

إليه بها^(١) . واستخلف على دمشق أحمد بن دعباش وأقره عليها .
وكان أحمد بن وصيف مقيماً بدمشق على سبيل النبي ، ففاه
إليها المهتدي ، وهو وصيف الكبير التركي الذي يقول فيه الشاعر
وفي بُغا أبي موسى الذي مضى لنا ذكره فيما تقدم .

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيفٍ وبُغا
يقولُ ما قالاً له كما تقولُ البُغا

والخليفة الذي قيل هذا فيه هو المستعين بالله ، لأنه كان يؤثرهما
جداً ويقدمهما ويفضلهما ويقول برأيهما

فلما دخل أحمد بن طولون دمشق انضم إليه ابن وصيف هو وجاعة
قواد ماجور . ولما صار أحمد بن طولون إلى حمص تلقاه عيسى
الكرخي ، وكان يتقلدها ، وترجّل له وعمل على أن يقره أيضاً على
عمله ، فضجّ أهل حمص منه وشكوا سوء سيرته فيهم ، فصمره عنهم
وولاهم بين التركي .

(١) لا دخل أحمد بن طولون دمشق وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فركب ابن طولون
إليه ، ومعه أبو زرعة البصري وأبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه ، قال ابن طولون
لأبي زرعة : ما يسمى هذا الموضع ؟ قال كنيسة مريم ، قال أبو عبد الله : أكان لمريم كنيسة ؟
قال : ما هي من بناء مريم وأنا بنوها على اسمها . قال ابن طولون : مالك وللاعتراض على الشيخ
ثم امر بسبعين ألف دينار من ماله ، وأن يعطى لكل من احترق له شيء . ويقبل قوله ولا يستخلف ،
فأعطوا لمن ذهب ماله . وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار ، ثم امر بقال عظيم أيضاً فحرق
في قراء أهل دمشق والنوطة ، وأقل ما أصاب الواحد من المستورين دينار (عن النجوم الزاهرة
لابن تقي يردى) .

مفاوضته سيما
الطويل وطبيعة
ابن طولون

وكاتب سيما الطويل ، وكان بأنطاكية على جهة التغلب وعصيان
السلطان ، بدعوه إلى الطاعة للسلطان والسلم ، ويقول في كتابه
إليه : لست أسومك شيئاً غير إقامتك الدعوة ، وأنصرف عنك ،
ويكون البلد لك ، تدبره كما ترى ، فامتنع سيما من ذلك ، ولجأ فيه
لأسباب المنية ، وكان قد تحصن بأنطاكية ، لأن حصنها ما فتح عنوة
قط ، فسار إليه أحمد بن طولون وعاوده المكاثبة ، وراجع القول
الأول ، ولطف به ، وراسله برسل معهم عقل ورأي وتلطف ،
فأقام على رأيه ، وهذا الفعل منه ، على ما كان بينه وبين أحمد بن
طولون من المحبة والمصادقة والمواقفة ، فلم يشنه ذلك ولا راعاه ،
فركب إليه أحمد بن طولون ليخاطبه بنفسه ، ووجه إليه : قد جئتك
لتسمع خطابي مشافهة ، فأشرف عليه سيما من برج من أبراج الحصن
فجرت بينهما مخاطبات^(١) كثيرة ، بعضها بالتركية وبعضها بالعربية ،
ولأطفه بكل لطف وكل حيلة ، وحلف له بكل يمين ، فلم يجبه إلى
مادعاه إليه ، وكان آخر قول سيما له : امض واعمل ما شئت ،
فلأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد ، آثر عندي وأحب إلى قلبي
من أن تلعب أنت بروحي . وأخطأ سيما الطويل في هذا القول
وجهل فيه ، لأن أحمد بن طولون كان من طبعه أن من لا يثبه
واستسلم إليه ، رأى منه كل ما يجبه ، وبلغ منه كل ما يريد ،

(١) في الاصل : خطوب .

ومن خاشنه أو قاومه لم يُطقه وكأفأ بما يستحق ، كما قال الشاعر :
 وكالسيف إن لابنته لأن متته وحداه إن خاشنته خَشِنان
 وكما وصف دِعْبِل بن علي الخُزاعي رئيساً كان في زمنه فقال :
 وإذا جالسته صدرته وتنحيت له [في] الحاشية
 وإذا سايرته قدمته وتأخرت مع المستأنية
 وإذا لاينته صادفته سلس الخلق سليم الناحية
 وإذا خاشنته ألفتته شرس الرأي أيباً داهية
 فاحمد الله على صحبته وسل الرحمن منه العافية
 وكانت هذه الأفعال كلها في أحمد بن طولون ، قد تبيينها الناس في
 علي بن إسحق وعلي بن ماجور وغيرهما .

فانصرف أحمد بن طولون عن سِما ، لما سمع ذلك القول منه من . مقتل سِما
 الطويل
 وقته ، وكان عسكره فيما يلي الباب المعروف بباب فارس ،
 فأقام بقية يومه ، وباكره من غد فنصب المنجنيقات ، ورمى
 الحصن بالحجارة وبالنفط ، وكان سِما قد أساء العشرة لأهل
 أنطاكية ، فكرهوه وبغضوه ، فلما حاصروهم أحمد بن طولون ورمى
 حصنهم بما لا يأمنون منه المكروه ، وعلموا أنهم لا يقاومونه ،
 شوا إليه فدلّوه على الموضع الذي منه المدخل إليهم ، فلما كان
 الليل دخل أحمد بن طولون وأصحابه الحصن منه ، ونصب أعلامه .

عليه ، وركب سيم الطويل فأحرق باب فارس ليشغلهم بالنار ،
فتمكنه النجاة بنفسه ، وسقط الباب الحديد ودخل منه إليه بقية
أصحاب أحمد بن طولون ، وهولا يعلم ذلك ، وطلبه أحمد بن طولون
وأصحابه والتقوا ، فحارب بنفسه ساعة حرباً^(١) شديداً بانته
فيه رجسته وجزالته . وقد تقدم أحمد بن طولون إلى جميع من
معه ألا يُقتل ، وإن أمكن قتله ، ولا يُرمى وإن أخذ أخذ
سليماً ، فلبض أهل أنطاكية له رمي بالطوب والحجارة من المنازل
والمواضع فتحير ولحقه سهم فصرعه ، قتل في المعركة ولم يعلم به ،
وبقي مطروحاً واستأمن أصحابه وغلانته ، وأحمد بن طولون يسأل
عنه ويبحث عن خبره ، فماوقف عليه حتى اجتاز به آخر النهار
وصيف اللاني مولى القصيصيين^(٢) فعرفه ، فنزل وأخذ رأسه ،
وأتى به إلى أحمد بن طولون ، فنصبه على رمح ، فلما رآه من كان بقي
من أصحابه منهم من هرب ، ومنهم من استأمن .

ولما رأى أحمد بن طولون رأس سيم قال : قد علم الله جل اسمه أنني
كنت أحب لك غير هذا فأيت ، فأنا بريء من دمك ، والله
ما أمرت بقتلك ، ولقد نهيت عنه ، فأحب الله جل ذكره فيك
ما أحب فأمضاه . وكان ذلك في المحرم سنة خمس وستين ومائتين ،

(١) في الاصل : فحاربهم ساعة حدة حوطاً سديداً (٢) كذا والغالب ان القصيص كان
من اهل المرة مرة النمان . قال البيهقي : ووثب بالمرة المعروف بالقصيص وهو يوسف بن ابراهيم
التوخي فجمع جوعاً من تموخ وصار الى مدينة قلبرين فتخص بها .

وقبض أحمد بن طولون على جميع ما كان لسيما من مال وُعدة وكرّاع
وغير ذلك ، وكلّ شيءٍ عظيم جليل خطير .

دخول اس
طولون طرسوس
ورجوعه عنها
لأسباب سياسية

ودخل إلى طرسوس في جمع عظيم ، وعزّ منيع ، فضاق السّعر بها ،
وضاقت بأصحابه وسواده طرقاتها ، فاضطرب أهلها وتأذوا بأصحابه
فصاروا إليه ، وفيهم غلظة أهل الثغر ، ونسوا أنهم في وجه عدو عظيم
قد قاوموه فقالوا : عافاك الله قد ضاق بأصحابك بلدنا ، وتعذرت بك
معيشتنا ، ونقص سعربنا ، فإما أمت في عدة يسيرة تحملها بلدنا ، وإلا
رحلت عنا . وكان كلامهم له كالشغب ، فقال لهم برفق وتأنّ : نرحل
عنكم ، حفظكم الله ، وركب من وقته .

وأطلقوا السنّتهم في أصحابه ، فقال لهم أحمد بن طولون : احذروا
أن تنابذوهم فقالوا له : قد حملوا السلاح يريدوننا . فقال لهم : انهزموا
عنهم ، وأظهروا الخوف منهم ، واخرجوا عن بلدكم ، فقد ضيقناه عليهم ،
فشقّ على أصحابه ما أمرهم به من انهزامهم عنهم ، وقالوا له : أيها الأمير
تكسرنا عنهم ، وليس عدتهم كعدتنا ، ولا حالهم كحالنا ، ولا هم
وغيرهم من يقاومنا ، وخاطبه وجوه قواده بمثل هذا ، وقالوا له : علينا
في هذا مكسرة ، ووضع ثمننا عندهم وعند غيرهم ، فقال : ونجّكم كل
ما نقولونه أنا أعلمه ، ولي فيه ما قد علمه الله جل اسمه ، وأنا أتحمّل
فيه وأحمّلكم كل مكروه ومشقة مما ذكرتموه ، تقرباً إلى الله عز وجل ،

فقالوا له : فيعرفنا الأمير لنسكن إليه . فقال : إنه لم يخفَ عن ممتلك الروم العدة التي دخلت هذا البلد ، والعدة وما نحن عليه من القوة والنجدة ، فأحببت أن يستقر في قلبه ، وعنده وعند عساكره وجنوده ، أنا على ما نحن عليه قد ضعفنا عن أهل طرسوس ، ولم يمكننا مقاومتهم ، فانهزمنا عنهم ، وعزهم فهو لله عز وجل ، وعزكم فهو لي والله جل اسمه أولى أن يُؤثر ، فقالوا : صدق الأمير ، الآن طابت نفوسنا ، وضرب مضاربه خارجها ، حتى فرغ مما احتاج إليه ، ومنع أن يدخل إليها أحد من أصحابه حتى رحل عنها .

وركب يوم الجمعة ، وقبل رحيله ، دخل إلى الجامع ليصلي راجلاً برداء ونعل ، ومعه ثلاثة غلمان . فصلى الجمعة وجلس في الجامع فقصى حوائج أهل البلد ، في كل ما سألوه فيه وأرادوه ، وبلغ لهم كل ما أحبوه ، وتصدق بجملة من المال ، وكثر الدعاء له والضحيج بذلك في الجامع والطرقات ، وخرج إلى مضربه ، وخرج أهل البلد كلهم معه يشيعونه ويدعون له ، ورحل عنهم . فبلغ ذلك ممتلك الروم ، وما كان من أهل طرسوس معه ، فعظمت هيبة الثغر في قلبه .

احسانه لأهل
طرسوس
 واجتماعه ببعض
النسك

حدث أبو العباس [الطرسوسي] المتولي كان لنفسل أحمد بن طولون عند وفاته ، وكان رجلاً خيراً فاضلاً زاهداً ، بتقوت من المباح ، قال : كان بطرسوس رجل من خشن الصوفية خيراً فاضل ، قد خرج من طعمة جليلاً ، ونعمة حسنة ، إلى الله عز وجل ، بتقوت من عمل الخوص ،

وكان لا يقطع الخروج إلى الثغور راجلاً، وكان أحمد بن طولون بمقامه في ابتداء أمره بطرسوس، مواصلاً له [ومتعجباً من حسن الفاظه] فحدث قال : لما أراد أحمد بن طولون الانصراف عن طرسوس أحضرني فجئته فسألتني عن حالي ، فشكرت الله جلَّ اسمه عليها ، فقال : قد سررت بنظري إليك ، وأنا أريد أن تتقدمني مع العشاء إلى منزل فلان صديقنا ، يريد الرجل الذي قدمت ذكره ، فتجلس عنده ولا تعرفه مصيري إليه ، فإن سألك عني فلا تربه في كلامك هية لي ، وكن في جوابك له مستكيناً خاضعاً لذكري وأقرته مني السلام ، وعرفه أنني استدعيت بميثك لتعرف خبره ، وذكرت لك شدة شوقي إليه ، وقل له آخر كلامك : وأحسبه يصير إليك لبس عليك قبل رحيله ، وودعه وأخرج ، فتلقاني وتعرفني ما جرى بينكما .

وكانت قد حصلت بيني وبين أحمد بن طولون ، بطول مقامه بالثغر ، مودة وعشرة وصحبة على الخير ، وكان يطوي أياماً ويحيي الليل بالصلاة إلى الصبح ، فأحبه قلبي ، وقلب كل من شاهد ذلك منه ، فلم أحب مخالفته ، ومضيت فعملت كما رسم لي ، فقال لي بانكسار منه وكثرة حياء : يحيي متى شاء . وانصرفت عنه ، فلقيت أحمد بن طولون في الطريق ، وهو يريد المجي راجلاً ، وليس معه إلا غلام واحد كان خصيصاً به ، فأخبرته بما جرى فردني معه إليه ، فلما دخلت إليه قلت له : لقيني فردني إليك ، فلما قرب منه أحمد قام

- ١٠٠ -

إليه وقال: هذا ما توجبه الطاعة لأولي الأمر، وتاركه يُخطئ، فبكى أحمد بن طولون، فقال له لما استقر به المجلس: يا أخي ما الذي أذكرته من ربك حتى شردت عنه، وأنت مع تباعدك عنه لا تخرج من قبضته، فأرحم نفسك من تحميلها مالا تحتل، واعلم أن جدّه يَحْصُ هزلك، وطاعته تزيل اجتراك، ولا تستكثر من الدنيا مالا يخفُّ معك حملة، ولا ينفعك إذا دعا بك ربك، وتيقن أنك مردود إليه بعملك وحده، وما سواه متخلف عنك. وأحمد بن طولون لا يزيد على البكاء الكثير شيئاً.

قال أبو العباس: فالتفت إليّ الشيخ وقال: يا أخي ما ترى الناس كيف يَطرّون تحت الأقدار، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بصره رشده، وأرحمه من سخطك عليه، ثم قال له: انصرف في حفظ الله [فإني أخاف أن تُعديني بحب الدنيا وطاعة الاثتار]، ولست أنساك عند ذكرى إن شاء الله.

فقيل لأبي العباس: كيف حفظت هذا الكلام؟ فقال: كان الغلام الذي كان مع أحمد بن طولون هو الذي كان كاتب السر، الذي كان يكتب كل ما يجري من أحمد بن طولون مع من يخاطبه، وما يجري من مخاطبه له، ولا يسقط من ذلك شيئاً. فإذا خلا عرض الغلام عليه مجللاً^(١) بما يجري يوماً بيوماً وليلة ليلة، فكتب

نريقتة و ضبط
انجاس ونقل
الكلام

(١) الجمل: المستعمل على جملة أشياء كثيرة غير ملغاة

الغلام جميع ذلك على الرسم ، فلما انصرفت مشيعاً له إلى مضر به
سأله أن يأمر الغلام أن يطلق لي نسخة فأمره بذلك فنسخته .
قال مؤلف هذا الكتاب : وكذا كان أحمد بن طولون إذا
أنفذ رسولاً في حاجة برسالة ، قال له : أعد علي ما قلت ، فإن
أعاده ولم يخرم منه حرفاً أنفذه ، وإن قصر عن ذلك استبدل به
وأمر بحبسه .

مثال من حزمه
والتنظير بينه وبين
غيره

قال : وكان أحمد بن طولون قد عمل على أن يغزو قبل أن ينصرف
من الثغر ، حتى ورد عليه الخبر بخلاف ابنه العباس عليه ، وأخذ
كل ما تهيأ له من المال والكرّاع والسلاح ، وذهابه إلى الغرب ،
وحمله معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه مكرهاً ، وأمين الأسود
مقيدين ، فانكفأ راجعاً إلى مصر قد حيره ما دهاه من مأمنه .
فمن دهائه وجودة رأيه وحزمه ، أنه لما عمل على المبادرة
إلى مصر ، لم يكن الرأي عنده أن يترك أطراف عمله منتشرة ،
غير مضبوطة ولا محروسة ، فتوقف ، وفي قلبه أحرّ من الحجر ،
حتى بعث بأحمد بن جيفويه في جيش كثيف إلى حرّان^(١) وما
والاها ، وبعث بلؤلؤ غلامه في مثل ذلك إلى فواحي الرقة^(٢)

(١) حرّان بفتح الحاء وتشديد الراء : بلدة بمجرية ابن عمر ومن جملة ديار مصر .

(٢) الرقة بتشديد الراء والقف : بلدة على الفرات كانت عامرة جداً اتخذها بعض ملوك بني العباس
مطافاً لهم وهي اليوم مركز قضاء سكانها بضعة ألوف . وعدّها الكري من مدن الرقاق وقال : وكل
أرض إلى جانب واد تبسط عليها الماء أيام الدثم ينحسر عنها فتكون مكرمة للنبات فهي رقة وبذلك سميت المدينة .

والمدارس " ليضبط ذلك . وهو آخر عمله مما يلي الشرق .
قال مؤلف هذا الكتاب : ومثل هذا بعينه رأيناه مع مؤنس
الحادم الذي كان يعرف بالأستاذ ، لما وجه " (٢) به المقتدر لقتال
عبد الرحمن صاحب الغرب ، وقد حصل عبد الرحمن هذا بالفيوم ،
وملك أكثر أعمال مصر فأقام مؤنس الحادم بالجيزة حتى استتم
ما أراد من العدة ، وسار إلى الفيوم في جيش لم يُرَ مثله قط .
أخذ أول عرضه الجبل والأهرام ، وأخذ آخر عرضه شط النيل ،
وأخرج في البحر مراكب حرية والعلايات والعشاريات والسناديل
العالة والقوارب وكل صنف من السفن مما لا يحصى كثرة ، مملوءة

(١) هكذا في الأصل بلا نقط ولا تعرف بلدة بهذا الرسم هناك
(٢) لم تكن وقعة مؤنس الحادم مع عبد الرحمن صاحب الغرب كما جاء في الأصل بل كانت
مع جيش المهدي الناطقي وكان سر جيشاً في سنة احدى وثلاثين مع ابنة أبي التماس الى الديار
الحرية فاستولى على بركة ومك الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد فسير اليها المقتدر
بألف مؤنس الحادم في جيش كثيف فحاربهم وأجلام من مصر فعادوا الى المغرب فهزمين على
على ما روى ابن الأثير في الكامل . وذكر صاحب تاريخ مصر وولاتها أن حجة بن يوسف
سار في جيوشه من بركة فاصداً للاسكندرية في مائة الف أو زيادة عليها فدخل الاسكندرية
يهرم السبت لثمان خلون من المحرم سنة اربعين وثلاثمائة وقدمت الجيوش من الشرق وخرج تكوين
بجيوشه الى الجيزة فسكر بها وصار حجة من الاسكندرية فسكر بمشتول فتودي بالنفر في
القساط والتقى الجيشان وقتل رجاله حياكة كلهم وتهزم جماعته ومنع أهل مصر أكتافهم ومضوا
على وجوههم هارين . ومشتول المذكورة آخاً كانت على الأغلب قرب الجيزة وكان في الشرقية
قرتان باسم مشتول يقال للأولى . مشتول الطواحين ولثانية مشتول القاضي . ومشتول القاضي
ما زالت حاضرة : وهي من عمل الزقاقين أو مشتول السوق فهي اليوم قرية من مركز بليس
من مديرية الشرقية في الجنوب الغربي باناس على مافي الخطط التوقية . ومشتول الطواحين
غير مروفة .

رجالاً وسلاحاً وعلوفةً وزاداً ، حتى كأن البحر كله قد فرش سفناً ، وكانت تسير في البحر مسير الجيش في البر . فلما اتصل خبره بعبد الرحمن ولى هارباً راجعاً من حيث جاء ، ولحق 'سرعان' مقدمة موئس أطراف أصحاب عبد الرحمن ، فأسروهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً ، فلما اتصل بموئس خبر عبد الرحمن وهربه ، أتاح له الفكر والتيقظ أن يكون أظهر ذلك ، لما صح عنده خلو البلد من الجيش خالف إليه ليملك القصة عليهم ، وأمر تكين^(١) الخاصة ، وكان أمير مصر يومئذ ، أن يلحق الجيزة ويضرب مضاربه بها ومصافه ، فأقبل تكين ركضاً من الفيوم حتى ضرب مضاربه بالجيزة ، حيث كانت قبل الرحيل . فسأت ظنون الناس لذلك ، ولم يعلموا ما السبب فيه حتى انكشف لهم . وهذا من التيقظ في سياسة العساكر ومن حزم الرأي وجودة التحفظ ، وإنما استدرك موئس الرأي بعد . ولا أحمد بن طولون فضل سبق ، لأنه استقبل أمره بحسن التدبير ، وضبط الأعمال ، قبل دخول آفة عليها وعليه فيها ، فكان هذا من إقباله .

ولما وصل ابن جيفويه إلى حرّان وجدها محمد بن أتامش^(٢) فطرده عنها ، وهزمه أقبح هزيمة ، فالتصل خبره بأخيه موسى بن أتامش ،

القبض على موه
ابن أتامش ود
في صميم جيش

(١) تكين : هو ابن منصور الحزري مولى المعتضد بالله ولي الشام ومصر مرات وولي مصر من قبل المعتز غير مرة أحدها في شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وعزل عنها سنة اثنتين وثلاثمائة على ما في تاريخ دمشق لابن عسّاك
(٢) في الكامل لابن الأثير : محمد بن أتامش وموسى بن أتامش . وفي الأصل محمد بن ماس

وكان موسى بن أتامش هذا من القرسان المعدودين ، والشجعان المذكورين ، فأغاضه ذلك ، وخرج نعصباً لأخيه وطالبا له ولثأره ، يريد ابن جيفويه . فلما اتصل خبره بابن جيفويه سُقط^(١) في يده ، وخاف أن يضعف عنه ، ووقع بين شرين ، كما قال الشاعر :

[فقال] غدرٌ ونكلٌ أنتَ بينهما فاخترَ وما فيها حظٌ لمختار

مقارعة موسى بن أتامش وليس هو من أنداده ، ثم النكوص عنه والرجوع إلى أحمد بن طولون فيلقى منه التلف والبوار . فأحزنه ذلك وحيره ، فتأمل بعض أصحابه من الأعراب المضمومين إليه يكنى أبا الأغر ، وليس بصاحب ابن الخليج ، فقال له : أيها الأمير مالي أراك مقطباً مغموماً ساهماً مفكراً منذ أيام فما الخبر ؟ فقال له : لخبر موسى بن أتامش فقال له : فما هذا وزن ابن أتامش ولا مقداره أن يبلغ منك مبلغه هذا المبلغ العظيم ؟ والله إنه لطياش قلق ، ولو شاء الأمير أن أمضي فآتي به إليه أسيراً ففعلت ، فبقي ابن جيفويه متعجباً من قوله ، وقد أغاضه منه ذلك ، فلخبطه قال له : نعم قد شئت أن تأتيني به أسيراً ، ولك السبق الوافر ، فقال له : فضمم^(٢) إلي عشرة رجال اختارهم ، قال : أفعل . فاختار عشرة كما أحب ، وأمرهم ابن جيفويه بالسمع والطاعة له .

وخرج فكمن أربعة منهم بموضع ، وثلاثة في موضع آخر ، وجعل

(١) دم وتحسر (٢) في الكامل : فاضم إلي عشرين رجلاً اختارهم

بينه وبين الثلاثة علامة وشعاراً ، وسار في الثلاثة الباقية معه في زيّ الأعراب ، حتى خالطوا عسكر موسى بن أتمش ليلاً ، فقصده مضرباً ، فلما قرب منه تعثر بأري^(١) فيه خيل مربوطة قريبة من المضرب ، فخلع الأري^(٢) فنفرت الخيل ، وصيح بهافرت نافرة تعدّو بين المضارب ، وصاح هو ومن معه : الأعراب الأعراب ، وأصحاب موسى متفرقون ، منهم من قد مضى يلتمس علماً لدوابه ، وآخرون في حوائجهم ، ومن في الخيل ، فمنهم من يشرب ، ومنهم من يضرب بطنبوره ويفني لنفسه ، ومنهم من قد سكر ونام . قد أمنوا أنهم لا يقدم عليهم أعراب ولا غيرهم : فأول من خرج لما سمع الصوت موسى بن أتمش وحده ، ثقةً منه بنفسه وشجاعته وإقدامه ، وقد كان كذلك ، وما كان يعييه غير عجلة الإقدام ، وهي التي تنسب إلى الطيش . فلما رآه أبو الأغر مرّاً منهزماً بين يديه ، فقصده موسى وأقبل أبو الأغر يطعمه في نفسه ويريه أنه قد خافه وهابه ، وهو بين يديه يتطارد ، ولجّ موسى في طلبه حتى قرب من موضع الكمناء فناداهم بالعلامة بينهم ، فخرجوا إليه من هاهنا ومن هاهنا ، فعطف هو ومن اجتمع معه على موسى بن أتمش فأخذوه أسيراً ، وأقبلوا به يقودونه قوداً إلى ابن جينغويه^(٣) ، فورد عليه وعلى الناس من ذلك ما تعجبوا منه وتحيروا له وقالوا : ليس هذا بتدبير الأعرابي ولا برجلة^(٤) ابن جينغويه ، ولكنه

(١) في الأصل : بدوى ولله بأري أي بأخيه وهو جبل تشد به الدابة في محبها

(٢) في الأصل : الروى . (٣) والرجولة والرجولة بمعنى واحد

بإقبال أحمد بن طولون نهياً أخذ مثل هذا الأسد مالم يُطمع في مثله ،
فحيره إقباله حتى خرج بنفسه مبادراً ولم يعلم به أحد من غلمانه
ولا طلبه ولا استدعاه . وكان لما أن ركب موسى وعلم به بعض غلمانه
وأصحابه ركبوا خلفه ، فلم يدروا كيف ذهب ، وكانت ليلة
ظلماء فتفرقوا يميناً وشمالاً ، ولم يُقدّر لواحد منهم أن يسلك طريقه
التي قصدها ، ليتم القضاء المقدر لأحمد بن طولون ، فلما وصل إليه
اعتقله في حجرة فرشها له في داره ، وفك قيده ، وخلع عليه ،
وبلغ في إكرامه ما يستحق مثله ، وخلع على أبي الأغر وأجازته ،
وزاد في رزقه ونوّه باسمه ، وقد كان ابن جيفويه أجازته أيضاً ،
وحمله وخلع عليه ، قبل إنفاذه موسى بن أتماش إلى أحمد بن طولون .

قال : وعدنا إلى أخباره المشهورة في دهائه وعقله وحزمه ،
وجعلنا لخبر ابنه العباس باباً مفرداً كما شرطنا . فمن ذلك أنه لما
وجه بالواسطي إلى العراق كما ذكرنا في أول أخباره ، واستكتب
جعفر بن عبد الغفار ، اضطرب بما حُمِلَ من الأمر ولم يكمل له ،
فقال له حمدان ^(١) بن خاقان : الأمير أيده الله يحتاج إلى كاتب أوفى
وزناً من هذا الكاتب . فقال له : أنا احتمله وأقنع به لأنه مصري .
فقال له : والأمير أيده الله يرى أن الكاتب المصري أكتب من
العراقي وأنهم بما يتولاه ؟ قال له : اعلم أن أصلح الأشياء إن ملك

تفضيله المصريين
في الاستخدام
على العراقيين

(١) في ابن الداية : أحمد .

بلداً أن يكون كاتبه منه ، فإنه يجمع بذلك أشياء تحمد عاقبتها .
 منها أن عيال الكاتب وشمله ، وكل ما يملكه معه في بلده . ومنها أن
 جميع ما يكسبه فيه ، وإن كان ممن يرغب في تجارة كانت تجارتها
 فيه ، أو في شراء عقار أو بناء كان فيه . ومنها أن جميع ما يتجمل
 به ولده وعياله ويقتصده لهم من قليل وكثير في بلده ، وما يعتقده ^(١)
 من ضيعة أو ربع ^(٢) أو ماشية فكله عمارة لبلده ، وضمنه الجناية إن
 كانت منه أو جناية أحد من جهته ، و [هو] مع هذا وأهله ظاهرون
 لي ، متصرفون في خدمتي .

والكاتب الغريب ليس كذلك لأنه يعتقد المستغلات في البلد
 النائي عني ، وكده عمارة بلده بتخريب بلدي ، وهو كذلك في كل
 حال متطلع إلى بلده ، فإن اجتمع عليّ منه أن يكون رئيس بلده
 من أميرها أو وزيرها عولي (?) وهو أحد أهله المقيمين معه في بلده
 خلطة أو خدمة فاختصار الحبة (?) أمن الاشتغال عليه . فهذا الذي
 زهدني في كتاب العراق ، مع علمي بما فيهم من الصناعة وتقديمهم في
 الكتابة ، فقال له : قد أصاب الأمير الرأي وفعه الله .

وكيل ابن طولون
 في بغداد وحيلته
 في الانتفاع
 بالعدو

ومن ذلك أن طيفور خليفته بالحضرة كتب إليه أن رجلاً من
 الموالي قد أشجاني وضيق عليّ ، وشغل قلبي ، مما لا يجري ذكرك أيها

(١) القعدة بالضم : الولاية على البلد كهرد والضيمة والقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً

(٢) الربع : الدار بينها ، ويموز الربع وهو النلة .

الأمير بحضرته في مجلس الموفق أو غيره إلا بسط لسانه فيك ،
وحرّض عليك ، فكتب إليه يقول : قد وجهت إليك كتاباً يصل
من يدك إليه ، فأوصله سرّاً عن جميع الناس ، مع ما قد حملته إليك
لتوصله إليه أيضاً ليلاً ، فلا يقف عليه أحد بوجه ولا سبب .
قال : وكان الكتاب يصف فيه شوقه إليه ، وتطلّعه إلى معرفة
خبره ، وأنه قد كان منذ مدة طويلة ، يطلب رجلاً يعتمد عليه
بالخبرة لمهاتنه ، فعسر ذلك عليه ، خوفاً أن ينكشف أمره ، فيتعذر
عليه ما يحتاج إلى معرفته من جهته ، فلما بلغني مقالتك في ، وبسط
لسانك بذكري ، بما يسر العدو ، ويغمّ الصديق ، علمت أن بهذه
الحال يتم لي بها منك ما أحبه ، وتيقنت أن بمودتك برجوعك إليّ
يحصل لي ما استميل به قلبك ، وأرغب فيه من مؤاخذتك ومساومتك ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادّوا تحابّوا . وقال أمير المؤمنين
عليّ عليه السلام : الهدية عطفة القلوب . وقد وجهت إليك بما جعلته
هدية إليك ألني دينار تصرفها في بعض مهاتك ، ولن أقطع مواصلتك
بحسب ما أقف عليه من خلوص طويتك ، وصحة نيتك ، فلا تخلني
يا أخي ، أعزك الله من ذكر أحوالك ، حسنّها الله ، ونكتبني بجميع
ما أحتاج إلى علمه فإنّ الذي تأتبه من ذلك يغيب ويستتر عن
الخلق كلهم ، لما يعرفونك به من الانحراف عني ، ولا تقطع ذكري بما
جرى رسمك بذكره ، بل فزد في ثلبي والطنن عليّ ، فإنك تبلغ لي

بذلك ما تحبه لي ، وتسرفني فيما تأتيه في ذلك إن شاء الله .
فلما وصل الكتاب إلى طيفور ركب به كما أمره ، وأوصله إليه
والمال ، فدعا له وشكره ، ووعد طيفورا بأنه يبلغ له في ذلك فوق
ما يحبه ، وصار من أخص أصحاب أحمد بن طولون على الأخبار ،
فكان يكتابه بجميع ما يجري في دار الموفق ودار المعتمد وسائر البلد ،
مما يحتاج إلى علمه ، واستتر أمره مدة طويلة عن أصحاب أخبار
الموفق ، ثم انكشف أمره للموفق ، فأحضره وضربه بالسوط ، ورماه
[في] المطبق ، وأقام فيه أياما ومات . فانتفع به أحمد بن طولون مدة
على الضرورة ، ثم استراح منه دفعة واحدة بأهون سعي ، وذلك الذي
قصده فيه .

ومنه ما رواه أبو جعفر بن عبد كان أنه ورد عليه كتاب
متملك الروم^(١) يسأله الهدنة ، فأجابه إلى ذلك وقال له : اكتب إلى
طخشي بطرسوس أن متملك الروم سألنا الهدنة مدة كذا وكذا ،
وقد أجبناه إلى ذلك ، على علم منا أنه لم يدعه إلى ما سأل ، إشفاق
من سفك الدماء ، ولا تحوّل لطلب السلامة ، بل أظن ، وهو كذلك ،
أنه قد خربت له قصور أو استرمت^(٢) ، أو لحقه من بعض أعدائه

ملك الروم يطلب
الهدنة

(١) يقول ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة ٢٩٥ أن فيها بث ملك الروم الى احمد بن طولون جبدالله بن رشيد بن كايوس وعدة أسرى وأتقد منهم مصاحب منه هدية اليه . قلنا : ولعل صاحب الروم جعل عمله هذا وسيلة الى عقد الهدنة مع ابن طولون في تلك السنة .
(٢) استرمت المأطط : دعا الى اصلاحه وحان له ان يرم

اضطراب اضطره إلى الهدنة هذه المدة، ومن الخسران المبين أن يكون بما التمس من ذلك أسعد منا، وإذا قرأت كتابي تعايد جميع الحصون التي بقربك، فرم منها ما استرمت، وأمر منها ما خرب، وجدد منها ما أخلق، وأنفق على ذلك من مالي الذي في أبدي وكلائي في ضياعي التي تقرب منك، وفرق في صعاليك أهل الثغر ممن قصر به هذه الهدنة ما يقيم أودهم ويكفيهم، وأوسع عليهم في ذلك، وطالعي بما يكون منك فيه فأني أراعيه إن شاء الله .

قال ابن عبد كان: وكان مضطرباً بالكتابة فوالله العظيم ما حضرني لهذا الكتاب أحسن من معاني ألفاظه كلها فلم أتجاوزها، وأنفذ الكتاب وعمل به .

ومن ذلك ما حدثت به كنت^(١) أم ولده قالت: كان عندي له جوارٍ أهدين إلى مولاي، ما رأيت أحسن منهن ولا أنجل، فأقن عندي مدة لم يطلبن، فشوقته إليهن، بحسن الصفة لهن، فذكر لي شغل قلبه عن ذلك، ثم دخل إليّ بعد ليال، فتبينت منه انشراح صدر، وطية نفس، فذكرتهن له فقال لي: اعرضين عليّ واحدة واحدة، ففعلت، فنظر إلى الأولى وقال: حسنة والله، ثم أحضر بعض الخدم ودفعها إليه وقال له: امض بها إلى غلامي فلان، وقل

عزوف ابن
طولون عن
النساء

(١) في كتاب ابن الداية: وحديثي نت، أي ان ابن الداية هو الراوي عنها لا مؤلفنا وقد روى عنها ابن الداية عدة أخبار ذلك على عدة أصاله مالم يتطاولوني

له : بجاتي عليك اطلب من هذه الولد [سرك الله وكترك] ، ثم لم يزل يفعل ذلك بواحدة واحدة حتى استوفى عدته مني .
فتبين الغيظ فيّ ، فضحك وقال : أراك مغيظة ؟ فقلت : يامولاي ، آثرت مثل هؤلاء المتعذر مثلهم ، غلمانك على نفسك ، فقال لي : يا ويحك قد ارتفعت رغبتني في النكاح وما ناسبه ، وإنما رغبتني الآن وغرضي وأربي في حراسة دولتي ، وضبط نعمتي ، ومن اضطر إلى من يضافره على أمره سلك هذا المسلك ، وآثر هذا الايثار ، وهؤلاء الغلمان فهم عدتي ، وينتسبون إليّ انتساب الأبناء إلى الآباء ، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنكاح ، فأنا أؤثرهم بما يحبون وأرتفع أنا عنه ، كما أنهم يؤثرونني في أوقات التضايق على نفوسهم ، فيذلون فيّ مهجهم دون مهجتي ، فقلت : وفق الله الأمير ، فقال لي : اعلمي أنني أجد في فهم الرجل عني وإفهامه إياي من الالتذاذ أكثر مما يجده مجامع الحسان من لذة جماعها ، وحسبك ، فدعوت له .

بعض أخلاق ابن
طولون وعاداته
في إدارته

وحدث نسيم الخادم قال : جرى ذكر أخلاق قوم بين يدي مولاي فقال : أما أنا فأرى أن أدفع بمالي عن رجالي ، وبرجالي عن نفسي ، ومافي الأرض عندي أبغض إلي من رجل يزيد ماله على فعاله وحالته على كفايته .

واستكتب كاتباً فقال له : إني جعلتك صاحب خبر على ألقاظي ،

فانظر كل ما يجري بيني وبين من يخاطبني ، من كان من الناس من صغير
وكبير ، فاكتب خطابه وجوابي ، وخطابي إياه وجوابه لي ، واعرضه
عليّ بالعشيّ ، فكان يراعي هذا أشد مراعاة
وحدث عنه ابن عبد كان قال : كنا ننشئ الكتب إلى السلطان
وغيره من أصحاب أعماله ، فيرد في الأجوبة غير ما صدرت به الكتب
إليهم ، فذكرت له ذلك لما كثُر ، فضحك فقال : هذه أجوبة عن
أشياء أضمتها أنا الكتب لا أطلعكم عليها .

تدقيقه في
الرسائل الصادرة
عنه

ومن ذلك أن كتابه^(١) لم يكونوا يختمون كتاباً ولا يحجرون
نسخته حتى يعرضوه عليه ، فإن استصابه^(٢) أمضاه وإلا غيره . وكان
لما استكتب في خرجته إلى الشام أبا الضحاك محبوب بن رجاء ، ولم
يكن بالكامل ، إلا أنه كان حاضر الذهن ، حلوا الألفاظ ، فعرض
عليه يوماً كتاباً فلم يقل فيه شيئاً ، فأنقذه محبوب فسأله عنه أحمد بن
طولون بعد أيام فقال له : قد أنقذته ، فحرد واغتاض ، وقال له :
ويلاك ، حق الكتب أن تراجع فيها الأفكار ، وقد كان ينبغي أن
تؤخر إنفاذه وتراجعني فيه . فكانت كتبه بعد ذلك تؤخر لمراجعة
النظر ، والتصفح بعد الانشاء ، وجعل لها ديواناً .

(١) قال ابن تيري بردي في التجويد الزاهرة : وكانت الديار المصرية من حين الفتح الاسلامي
والى الدولة الطولونية امانة ، ولم يكن لديوان الانتشا فيها كبير أمر . فلما استولى أحمد بن طولون
عظمت مملكته وقوي امرها فكتب عنه أبو حنيفة محمد بن أحمد بن مودود .

(٢) استصاب استصاية واستصوب استصوانا قوله وصله ورأيه : رأه صواباً

فقال له يوماً في كتاب قد كان عرضه عليه : أظن ذلك الكتاب قد شارف دمشق ، فقال له محبوب : لا والله ، أيها الأمير ، هو مؤخر في ديوان التصفح^(١) ، فقال له : ويل لك ، أتشك في رأيي حتى تطلب مراجعة بعد مراجعة ؟ وإنما قصدنا مراجعة مرة لا مرتين ، كأنك تراني بعين من لا يوثق بخاطره ونظره فكيف مراجعة مرة . فحمل محبوب بن رجاء الغيظ والدالة عليه إلى أن قال له : أيها الأمير ، ما أدري أي شيء أنت . إن قد منا قلت : أخروا ، فإن آخرنا قلت لنا : قدّموا . فأمر به فبطح وضربه خمس مقارع ، فكنت المقارع تأخذه وهو يقول : اقتلني وقل لي أي شيء أنت ؟ فضحك منه وأطلقه

شدة ابن طولون
على أقرب الناس
إليه

وهذا كله فإنما كان منه دهاء ، ولم يكن في كتابه أحد أعرف بخدتمته ، ولا أصبر عليها من أحمد بن محمد الواسطي . لقد عتب عليه يوماً فضربه بيده ضرباً لا يحتمله المملوك . ومن حس أفعاله أنه كان لا يضرب أحداً من كتابه إلا هو بيده ، كما كان يضرب من يخطئ من ولده بيده .

ولما ضرب الواسطي ضرباً بلغ منه ، أمره بالانصراف عنه ، فلما خرج من بين يديه ، طرح نفسه في دهليز من دهاليزه ، فأقام فيه ثلاثة أيام ، ينام على حصير الدهليز ، ودواته تحت رأسه ، صائماً نهاره ،

(١) في الأصل : في ديوان مراجعة التصفح

فإذا صليت العشاء أفرط على خبز وملح لا غير ذلك ، ولم يتهياً لأحد من حاشيته [أن] يفعل في أمره ما يستحقه ويلزمهم له خوفاً منه ، وأخباره تنقل إلى أحمد بن طولون في كل ساعة .

ولما مضت له ثلاثة أيام ، أحضره وخلع عليه ، وأجازه وعاتبه على ما كان منه ، حتى أخرجه إلى ما جرى إليه ، وأنه جعل ذلك تأديباً له كما يؤدب أحد ولده ، فشكر ودعا وزادت حاله عنده .

وحدث الواسطي هذا قال : انصرفت ليلة إلى داري ، وكان عندي من آنس به ، وأتفرج إليه ، وأثق بمودته ، ممن يصحبني ، قد خاطني^(١) بنفسه ، لأن الإنسان الكامل يتفرج إلى صاحبه بالابتفرج به إلى أخيه ولا ولده ولا خاصته وإن كانت حظية عنده .

توفر ابن طولون
على كشف أسرار
صحابه

و كنت قد أزمته المبيت عندي ، وكان انصرافي ، وقد مضى هزيع من الليل ، فدخلت ، وأنا مقطب مشغول القلب ، فتأمل ذلك مني ، وقال لي : أطلت عند الأمير الليلة جدّاً ، وأراك قد جئت وعلى قلبك هم ، فما الخبر ؟ فلم يكن بي فضل لجوابه ، وبقيت بثيابي وخفي جالساً فقال لي : استخر الله يا سيدي ، وادخل إلى الحرم ، واخلع ثيابك ، ونم تهدأ أعضاءك بما تعطيه نفسك من الراحة . فقلت له : دعني من هذا فقد حيرني أمر هذا الرجل الذي أخدمه وأدهشني ، وما أشبه موارد أموره ومصادرها إلا بالآخرة ، فلي والله في الفكر

فيها ما يشغلني عن الراحة والمطعم والمشرّب التي لا بدّ منها .
 فقال لي : قد استعجلت أنا الساعة الحيرة فخبّرني ما السبب ؟
 فقلت له : كنت بين يدي الأمير واقفاً ، أعرض عليه الأعمال ، فلم
 أزل كذلك إلى أن جاء نصف الليل ، فرأيتّه وقد تشاغل عني بشيء
 أثر الانفراد به ، فتأخّرت وملت تعباً إلى طرف الزقاق ، فطرحت
 نفسي اغتنم استراحة ، وكان موضعاً مظلماً لا يبين من فيه لكثرة
 ضوء الشمع ، فرأيت غلابي فلاناً ، وهو كما تعلم أكبرهم وأوثقهم
 عندي ، وهو عدّتي وعليه معوّلي ، وقد وقف بإزائه لما لم يرني ، وظن
 الأمير أنّي قد خرجت من الدار ، فاستدناه فدنا منه ، فلم يزل في سرار
 متصل أكثر من ساعة ، ثم خرج من عنده متبسماً ، لما لقيه به من
 محبوبه ، فما ظنك بمن أبرّ غلماناً عنده صاحب خبر عليه ؟ أي عيش
 يطيب له ؟ أو أي راحة تنفعه ؟

غرام ابن طولون
 بالتجسس على
 الناس

ومن ذلك ما حدث به أحمد بن أيمن قال : قال لي أحمد بن طولون
 يوماً : اطلب لي رجلاً زكي الروح ، صادق اللهجة ، صحيح التمييز ،
 مهمّ لي أريده ، فوعدته بذلك ، وقد كان في جواربي فتى من أولاد
 الكتاب ، فيه ما وصفه لي ، فعرضت عليه ما ذكره لي الأمير فقبله ،
 فأدخلته إليه ، وقلت له : هذا الرجل الذي طلبه مني الأمير ، فتأمله ثم
 استدناه فدنا منه ، وأسّر إليه ما لم أقف عليه ، فدعا بالسياط وانعقابين ،

فشق عن الفتى وضرب عشرين سوطاً ، وأمر به للمطيق ، فلم استجز
أسأله عن أمره ، فأنصرفت مهموماً مغموماً ، وسألني بعض أسبابه ^(١)
عن حاله فقلت : أنفذ الأمير في مهم له من وقته ، وأمر له بصلة ،
وقد أنفذ إليكم هذا منها ، ودفعت إليهم من عندي خمسين ديناراً ،
واستتر عني خبره شهراً ، فلما انقضى رأيت يوماً قد دخل وأنا بين يديه ،
وقد اتسخت ثيابه ، وطال شعره ، فاستبشرت لرويته ، وعجبت من حاله .
فدنا من الأمير فخطبه ساعة ، ثم استدعى أيضاً السياط فضربه
عشرين سوطاً ، وأمر به إلى المطيق ، فازدت حيرة وتعجباً وغماً . فلما
كان بعد شهر قال لي أحمد بن طولون : يا أحمد . فقم قائماً فقلت : لبيك
أيها الأمير . قال لي : قد وافي ذلك الفتى من الموضع الذي كنا أنفذناه
إليه ، والساعة يدخل فاخرج للقائه ، فبادرت مسروراً بذلك ،
فلقيته بعين شمس ، وهورا كب على بغل فارٍ به سرج ثقيل ، وجنيبة ^(٢)
تجنب له ، ومعه ثلاثة أبغل تُقلُّ محمله إليه ، فسلمت عليه وبدأني فقال :
إني لأعلم نعلق قلبك بأمرى ، فقلت له : ما أحسن أصف ذلك ،
فعرفتي حالك . فقال لي : لما نظر إلي عند دخولي إليه واستدناني قال
لي : إن قلبي متعلق بما يجري من المعتقلين في المطيق ، وقد نديت لك لذلك ،
وقد عملت على أني أظهر سخطاً عليك ، وأمر بك إلى المطيق ، فإذا

(١) في الحديث كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي ، النسب بالولادة والسبب بالزواج وهو
من السبب وهو الجبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استير لكل ما يتوصل به إلى النسي (تاج الروس)
(٢) الجنيبة : الدابة تقاد .

حصلت فيه فأثبت ما يجري من واحد واحد ساعة بساعة ، فأني أنفذ إليك رجلاً خفي الشخص يجلس إليك ، تنفذ إليّ معه ما يجري يوماً يوماً ، ققلت له : لما توجه هذه الحال : فإن ضربني الأمير ولو ضرباً يسيراً كان أصحّ لخبري ، فقال : لله درك ، فما أخطأت فراستي فيك ، فأمر بضري كما شاهدت ، وأقت في المطبق شهراً أنفذ إليه كل يوم مجللاً بما يجري مع شيخ يأتي كالمهلم عليّ ، وأهل المطبق يسألوني عن حالي ، فأقول : لا أدري من سعى بي بمالا أعلمه .

ثم أخرجت من المطبق ، فقال لي : قد قبضت على قوم آخر ، وأنا أريد إنقاذهم إلى المطبق ، فتعود إليه على رسمك ، وثابت ما يكون منهم أيضاً ، وتطالعني به ففعلت ، فأنفذ عشرة أنفس ما بين قائد وعامل وكاتب وصاحب ، فجريت على شاكلي فيهم ، وأخرجت أمس إليه فقال لي : بارك الله عليك وفيك ، وأمر لي بألني دينار وعشرة آلاف درهم ، وما ترى من الحملان^(١) وثياب كثيرة ، وتقدم إلى نسيم بأن يسفرني هذا السفر وينفذني إلى عين شمس ، لا أعود منها كالسافر . فركبت فصرّت معه إلى منزله ، وقد سررت بسلامته ، وكثر تعجبي من أفعال أحمد بن طولون ، وازداد خوفي ووجلتي منه .

(١) الحملان بضم الحاء : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

ابن طولون
ورهبان القبط

ومن ذلك ما رواه رهبان دير انقصير^(١) قالوا: كان كثيراً ما يطرقتنا
الأمير أحمد بن طولون، ويخلو في بعض قلايينا^(٢) يفكر، وكان يأنس
براهب منا يقال له أندونة، فشكونا إليه يوماً أمر ابن مدبر صاحب
الخارج بمصر، وقتلناه: إنه يطالبنا بجزية رؤوسنا، وقد أسقطت عن
أمثالنا على مر السنين، فوقع إليه بخطه توقيعاً وقال لنا: احذروا أن
تجعلوا توقيع هذا كالسيف الذي يصول به صاحبه، ولكن استعملوا
الاستكانة عند إيصالكم إياه إليه، والمسألة وحسن التلطف، ففعلنا
من قوله، وصرنا إلى ابن مدبر وإذا به قد بلغه خبر التوقيع، واستعملنا
ما أمرنا به الأمير، فأخذ التوقيع منا، وبلغ لنا فوق ما نحب.

تمس ابن
طولون على أحد
أصحابه

ومن ذلك ما حدث به الفارسي، وكان من ثقات أصحاب
أخباره، وخصيصاً به جداً قال: دعاني أحمد بن طولون يوماً فقال
لي: ويحك قد خفي عني أمر فلان، رجل كان من أصحابه الأتراك،

(١) القالب به دير القصير ضد الطويل لا القصير بالتصغير ودير القصير كان في جهات حلوان في المكان
المطل على الصحراء والنبل وعلى القرية المعروفة كانت بشهران والمعروفة اليوم باسم المصرية بين طرا
وحلوان. ودير القصير مازال إلى اليوم عامراً. قال ابن فضل الله في مسالك الأبحار: إنه في
أعلى الجبل وفي اعلا غرة ناهنا خاوي به بن طولون تطل من كل جهة، وكان كثير النشيان لهذا
الدير وإلى جانبه قرية تعرف بشهران. وفي عمل أسبوط اليوم دير القصير أيضاً لكن هذا بعيد
وان طولون كان يختلج إلى دير قرب القسطاط وهو الدير الذي وصفا.

(٢) القلية كالتلية: شبه الصومعة تكون في كنيسة النصارى والجميع القلاي وقد جاء ذكرها في
الحديث وهي القلاية عند النصارى معرب كلاله وهي من بيوت عبادتهم (قوله الزبيدي في تاج العروس)

وقال لي . من العجب أن يضبط نفسه ، ولا يظهر شيئاً من أمره ،
فابحث لي عن حاله ، والطف في ذلك . فمضيت إلى داره فجلست
ناحية ، وسألت من قرب من جواره عنه ، فعرفت أنه يركب في كل
يوم ، ويُغلق باب داره فلا يُفتح ، ولا يقربه أحد إلى موافاته ، فإذا
وإني ونزل أغلق فلم يخرج منه أحد ولم يدخل إليه أحد إلى غد يومه ،
فإذا ركب كانت تلك سبيله على هذا دائماً

فاكتريت داراً رأيته مشرفة على داره وانصرفت . فلما كان غد
يومي صرت إليها ومعها سحابة ، معه ما أجلس عليه وآكله وأشربه
ليومي ، فدخلت الدار وغلقت علي بابها ، وصعدت إلى سطحها فتأملته ،
وإذا فيه موضع أشرف منه فأرى قاعة التركي وبعض مجلسه ، ولم
أسمع له حساً فعلت ركوبه ، فلم أزل أتوقع عودته ، حتى عاد من
ركوبه ، فلما سمعت حركته أشرفت ، فرأيت أنه قد دخل مجلسه ،
وأقبلت أراعي أمره ، حتى رأيت الطعام يُنقل إليه ، إلى أن فرغ
من أكله ، وأدخل إليه الطست وانمسل ، ولم أسمع بعد ذلك له
حركة ، فعلت أنه لما أكل نام ، فلم أزل أنتظر ما يكون ، وكان
ذلك الوقت صيفاً .

فرأيت الفراء بعد العصر ، وقد كنس القاعة ورشها ، وأخرج
حصراً حساناً ففرشها ، وجعل له مطرحاً^(١) طبرياً ومسورتين^(٢) وأربع

(١) المطرح : كالفرش وزناً وسقياً ، وطبري نسبة إلى طبرية من مدن الشام أو إلى طبرستان .

(٢) المسورة بكسر الميم مخدة مدورة (دوزي ')

تمخّذاً ومقعد سامان (?) مبطن عن يمينه ومخادّ بلا مساور، وخرج انفرّاش
فخرجت جارية فغلّقت باب القاعة بينهم وبين العلمان . وخرج التركي
فجلس على المطرح ، وخرجت معه جارية في نهاية الحسن والجمال ،
فجلست على المقعد السامان (?) وجاءتها جاريتهابها يعودها ، فوضعت
بين يديها .

وقدّم بين يديه صينية فيها ثلاث خرداديات ^(١) ، وكوز ماء ،
وقدح نصف ، وجعل بين يدي الجارية صينية فيها خردادي وقدح
لطيف وكوز ماء ومغسل ، وأخذت العود فغنت أحسن غناء وأطيبه
وأحذّقه ، وشرب حتى استوفى الثلاث خرداديات ، وشربت الجارية
الخردادي الذي بين يديها ، فأقي بثلاثة آخر وملئ خردادي الجارية ،
وغنت وشرب وشربت واستوفاهما . وفي كل واحد منهما نحو الرطلين
لأنّ في رأبتهما كباراً وملئوا له ، وقد خلط في كلامه ، فاستدعى الرطل
فملاه ، وغنت وشرب ، فلما شربه قال لها : ويحك الساعة حصلنا على أن
يملك أحمد بن طولون العاصي لمولاه أمير المؤمنين الموفق هذا البلد الذي
ليس في الدنيا أجمل منه ، ونحن بين يديه يُديرنا كما يشاء ، ويأمر
فيينا بما يحب ، والله لا صبرت له على هذا . فقالت له الجارية : أيضاً قد

(١) الخردادي على ما في كتاب كنوز الفاطميين للأستاذ زكي محمد حسن : ابريق من
البلور الصخري له عنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من اعلى الى اسفل . والخردادي الخرمرب
خوردادي بالفارسية ، والنائب ان هذا الاء كان خاصاً بوضع الخمر كالباطية . وقال الاستاد
كرنسكو : انها خرداذية ما تزال في الثانية وهي كلمة فارسية لنوع من اواني الشرب كانوا يشربون
فيها ايام الأعياد .

عدت إلى هذا؟ دع عنك مالا نحتاج إلى ذكره، واشرب حتى أغنيك صوتاً ما سمعت مني مثله قط، فقال لها: هات، فغنت صوتاً جوت فيه وأحسن كل الإحسان، وشرب فما ضبط نفسه فقال لها: ما أدري أي قتلّة أقتل هذا العاصي الملعون. فقالت له: املأ قدحك حتى أغنيك صوتاً أحسن من كل ما غنيته، فلما غنت وشرب زاد الأمر عليه فقال لها: ويحك والله لا صبرت عن هذا العاصي، ولا دخلن إليه غداً وأخذ سيفي هذا، ثم جرّ دسيغه ووقف واقفاً وقال: ولا أزال أضربه هكذا وهكذا، وأقبل يضرب به المسورة، ويقول: أشتقي منه قلبي هكذا، حتى قطعها قطعة قطعة، فلم تزل ترفق به حتى أخذت السيف منه، وأقبلت تغنيه وتسقيه حتى سكر ونام، ونمت موضعي. ولما كان في السحر بكرت إلى أحمد بن طولون وعرفته ما جرى، وتبينت الغيظ في وجهه، وقال لي: امضي، وأمسك حتى دخل إليه في جملة المسلمين من غدٍ، فلما أراد الانصراف أمره بالجلوس، فلما لم يبق أحد من المسلمين استدناه إليه ثم قال: يا هذا أسأت إليك قط؟ قال: لا أيها الأمير. قال: أليس أنا أدرّ عليك أرزاقك وجراياتك وأرزاق من معك؟ قال: نعم أيها الأمير. قال: زولا أخليك في الأوقات من صلة وجائزة؟ قال: نعم. قال: فبأي حال استوجبت منك أن تفعل كذا وكذا، وعرفه ما عرفته، فقام التركي قائماً، ورفع رأسه إلى السماء وقال: رفعته علينا فصبونا،

وما كُتبه رقابنا وأرزاقنا فاطعنا، وأعطيته الدنيا كلها فلم نبال، ما قنعت له بهذا كله، حتى صرت له صاحب خبر علينا، فرفعت إليه ما تخرجه حماقة النبيذ من الناس إذا هم شربوا، كل هذا تتقرب من قلبه. فضحك أحمد بن طولون حتى استلقى على شدة تزمته^(١)، ثم أمره بالانصراف، وأتبعه بخادم معه خمس مائة دينار، وأمره أن يدفعها إلى الجارية ويقول لها: قد أحسنت في تأديبه فالزمي ذلك، ثم أخرجه بعد شهر إلى طرسوس، وكتب له بأرزاقه هناك، ووصله بخمس مائة دينار، ولم يحتمل أن يكون معه في بلده وبحيث تراه عينه، ويحمل منه ما شق عليه تحمله، ولم ير في مروته أن يسيئ إليه لجميل فعل جاريته، وما أصلحته من خطابه، ورميه بطرفه إلى السماء

وأما فراسته وصحة إزكانه^(٢)، فما رواه أبو العباس المعروف بالطرسوسي صاحب خبره قال: ما رأيت أصح إزكاناً من أحمد بن طولون ولا أقوى فراسة منه. نظر يوماً شيخاً في جملة من ينظر إليه، وهو راكب سائر في جيشه فقال لبعض حبابه: دونك ذلك الشيخ، فقبض عليه، فلما صار في داره أحضره، فإذا به رجل خراساني شديد العجمة، فسأله عن أمره فاعترف أنه صاحب خبر عليه للموفق، وأن معه كتباً إلى جماعة من قواده وأصحابه، وأحضر الكتب فأخذها، وأمر به إلى المطبق، فقال له: أيها الأمير أما وقد أخذتني بحسن فراستك، فقد

اهتداء ابن
طولون
للجواسيس عليه

(١) التزم: الوقار. (٢) الإزكان: النطنة والمخدس وان تظن شيئاً فتصيب فيه.

لزماني نصحك ، لما ملك قلبي من ذكاء عقلك ، واقتصارك بي على الحبس ،
وعفوك عن عقوبة كنت أتوقع التلف معها . فقال له : قل يا مبارك .
قال : معي صاحب خبر آخر فإن أردت أن تحتاط فاحبسنا جميعاً إن
رأيت ذاك ، أيها الأمير ، صواباً . فقال له : بارك الله عليك ، وأين
يكون ؟ قال : في موضع نجتمع فيه من ليل إلى ليل ، قال : فخذ معك
من تريه إياه ، حتى يأثيني به قال : أفعل فأنفذ معه بعض حجابيه
ومضى معه ، ولم يزل يترقب موافاة صاحبه حتى وافى في آخر النهار ،
فعرّفه معرفة أحمد بن طولون به ، وقبضه عليه ، فسمعه الحاجب ،
وهو يقول له : فما الذي قلت له ؟ فقال : اعترفت بالصدق ، فقال له :
جودت ، الصدق أحمد عاقبة ، وإن سألتني صدقته ، وأحسبك ذكرت
له مكاني معك ، فوجه هذا الرجل معك ليحضرني إليه قال : نعم .
قال : سمعاً وطاعة ، امض بنا . ووافيا والحاجب معها إلى أحمد بن
طولون . فعرّفه الحاجب ما سمعه منه ، فأعجبه ذلك ، وسأله عن خبره
فصدقه . فقال لهما : قد نجوتما مني وتخلصتما بصدقكما ، فارجعا الآن
إليه وعرفاه بعرفتنا بكما ، وأخذنا الكتب التي كانت معكما ، وإطلاقي
لكما ، وصلهما ووجه معهما من بقيهما .

قال أبو العباس فتخيرنا مما شاهدناه منه ، وقلنا : هذا وحي ،
وفطن لما خامر قلوبنا من ذلك ، فقال لنا : قد علمت ما اختلج بأسراركم ،
ما هو وحي ، ولكنه إزكانٌ صحيح ، وذكاء قوي بحمد الله ومنه .

إني رأيت هذا الرجل في وسط الناس وهو مشغول بالنظر إليّ والتأمل لي ، لا يطرف عني بنظر إلى جليس ولا غيره ، فارتبت به ، فكان كما ظننت . فقلت له : وفق الله الأمير وكفاه

قال : وانصرف يوماً من الصيد ، فاجتاز على شارع الحمراء فتأمل داراً تبني هناك ، فوقعت عينه على بعض الرقاصين ^(١) ، فأمر بأخذه فقبض عليه ، ووافوا به إلى الميدان ، فلما جلس أمر بإحضاره ، فلما حضر أمر بإحضار السياط والعقابين ، فلما شُدَّ صاح : أيها الأمير ، لا تعجل عليّ من قبل أن تسألني ، وتعلم ما عندي ، فقال : صدق حلوه . فلما حُلَّ قال له : ادنُ ، فلما دنا ، قال له : عرفني خبرك ، واصدقني تنجُ مني . قال : نعم أيها الأمير أنا جاسوس للموفق ، وكانت معي كتب ففرقتها على أصحابها فوعدوني بكتب الجواب عنها ، فعملت رقاصاً ليستتر أمري ، وأسمع وأنا في أوساط الناس من أحوال البلد وأخبار الأمير ما أحفظه ، حتى أذكره عند عودتي إن أنفذني ، كما يلزم من نصب لهذا المنصب . فقال له : صدقت ، فعرفني من أصحاب الكتب ، فعرفه بهم واحداً واحداً ، ووكل به من أخرجه عن البلد من وقته ، وقال له : قل له قد أطلعنا الله عز وجل على ما سترته ، وأردت أذيتنا به ، وأظفرنا ونصرنا ، ولم يضرنا فعلك ، والحمد لله على ذلك . فلما كان في الليل قبض على

معرفة الجواسيس
بالنظر في لباسهم

أولئك القوم أصحاب الكتب كلهم ، فمنهم من غرقه ، ومنهم من طمَّ عليه الحُفْر .

فقال له موسى بن طونيق وكان خصيصاً به : أيها الأمير ، كيف علمت أن هذا الرقاص جاسوس ؟ قال : لمحتة على الاسقالة ^(١) وعلى كتفه قصريّة ^(٢) الطين ورأيت تكة أرمي فأنكرت ذلك وقلت : رقاص لا تكون تكتة إلا خيطاً أو كتاناً ، فقبضت عليه وكان ما شاهدت منه . قال له : أحسن الله توفيق الأمير .

وحدث موسى بن طونيق قال : رأيت أحمد بن طولون يوماً ، وقد أمر بالقبض على رجل دخل إليه في جملة الأولياء للسلام ، ثم أحضر له السياط والعقابين وقال له : اصدقني وبلغك من أرسلك إليّ ، فخبرك عندي منذ البارحة . فقال له : صدق الأمير أيده الله ، أنا صاحب خبر لآبي أحمد الموفق ، فأمر به إلى المطبق .

قال موسى فقلت له : أيها الأمير هذا وحي لا شك فيه . فضحك وقال لي : ويحك لا تكفر بالله ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي . ولكن اعلم أنه إذا كان العقل صحيحاً قل ما يخطئ ، وإلا فما منزلتي منزلة من يوحى إليه ، ولكنني أز كن وأستدل ققل ما أخطئ ،

(١) الاسقالة: لها ما يطلق عليه في الشام اسم الصقالة وهي اختاب تحكم ليعتليا البناؤون والتجارون والمجسسون والطينون والدهنون .

(٢) القصريّة: كالافجاة توضع فيها الزهور والطين وغير ذلك . وهي لنظرة دخيلة

جاسوسان على
ابن طولون

ومع هذا فإني رأيت البارحة في النوم هذا الشخص بعينه ، وكأنه يروم الدخول إليّ فيمنع من ذلك ، فكأنه يتسلق إلى طاق^(١) في مجلسي ليرى ما أعمل . فكانت عبارة هذه الرؤيا تدل على أنه صاحب خبر لتسلفه عليّ وتجسسه ، وكان ما قدرته .

ومن ذلك ما رواه تركان بن عبد الله بن الإمام قال . جلس أحمد بن طولون يوماً في مُستَشَرَف له على بعض بساطينه ، وأحضر الطعام ومن يوأكله من خاصته ، فرأى من بعيد سائلاً في ثوب خَلَق ، وحال سيئة ، وهو جالس يتأمل المستَشَرَف ومن فيه ، فأخذ رغيماً ، وكان خبز الطولونية في الرغيف رطلين زائدين ، فجعل عليه دجاجة وفرخاً وفرجاً وشواء لحم ، وقطع فالودج كبيرة ، ومن جميع ما كن بين يديه ، وغطاه برغيف آخر ، وجعل فوقه لوزينجاً مع الفالودج وغطاه برُقاقين ، ودفعه إلى بعض الغلمان وأراه إياه وقال له : امض سلّمه إليه ، وأقبل يُراعي الغلام في دفعه إياه إليه وما يكون منه ، إلى أن دفعه إليه ، وعاد فعرفه ذلك ، فلم يزل يتأمل السائل ساعة ، ثم أمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه استنطقه ، فأحسن الجواب ، ولم يضطرب من هيئته ، فقال له : اكتب التي معك هاتها ، واصدقني صدقاً ينجيك من ضرب السوط ، فقد توسمت فيك بحسن عبارتك ، وثبوت قلبك ، وصحة عقلك ،

(١) الطاق : ما عطف من الابنية ج طاقات وطاقان (فارسي مرعب) .

فاعترف له أنه صاحب خبر، وأن الكتب معه ما أوصلها ليدبر أمره في إيصالها، فوكل به حتى مضى وأحضرت الكتب .

قال ترکان الإمام: فقال له طبارجي [وكان ذا دالة عليه وذا موقع منه] . أيها الأمير إن لم يكن هذا وحياً فهو سحر ، فقال له : لا والله يا هذا ، ما هو وحى ولا سحر ، ولكنه قياس صحيح ، وتوفيق من الله جل اسمه ، وتفضل منه عليّ : رأيت هذا الرجل على ما هو عليه من سوء الحال فأشفقت ^(١) عليه ، وعلمت أن مثله لا يصل إلى مثل ما بين أيدينا من الطعام ، وأنه يرى في الأسواق ويشم من الروائح ما لا يصل إليه ، وتعلق نفسه به ، فأردت أن أسره بما أنفذته إليه ، فوجهت إليه بما تشره إليه نفس الشبعان الواجد فكيف الفقير ؟ فما هشّ له ولا مدّ يداً إليه ، ولا رأيت من حسن القبول له والشهوة ما قدرته ، فنفر قلبي منه ، وقلت : هذا عينه ملأى وفي غنى عن هذا ، هذا جاسوس لاشك فيه ، فأحضرتة فكان من أمره ما قد شاهدتموه من صحة خطابه ، واستيفاء جوابه ، فازداد إنكاري لأمره لقوة قلبه ، واجتماع لبه . وأنه ليس عليه من شواهد الفقر ما يدل على فقره ، وبعثه عقله على أن اعترف بأنه صاحب خبر ، وصدقني عن

(١) شفق واشفق : حاذر قال الراغب : الاشتقاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه قال عز وجل : « وهم من الساعة مشفقون » فإذا عدي عن فئتي الخوف فيه اظهر ، وإذا عدي بلى فئتي الناية فيه اظهر

أمره ، ولا أسي إليه وأثأثره وأطلقه . ففعل ذلك بعد ثلاثة أيام^(١)

النساء
الصالحات
والجاسوسان

وحدث تركان بن الإمام عن أبيه قال : قال لي أبي : ركب مع الأمير أحمد بن طولون يوماً في السحر ، وكان من عادته أن يركب سحراً في نفر من أصحابه ، ويمتاز بالواضع الشعثة يطالع منها جنائيات أهل الشر في الليل ، فمن ظفر به منهم أمر بضرب عنقه ، فلقينا في الطريق صوائح ، فوجه معهن من يخفرن إلى حيث يقصدن ، إلى أن لقينا صوائح أخر فقال لصندل المزاحمي : انزل إلى هؤلاء الصوائح ففتشن واحدة واحدة ، فأخرج من وسطهن رجلين وأمر بهما إلى المطبق ، وكانا من قد جد في طلبهما فلم يقدر عليهما ، فقال له طبارجي : كيف تبينت ، أيها الأمير ، هذا من هؤلاء خاصة ، وقد لقينا غيرهن ، ولم تفعل هذا بهن ، فقال له : نعم أولئك اللاتي لقينا هن كان صياحن يجد وحرقة وعلى غير تصنع ، وكان صياح هؤلاء بتشاج وتصنع ، فعلت أن معهن رجلاً ، لأن من شأن النساء التصنع للرجال ، فكان ما ظننت .

(١) قال المصري في « جمع الجواهر في الملح والنوادر » : وكان أحمد س طولون قد نأبد الموفق وباينه بالعداوة وخلصه ، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس ، وكان متيقظاً فها ، فأشرف من قصره يوماً فإذا بجنازة قد مرت عليه ، فقال : علي بالنش ومن فيه ، فأحضروه ، فقال : قم يا متاهوت ، ثم دعا بالسياف وقال : اضربه ، فقام الميت من نعشه ، فقال له : انت متجسس من ناحية أحمد . قال : نعم . قال : لو لم أقدم اليك لقتلتك وقتلت من ملك ، وأمر من أخرجهم من عمل مصر ، قيل له : من ابن عدت ذلك ؟ فقال : رأيت القوم ليس عليهم كتابة من مات له ميت ، ورأيتهم يطوفون بالقصر ونظرت إليه في الشمس فرأيت رجله قائميين ورجل الميت مسترحي ، فحكمت بأنه حي ، فلما حضر رأيت يسارق النفس فصحت القضية .

الملاعب من
رجال ابن طولون

وحدث شعيب بن صالح قال : كان لأحمد بن طولون رجل يشق
به على كثير من أسرارهِ ^(١) ، يطالعه بها وما غاب عنه منها ، فعرفه جماعة
من الناس بذلك ، فكانوا يهادونه استكفافاً لشربه ، وبسط يده
للارتفاق ^(٢) إلى أن كسب مالا عظيماً ، وانكشف أمره لأحمد بن
طولون ، وعلم أن قصده الارتفاق في النصيحة . فلما وقف الرجل على
علم أحمد بن طولون به هرب منه خوفاً على نفسه ، فشق ذلك على أحمد
ابن طولون جداً ، لاشتغاله على ما عنده من أسرارهِ ، فرأى أحمد بن
طولون في منامه كأنه حفر قبراً ، واستخرج منه ثعباناً عظيماً ، فقبض
عليه بعنقه ، وأخرجه من القبر ، وجعله في جرة عظيمة ، وسد رأسها ،
ثم أصبح فركب على رسمه مغلياً إلى العين التي بناها بالمعافر ، فرأى
جنازة امرأة وخلفها نحو من عشرة أنفس ، وقد أخرجت في ذلك الوقت ،
فاستراب بها ، فقال ابن يحملها : أين حفرتم لهذه المرأة ؟ فاضطرب
الجماعة ، وحطها وكشف الغطاء ، فوجد الرجل الهارب منه ، وقد رام
الخروج عن البلد ، فأعجزه ذلك وضاق به الحيل ، فصنع هذا حتى
يصل إلى الصحراء ، فيذهب متنكراً في زي العباد ، ويأخذ طريق
الجل ، الصحراء الصحراء ، إلى أن يتخلص ، فأمر به إلى المطبق ،
واستصفي جميع ماله ، وصحت رؤياه التي رآها وزال غمه بها .

(١) في الأصل : أصحابه بدل أسرارهِ ولا معنى لها .

(٢) الانتفاع والكسب ، وفي رواية : دون تجريد النصيحة

كشف ابن
طولون للقتيلة

وحدث شعيب بن صالح قال : كنت مع أحمد بن طولون يوماً في الصحراء فرأى حملاً وهو يحمل شيئاً قد أثقله ، وهو تحته يضطرب اضطراباً شديداً ، فقال : لو كان اضطراب هذا الحمل من ثقل الحمله ، مع ما أرى فيه ، لغاص رأسه في عنقه ، وما هذا منه إلا من رعب مما يحمله ، فأوقفه وأمر بحط الحمله عنه ، فحطت وفتشت ، فإذا معه جارية قد قتلت وفُصِّلَتْ ، فاستخبر الحمال عن القصة ، فقال له : أربعة نفر في دار ، دفعوا إليّ هذه الحمله ، وأعطوني ديناراً فشرهت نفسي ، لسوء حالي ، إلى الدينار ، فتحملت من حملها مالا أطيعه . فقال له : فحضرت قتلها ؟ قال : لا والله . قال له : أرني الموضع ، وعاد مع الحمال إلى أن أراه الموضع الذي حمل منه ، ووجد القوم بالمهم لم يهربوا بعد ، فقبض عليهم وأمر بضرب أعناقهم ، وضرب الحمال مائة مكرعة وأطلقه ، وقال له : لو كنت حضرت قتلها لقتلتك .

اعتداه لمن يهر
منه

وحدث حماد بن علي الأزدي - وكان أحمد بن طولون قد جعل إليه منع من هرب منه والتفتيش عنه - قال : تغير أحمد بن طولون على نعيم المعروف بأبي الذيب فهرب منه فأمر بطلبه وقال لي : لا تطلبه في داره بالنسقاط ، ولا في ضيعته سراماط ^(١) ، ولا عند أحد من إخوانه ، فإنه أضعف قلباً وديناراً من أن يقيم في هذه الأماكن ،

(١) كنا في الأصل خير قط ولا نعرف هذه الضيعة وهي محرفة بالرسم .

ولكن اطلبه في الديارات وعند النصارى ، فإنك تجده في زي راهب ،
وقد دخل في جملتهم ، لأنه حاذق بالتبضية فصيح بها . قال حماد :
وطلبتة هناك فوجدته كما وصف فقبضت عليه ، وجنته به على هيئته ،
فلما رآه قال له : إيش هذا الزي ؟ أرتداد عن الإسلام ؟ السيف
والنطع . فقال : لا والله ، أيها الأمير ، ما ارتددت عن الإسلام وإنما
تسرت بهذا الزي لأخفى ، ولكن أين يتيأ لي استتار منك ولغيري ؟
وأنت كما قال النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأذى عنك واسع
فأوقفه هذا أقول من أن يجري عليه من المكروه ما كان معتقداً
له فيه ، لما كان فيه من الكرم والحياء لمن صدقه ، واستكان بين يديه ،
وأخذ خطه بمائة ألف دينار وسلم الخط إلى محبوب بن رجاء كاتبه ،
وكان [في] محبوب شره ومحبة لأخذ المرافق ، فوعده بخمسة آلاف دينار
وكتب له خطه بها ، فسأله أن ينجم^(١) عليه المال ليؤديه قليلاً قليلاً ،
على حسب ما يتيأ له وتوسع به حيلته ، فكان كلما أحضر ما يؤديه
لم يأخذ به براءة ، واستدعى خطه فحط منه وكتب بياقيه ، وكلما كتب
خطه بالباقي ، صغر الخط ولطفه ، إلى أن حصل له من الأداء ثلاثون
ألف دينار وكتب الخط بسبعين في رقعة صغيرة ، وأقام أياماً ، وهو
يذكر اضطرابه واحتياله بما يؤديه ، ثم ذكر أنه أحضر ما يؤديه ،

(١) نجم المال : إذا اداه نجوماً أي اداه عند اقتضا . كل شهر منها نجماً .

واستدعى من محبوب خطه ليحط منه على الرسم ، فدفعه إليه محبوب على الاسترسال والثقة والعادة التي قد جرت ، ولا رتفاقه منه بخمسة آلاف دينار ، فلما حصل الخط في يده أكله وقال ما بقي عليّ من مصادرتي درهم واحد إلا الخمسة آلاف المرفق التي خطي معك بها ، فقامت على محبوب القيامة . وُرفِع الخبر الى أحمد بن طولون فأمر بإحضارهما ، فلما حضرا قال نعيم : قد أدبت ، أيد الله الأمير ، جميع المال الذي أخذ به خطي إلا خمسة آلاف دينار . فذكر له محبوب حيلته وأكله للخط ، فقال أحمد بن طولون لنعيم : احلف برأسي أنك قد أدبت المال ، ولم يبق عليك منه إلا ما ذكرت ، وأن الذي ادعاه محبوب باطل ، ونحن نصدقك ونزيل المطالبة عنك ، فقال : قد أدبت جميع ما أخذ به خطي وسلمت إليّ خطي وحرقته ، وإنما لما طولبت بخمسة آلاف دينار مرفقاً خطي بها مع محبوب ، ولم ينتهياً لي أداؤها ، ادعى عليّ بما ادعاه ، فقال له أحمد بن طولون : يمكن أن يكون الأمر كما ذكرت ، ولكن احلف برأسي على ما حكيت ، وقد برئت من المال ، فقال : يعفني الأمير ، أيد الله ، من هذه اليمين ، فأني لست أحلف بها بوجه ولا بسبب . فقال له : لست أعفيك منها إلا بالصدق فقال : إذا لم يعفني الأمير ، أيد الله ، فأنا أجعل رأسه أن أحلف به إلا صادقاً ، والأمر كما حكاه محبوب ، وما فعلت ما فعلت وحملت نفسي عليه ، إلا من إضافة شديدة غليظة ، وأنه لم يبق لي شيء أرجع

إليه فيما أدبته ، وقد كشفت حالي للأمر أيدى الله فيرى في عبده ما يشبه كرمه ورياسته ، فثناه هذا الفعل عنه ، ورق قلبه له ، لأنه كان إذا صدق لان وانعطف وأنعم ، وبلغ منه فوق المحبوب . فأمر بإطلاقه ، وحط ما كان بقي عليه ، ورد ما أخذ منه ، ورد إليه عملاً يتصرف فيه .

وحدث شعيب بن صالح قال : ركب أحمد بن طولون يوماً فسلك
الجماسوس
الصادق الشريف
شارع الحمراء يريد الجيزة ، فلما توسطه وقف ودعا بطخشي ، فأراه داراً هناك ، وقال له : وقف على هذه الدار توكل بها ، واحذر أن يفوتك أحد من فيها ، حتى تتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فإنك تجد شيخاً صفته كذا وكذا ، رأيت الساعة يتطلع من طاق في عُقر^(١) هذه الدار ، فلما رأي أن أغلق الطاق ، فخذته وامض به إلى الدار إلى أن أعود إن شاء الله .

قال طخشي : وسار الأمر ووقفت على الدار ، وأطفت بها الخيل والرجال ، وأنزل إلى جميع من فيها وأتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فوجدت الشيخ على الصفة التي وصفها لي ، فقبضت عليه ، وصرت به إلى الميدان ، ورجع الأمر فحين نزل دعا بالشيخ ، فلما مثل بين يديه قال له : من أين الرجل ؟ قال : من بغداد . قال : وما جاء بك إلى

(١) في الأصل : في عسكر هذه الدار

هاهنا؟ قال : صاحب خبر عليك . قال له : عليّ؟ قال : نعم ، عليك .
 قال : ومن أنفذك متخبراً^(١) عليّ؟ قال : الأمير أبو أحمد الموفق .
 قال : وبين تعرف يا شيخ؟ قال : بالقطان الطالقاني . قال : فضحك
 أحمد بن طولون ، لما أعجبه من صدقه ، وقلة جزعه ، وانحل غيظه . وقال
 له : إجلس فجلس ، فقال له : أبو من؟ قال : أبو جعفر . فقال له :
 قد سمعت بك يا أبا جعفر ، وكتب إليّ بخبرك ، وقد سررتني بصدقك
 إياي ، وحرست نفسك بذلك مني ، فمذ كم وردت البلد ؟ قال :
 منذ سنة . قال له : ويحك ، ولك هذه المدة منذ دخلت البلد ، وأمرك
 مستتر عني ؟ قال : نعم ، قال : فكيف نقف على أخباري ، وهذه
 حالك في الاستتار ؟ فقال : معي عشرة يدورون في البلد ، ويرفعون
 إليّ أخبارك ، وأكتب بها . فقال له : وكيف قدرت على الدخول
 إلى البلد مع ضبطي طرقة ؟ فقال : ركبت البحر من أنطاكية إلى
 تَنيس^(٢) ومنها إلى مصر . فقال : صدقت ، أما هذا فما ضبطناه ، ولكن
 من الآن .

ثم قال له : يا أبا جعفر إنك هو ذا تحسن وتجمل إليّ وإلى نفسك
 في صدقك إياي ، وقد آمنك الله عز وجل ، وأزال خوفك ، فاصدقني

(١) خرج يتخبر الأخبار : يتتبعها

(٢) تَنيس : مدينة كانت قرب دماط تنسب إليها الثياب الفاخرة وهي بجوار المنزلة ولم يبق
 منها اليوم إلا أطلال . بنى فيها ابن طولون عدة صهاريج وحوائط في السوق كثيرة وكانت
 تعرف بصهاريج الأمير ، وصفها المقدسي بأنها جزيرة صغيرة في بحيرة بين بحر الروم والنيل قد بنيت
 عليها مدينة وادي مدينة وهي بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب الخ .

أيضاً عما أسألك عنه ولا تناقني متقرباً إليّ . هل ترى في سيرتي شيئاً تنكره ، أو في تدبيري سياسي ما تدم ؟ مع تأملك لذلك منذ سنة . قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، وبالله إني لا أكتب بذلك ، وبما هو لك لا عليك ، وإني لأعلم أنه يسوء من أكتبه به ، ولكن الصديق يبعثني عليه ، رضي به من رضي ، أو سخط من سخط ، لأني ما أقول فيما أكتب به إلا حقاً ، لأن أفعالك كلها حسنة جميلة ، مضبوطة محفوظة مستقيمة ، فإن الذي أكتب به من ذلك لما يزيد به حالك في قلوبهم خوفاً ، وهيبتك في نفوسهم عظماً وجزعاً وذعراً . فقال له : حسبي يا أبا جعفر ، أحسن الله إليك .

ولكن يا أبا جعفر كتب إليّ عنك بستر ودين وصدق لهجة وغنى عما حملت نفسك عليه ، فلم رضيت لنفسك بخدمتهم في هذه الحال العظيمة التي يركب صاحبها فيها خطرة لا يدري ما عقباها ؟ وهذا أيضاً مع بعد الطريق ، وتكلف المشقة العظيمة فيها وعظم المخاطرة . فقال : أيها الأمير : أجبرت وخوفت ، فسعت وأطعت ، ولم يمكنني الخلاف ، لأن لي في بلدكم عقاراً وعيالاً وأهلاً وتجاراً ، ولولا ذلك لا اخترت ، لما نذبت له ، الهرب من بلدكم ، ولما استجبت . إلا أنني اشتريت عليهم أني إن وقعت في يدك ، وسألتني عن شيء صدقتك فيه ، وقد رت أني أدفع بذلك عني ما دُعيت له ، فلم يثنهم ذلك ، وأذنوا

لي فيما شرطته عليهم من صدقك عما تسألني عنه من قليل وكثير ،
فحمدت الله عز وجل على ما ابتلاني به من ذلك ، وصبرت عليه ،
وعملت على أنها مصيبة من المصائب التي تلحق الناس لا يمكنهم دفعها
عنهم ، وعملت على أنك ، أيها الأمير ، إذا وجدني لم تستبقني ، فما
خرجت حتى أوصيت كما يوصي من تحضره الوفاة ، إذ كنت لم أجد
بدأ من ذلك ، وقد أخلف الله جل اسمه ظني ، وأزال خوفي ، بكرم
طباع الأمير ، أيده الله ، ورأفته ، فلولا ذكاء الأمير ، أيده الله ، وحدة
خاطره ، وقوة حسه ، وصحة ذكائه ، بما وهبه الله الكريم له من ذلك ، لما فطن
لي ، وقد رأيي أطلع من طاق ، وما أنكر عند ردي باب الطاق حين
رأيت ، فكان ما ظنّه ووقع له في حقاً . فقال له الأمير : والله يا أبا جعفر
كذلك ، ما أنكرت غير ردك باب الطاق حين رأيته ، وإن فطنتك
بذلك يا أبا جعفر لحسنة ، ولولا ما فيك من الفضل والذكاء والعقل لما
علمت بذلك . فهل لك إلى ما أدعوك إليه ؟ فقال : يا أمر الأمير ،
أيده الله ، بما أمثله ، إن شاء الله . فقال له : أدعوك إلى خدمتي كما
خدمتهم مع مجازبة الخلاف عليّ . فقال له : قبيح أيها الأمير أن أدع
قوماً سبقوك إليّ ، وخطوني بأنفسهم ، ووثقوا بي ، فلا يجوز أن أكون
عليهم بعد أن كنت لهم ومعهم ، وإذا لم أصلح لصاحبي الأول لم
أصلح لثاني .

فاجتهد به أحمد بن طولون فلم تجد فيه في ذلك حيلة ، مع ما فيه

من البذل والعطاء . وقال له : لأن يقتلني الوفاء أيها الأمير أحب إليّ من أن يُحييني الغدر . فزاد بذلك في محله عنده . فقال له : إذا كنت يا أبا جعفر قد أيت فاختر ، إن أحببت المقام عندي من غير خدمة نكرها ولا تختار التصرف فيها ، فبالرحب والسعة ، وإن أحببت الرجوع إلى صاحبك أطلقتك . فقال له : إذا كان الأمير أيده الله ، قد خيرني بكرمه فالرجوع إلى الأهل والوطن أثر عندي مما أوثره من التصرف بين أمره ونهيه ، وإن كانت المروءة هي أوجبت عليّ حسن الوفاء لمن وثق بي ، فلن أكون بعد منصرفي عن الأمير ، أيده الله ، إلا متصرفاً بين أمره ونهيه هناك ، مجازاةً لجميله ، أيده الله ، الذي شملني ، وإحسانه الذي قد عمي ، فقال له : أحسن الله جزاءك يا أبا جعفر ، وكثر في الناس مثلك .

وأمر سواراً الخادم ، فأخذه إليه على حال تكرمته ، فأقام في داره ثلاثة أيام ، تُقام له في كل يوم مائدة حسنة ، ولا يزال أحمد ابن طولون يتبعه^(١) له وهو يأكل من كل ما يستطيعه ، مما يقدم إليه من طعام وحلواء وفاكهة . ويستدعيه ليلاً ، فلا يزال يجادته ويسأله عن أخبار الموفق ، وما يحتاج إلى علمه ، ويؤانسّه إلى أن يمضي الليل إلا أقله . فلما كان في اليوم الرابع أحضره فقال له : يا أبا جعفر ، الضيافة ثلاثة ، ولا أشك في تعلق قلبك بمخلفيك ، ويعزّ عليّ والله

(١) بعض الشيء : جزاءه ، وتبعه : تهرأ أي يأوله بعض ما على المائدة من طعام تقياً

مفارقتك ، إلا أنني لا أحب أذيتك ، وأختار مساعدتك ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وعشرة أسفاط ثياباً ، وخمسة أرواح من الدواب ، وثلاثة غلمان وطيب كثير . فكان مقدار ذلك عشرة آلاف دينار آخر . فلم يقبل شيئاً من ذلك إلا سفظاً واحداً من الثياب ، وبغلاً واحداً ، وديناراً واحداً من المال . وقال : أيد الله الأمير ، أنا والله من وراء نعمة عظيمة واسعة ، ولي مع ما كنت وصفته للأمير ، أيد الله ، ضيعة ترد عليّ في كل سنة عشرين ألف درهم ، وفي أخذي من الأمير ، أيد الله ، ما أمر لي به ، تغنم لا أستحسن فعله ، ويقبح بي وصفه . وقد أخذت مما أمر به الأمير ، أيد الله ، ما أتشرف بلبسي له ، وأتجمل بر كوبي بغلاً من بغاله ، وأنفق يوم أدخل بلدي هذا الدينار ، والله لا أنفقت يومي غيره تشرافاً به . فإن رأى الأمير ، أيد الله ، أن يتم سرور عبده ، ويدعه وما اختاره ، ولا ينقض علي حمله ، فعل وأحسن بها إليّ . فازداد بذلك أيضاً في قلب الأمير أحمد ابن طولون جلالة ورفعة ، ووصاه بما احتاج إليه وودعه ، وأنفذ معه من يشيعه ، وكتب له جوازاً وكتباً إلى سائر أعماله ، يأمر أصحابه بها بتلقيه وتشيعه وخدمته ، وخرج ، وأحمد بن طولون يتأسف ألا يكون مثله في خدمته ، وقد ملأ قلبه وصدره بحسن وفائه لصاحبه .

فلما وصل القطان إلى الحضرة لم يدع جيلاً ولا حالاً تصلح ما بين الموقف وأحمد بن طولون إلا بلغها ، من حسن طاعته ، وحسن سيرته ،

وضبط أمره ، وحزمه ، وجودة تديره ، وقوة أمره ، فثنى ذلك الموفق إلى الرجوع له . ووقف طيفور خليفة أحمد بن طولون هناك على ذلك وعلى انثناء الموفق له ، فكتب إلى أحمد بن طولون بذلك ويقول : أحسن الله جزاء القطان ، وكثر في الناس مثله ، فلقد قويت يدي به منذ ورد إلى الحضرة ، وباجرى منه مع الموفق ويقول في كتابه : ومن العجب أن يحضر مثل هذا الرجل بحضرة الأمير فيغفل إلزامه قبول برّه بكل حال . ولم يعلم طيفور بما عمله أحمد بن طولون معه ، فلم تجد فيه حيلة . ويذكر عظم محله عند الموفق ، ونبل منزلته منه ، فكان أحمد بن طولون يقول : ما أسفت على شيء كتأسفي ألا أكون أئمت القطان قبول خمسين ألف دينار ومثلها أعراضاً ويقول : رزقني الله صاحباً مثله .

ولم يزل أحمد بن طولون يكتابه في مهماته وحوادثه وما يحتاج إليه من مخاطبة الموفق ، فيبلغ له في جميعه ما يحبه إلى أن مات أحمد بن طولون . فلما مات بلغ القطان موته فحزن عليه واغتم غماً عظيماً ، وبلغ الموفق ذلك عنه فلم ينكره عليه ، وكان يحضره في كل وقت ويسأله إعادة أخباره عليه ، فيذكر كل ما كان يشاهده منه ومن سيرته ، وحسن سياسته في داره وحاشيته ، وحسن مملكته ، وعظيم هيئته ، وكثرة صدقاته ومعروفه ، ونفقده المستورين وأولاد النعم ، وإجرائه عليهم الرزق ، وما يعمل من الأطعمة في كل يوم جمعة ، وحضور الضعفاء وغير الضعفاء من المستورين ، وإشرافه على ذلك بنفسه حتى يأكلوا ، ويومرون

أن لا يخرج أحد أو يزُلَّ^(١) معه ما يقدر على حمله ، ينصرف به إلى عياله ، وما كان يجد في ذلك من اللذة والسرور والفرح ، وأنه جعل ذلك عوضاً من القصف والشراب وسماع الفناء وما يستعمله مثله من ذلك . وكما سمعه الموفق يذكر من هذا شيئاً يبكي ويترحم عليه ، وبسكيان جميعاً ، فلم يكن للموفق أحد يعاضده على النعم بأحمد بن طولون إلا القطان ، ويستتر ذلك الموفق عن الناس كلهم إلا القطان ، فكان هذا الفعل من الموفق للفضل الذي كان في الموفق ، فعرف به فضل أحمد بن طولون ، فإنه ليس لهم في مملكتهم أنصح منه ولا أوثق ، ولا أضبط ولا آمن ، وإنما كان ذلك الفعل من الموفق من الانحراف عنه ، غيرة عليه ألا يكون ما يفعله للمعتمد له .

ولما تواترت الأخبار بموت أحمد بن طولون وصح ذلك عند سائر الناس ، لأن الذي كان قبل كان بين مصدق ومكذب ، كان من الموفق حينئذ ما نأتي به مشروحاً مبيناً إن شاء الله .

ومن إنصافه وحسن تأتبه ، وبطلان كثير مما يُشنع به عليه ، وإقامته له العذر فيما يأتيه ، أن وكيلاً له يعرف بابن مفضل ، صحبه ولا شيء له ، ففوض أمره كله إليه ، فاستولى عليه ، وكان من بين الوكلاء حازماً ذكي القلب شهماً بازلاً كافياً يحسن الخدمة ، ولم يكن يقعد به إلا بخل كان فيه ، ولجأ في الشيء إذا خوطب فيه يملكه

خيانة وكيل ابن طولون ومصريه

فلا ينحل عنه ، حتى إنه كان يتبع ما تضره اللجاجة ، فكان هذا عيبه ، فوصل إليه من الارتفاق ما لم يصل إلى أحد من حاشية أحمد ابن طولون ولا أهدي إليه ، وكبرت أحوال أحمد بن طولون ، فكبرت مرافق ابن مفضل واتسعت أحواله .

وكانت نفقات مطابخ أحمد بن طولون وراتبه من ضياع إقطاعه ، فتقدم إلى ابن مفضل في وقت اختاره ألا يضع يده على شيء من مال هذه الضياع ، وذكر له أنه يريد مالها لطرسوس . فلما انتضى الشهر وافى نفيس الطباخ إلى ابن مفضل يستدعي منه إطلاق النفقات على الرسم للمطابخ فقال له : قد حظر الأمير عليّ الجهة التي كنت أطلق لك مالها . فقال له نفيس : فتحتال لي بما تنفقه اليوم ، وتستأذن الأمير الليلة فيما يُستأنف . فقال له : ما عندي حيلة فقال له : إن النهار يمضي . وقال : حدثنا في شيء مما نحتاج إليه ، مما لا بدّ للأمير منه ، فقال له : كذا اختار إيش في يدي ؟ قال : فأعطى ؟ قال : ذلك إليك . قال : فأذكر هذا للأمير ؟ قال : ذاك إليك افعل .

فدخل نفيس إلى أحمد بن طولون فعرفه الخبر ، فأحضر ابن مفضل فقال له : ويحك ، ما كانت لك حيلة في إقامة نفقات المطابخ يوماً واحداً ، إلى أن نُطلق لك ، من جهة نختارها ، ما تحتاج إليه ؟ فقال له : لو تهيا لي ذلك لما توقفتُ عنه ، وإنه لمتعذر عليّ ، ثم قال له : احلف بالله ثم برأسي أنك ما تملك ذلك ، فحلف ، فدعا سواراً الخادم ،

وكان خادماً جريئاً ، صفيق الوجه ، قاسي القلب فقال له : امض الساعة وأقبض على كل ماله ، واحمل إلي الساعة ما تجده من العين ، واختم على ما سواه . فضى سوار وقبض على كل ما وجد له في داره . فوجد له من العين ثمانين ألف دينار^(١) فحملها إليه ، وختم على ما بقي ، وعاد إليه فعرفه بجميعه ، فأمره ببيعه كله ، فبيع بعشرين ألف دينار سوى ما استهلك وتمزق وتفرق ، وسلم ابن مفضل إلى سوار فكان آخر العهد به .

استخدامه
الصادقين

وحدث شعيب بن صالح قال : شئت نفس أحمد بن طولون استخدام الكتاب ، لما وقف على حال ابن مفضل ، وقبح فعله ، وجرائته على اليمين الكاذبة ، وكان ذلك يشتد عليه جداً ، واحتاج إلى من ينوب منابه ، فسمح له ذكر كاتب كان يكتب لحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، كان لما قدم معه إلى مصر شاهده خفف على قلبه وافترس فيه خيراً فتبعتته نفسه . وكان هذا الخادم حسن العقل ، راجح الوزن ، يتقلد البريد بمصر ، وكان أحمد بن طولون يعرفه من الحضرة ، ويعلم منه حسن اختيار فيما هو بسبيله ، فتيقن أنه لم يختار من كتابه إلا مختاراً ، وهو رجل يعرف بحسن بن مهاجر فقال إليه وسأل عنه هو ، فأحضره وساء له عن بلده وسبب تعلقه

(١) في رواية ثمانية وسبعون ألف دينار

بحسين الخادم فقال : ولدت بالرقة ، وكان والدي يتوكل لحسين هذا في ضياع هناك ، فاجتاز به في مسيره إلى مصر ، فطالع ماجرى على يديه فأحمد أمره فيه ، وتأملني وأناين يديه أكتب مال إلي ، فقال لو الذي : خرجت من الحضرة ولم استصحب منها كاتباً ، لا أعلمه منهم من المرأة ولطف الحيلة ، وأنهم للعامل الخائن أوفق منهم للناصح ، وأحب أن تصحبني ولدك هذا وتوثرني به فأني أقنع به وأرجو إن يحسن تأديبي له أن يبلغ ما نُقّده عنه الحداثة ، ويتخرج معي فأبرئه وأكرمه عن غيره ^(١) ، فشق ذلك على والدي لفارقتي له ، ولم ينتهياً له مخالفته . فسلمني إليه وألزم نفسه تأديبي وتقويي ، كما يتولاه الوالد من ولده . حتى إذا هو تبين اضطلاعي بما يسنده إلي سلم إلي ديوان البريد ، وقال لي : يا بني احفظ ما أوصيك به ، إحذر أن أراك في دار غير داري ، ولا تسكن إلى أحد سكونك إلي ، فإن تفويضني إليك بوجب لي ذلك عليك ، وليكن إشارتك لحسن الذكر أكثر منه لكسب المال ، وطلبتك للصواب أكثر منه لحسن الذكر ، وإن شق عليك تحمله ، فإنه أحمد عاقبة فيما تأنيه من غيره ، مما لا مشقة عليك فيه ، ولا تنزعن إلى إنفاق ما تكتسبه ، بابتياح الأعراض النفسية والملابس الرائعة ، فإنك لا تزيد بذلك إلا في عين ناقص الفهم والحال ، لأن من قوي تمييزه إنما يطالع ما صدر عنك من فضل ،

(١) ورد في الاصل : فاسر به واكرمه من غيره .

واستعرضه فيك من طبع ، فأذا غاب عليك إيثاري شي يحسن به ظاهره
فطالع يمتنه في حاصله ، واعلم أنه في يدك متى شئت من غير أن
تغري بك كل حاسد أو باغ . ولاتذكرن لأحد من حديثي ما يسهل
عليك إذاعته ، فيجتري بذلك على إذاعة ما يقف عليه من سري ،
وأطو ما تستعرضه مني طي الصحيفة ، واحذر أن يسبقك أحد إلى
مطالعتي بما أتو كفه^(١) . وقد أمرت لك بكذا وكذا ديناراً ، لتأمل
بها زيادة عطيتي على عطية خيانتني ، واشتمل على أمري ، وقابل
ما ابتدأتك به بما يقصي عنك سوء النفي لديك ، وفقك الله وسددك .

فقال له أحمد بن طولون : فمن خدمت بعده ؟ فقال : ما استرحت
إلى سواه ، ومعولي فيما يقيمني على جزء مما أفادنيه غنيت به عن سواه ،
فأنا أستغله مع قوم أثق بهم وبموداتهم وحسن معاملاتهم ، فأصرف
الفضل فيما ينووني ، وأردُّ الأصل إلى موضعه . فقال له : وكم صرف
إليك حسين الخادم ، فقال : أربعة آلاف دينار ، وهي كانت أكثر
ما كان في حاصله في ذلك الوقت . فقال له : فما أحب من كاتبني إلا
ما وصالك به صاحبك لا زيادة عليه ، وقد أمرت لك بمائة ألف دينار ،
فإذا جريت على ما وصالك به صاحبك ، فهذا المال قليل من كثير لك
عندي ، وخلع عليه وحمله ، وألزمه خدمته ، فلم ينكر منه أحمد بن
طولون إلا تحامله على الناس له ليحظى بذلك عنده .

(١) نوكت الخبر انتظره وسأل عنه وترقبه

فقال له يوماً : قد صحت عندي نصيحتك ، وأنت غير محتاج
 أن نتحامل على أحد لتزيد عندي ، وأنت تجني على نفسك بذلك من
 الأثام واستيحاش الناس مني ، أكثر مما تحوزه لي من الحظ ، واعلم
 أنك تزرع في قلوب الناس بمآثيته حقداً لا تفنيه الأيام ، بل
 تتوارثه الأعداء ، فاطلب الشكر من الناس ؛ فليس بكرهه إلا ناقص
 المعرفة ، جاهل بما يوجبه حسن السياسة ، غير عالم بما في باطن النصيحة ،
 فيز الناس تمييز عادل : نلق شرارهم بفظلتك ، وخيارهم برأفتك .
 قال : فسألت نسيماً الخادم عن المائة ألف دينار التي دفعها إليه أحمد
 ابن طولون فقال : هي المائة ألف من المائة ألف التي أخذها من ابن
 مفضل ، تركها معزولة بجانبها ناحية ، حتى يرى فيها رأيه ، فلما
 استكتب ابن مهاجر أمرني بدفعها إليه .

صفات بعض
 عمال ابن طولون

قال صالح بن علي : جرى في مجلس لابن عبد كان ذكر محبوب بن
 رجاء وحسن بن مهاجر ، فطعن عليهما أكثر الحاضرين ، فقال ابن
 عبد كان : الصدق أجمل ما يؤثر ، في كل واحد منهما فضل بين ، وإنهما
 لعل أفضل طريقة : أما محبوب فسرّيع الجواب ، حسن الانتزاع ^(١) ،
 حلوا المكاتب ، وأما ابن مهاجر ففوقور [النفس] ، مستصغر لنصيحة من
 ينصحه ، بعيد الغور ، لا يؤثر على توفير مال صاحبه ، وعلى ما زين

(١) في رواية : حسن الاستماع .

حاله عنده شيئاً من أعراض الدنيا ، ولقد اجتمعا وقت المناظرة ، وكل واحد منهما مغيظ على صاحبه ، فقال حسن لمحبوب : أمرني الأمير أن أجلس في حلقك حتى تفصل ما أثبتته من الحساب الذي رفعته . فقال له محبوب من وقته : لو جلست في حلقني قذفتك في المخرج . فأضحك جميع من حضر ، وانقطع ابن مهاجر ساعة ، ثم تناظرا ، فقال محبوب لحسن : أنت شاب حدث غر ، والصواب لك أن تستشعر خوف الأمير . فقال له حسن : والله ما أخافه . فقام بهما محبوب وقعد ، ورفعها أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون ، فدعا بهما وقال : ما هذا الكلام الذي جرى بينكما ؟ فقال له محبوب : ذكر حسن أنه لا يخاف الأمير ، فقال له أحمد : هو ذا تسمع يا حسن ، فقال : كذا قلتُ أيها الأمير ، لأنني قد استغرقت جهدي في نصيحتك ، وقد أمنت جورك ، وليس مع هذين ما يخيفني منك . فقال له : صدقت ، الأمر كما وصفت ، بارك الله عليك وفيك . وذهب حسن بن مهاجر إلى قول الأحوص في عمر بن عبد العزيز :

وأرى المدينة منذ صرّت أميرها أمّن البري بها ونام الأعرل
ولقد أحسن ابن مهاجر في ذلك .

وشبهه بهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه اجتاز ببعض سكك المدينة ، فرأى صبياناً يلعبون ، فيهم عبد الله بن الزبير ، فهربوا جميعاً غير ابن الزبير ، فقال له عمر : مالك أنت لم تهرب كما

هرب أصحابك ؟ فقال : لم آت جرمًا فأخافك ، وما بالطريق من ضيق
فأوسع لك . فأعجب عمر قوله ، ومضى وهو يقول : لله درك وبارك
الله عليك .

قال : وذُكر أيضاً محبوب بن رجاء في مجلس ابن عبد كان فقال
قائل : إنما كان مقبلاً بإقبال صاحبه ، فلما مات أدير . فقال ابن عبد كان :
دعونا من هذا القول ، لقد كان بين الفضل . لقد أمرني أحمد بن طولون
يوماً بإنشاء كتاب يقرأ على المنبر فأنشأته ودفعته إلى محبوب ليقرأه ،
وكان فصيحاً ، فدفعه محبوب إلى غلامه صاحب دوانه ، ليحمله إلى
الجامع ، وتركه الغلام في منديل العمل ^(١) . وركب الأمير إلى
الجامع وحمل الغلام ثلثاً نقياً ، وهو يقدر أنه الكتاب ، فلما صعد
محبوب المنبر ناوله الغلام الثلث النقي ، فلما نشره محبوب علم أن الغلام
غلط ونسي ، فاندفع ومضى به يقرأ ، وينشر الثلث ويطوي ليوم من
يراه أنه يقرأ منه ، مثل ما كان في الثلث ، وما شذَّ عنه منه شيء ،
بألفاظ عذبة حسنة المعنى في الذي قصده ، وأتى على ما كان في نفسه .
فلولا أنني الذي أنشأته ، لشككت فيه ، وما فطن به أحد غيري ،
بل تبين منه الأمير بعض الاضطراب لذلك ، وحدة خاطره ،
وقوة حسه .

(١) الأقرب « منديل النمر » والنمر بالتحريك الدهك وريح اللحم وما يلقى باليد من دسه .
ويقال لمنديل النمر المشوش ، ومنديل النمر هو ما نطلق عليه اليوم « فوطاة الأكل » أو « السفرة » .

فلما نزل عن المنبر أمر أن يؤخذ منه الغلام فأخذ ، وما خاطبه حتى صار إلى الدار ، فأحضره وقال له : ويحك إنك قد أثبتت بمثل ما كان في الكتاب ، ولولا ما فيك من الفضل لافتضحت ، فكيف جرى هذا ؟ فعرفه غلط الغلام فقال له : إن لم تؤدبه على هذا أدباً يمنع من تركه مراعاة أمرك ، حرى عليك بعده أعظم منه ، وأمر بإحضار الغلام فأحضر ، فضرب بين يديه مائة مفرقة . وقال لمحبوب : إن اخترت أن تستبدل به فافعل ، وإن علمت هذا الأدب قد أصلحه فدعه على رسمه . ثم قال ابن عبد كان : وإن كان الرجل يقبل بإقبال صاحبه كان ، فله فضل طبيعة وحسن صناعة .

وعدنا إلى أخباره الموجبة له العذر فيما يأتيه من العقوبة ، فمنها خبر ابن شعرة ، وكان ابن شعرة ^(١) هذا يضحك المتوكل على الله ، وكان يعني أيضاً ، وكان قد انضوى إلى ابن مدبر لصبابة خراجيات ^(٢) كانت له بمصر ، فكان لما يعلم من كره أحمد بن طولون لابن مدبر يذكره عنده ، فأحضره وسأله عن ذلك ، فكانه إنما أغراه بنفسه ، ولم ينته . فأقبل على حملته يتقرب إلى ابن مدبر يذكره كل ما سمعه ، يذكر ثقل وطأته عليه ، ويتبرم بمكانه معه في البلد ، فبلغه أيضاً ذلك فوجه إليه من نهاء فلم ينته ، وبلغه عنه ما ينفره مثل ذلك ، فأحضره وقال له : ويحك انتهم عما يبلغني ، واحذر مني ويلك ، فلن يبلغني عنك

النظام ابن طولون
من كان ينال منه

(١) في الصفحة التالية ان اسمه الحسن ، وفي المكافأة : الحسين س شعرة .

(٢) في المكافأة : قد انضوى اليه فحى به ضياعه وأملاكه .

بعد هذا شيء أنكره إلا أثبت على نفسك ، فعاد إلى ابن مدبر بعد أن حلف له أن جميع ما يبلغه تحيُّفٌ عليه ، فلما عاد إلى ابن مدبر دخل خزانة الكسوة ، ولبس منها مثل ما كان على أحمد بن طولون وخرج إلى ابن مدبر ، فجلس مثل جلوس أحمد بن طولون وحاكاه ، وأعاد ما خاطبه به ، وأقبل ابن مدبر يضحك منه ويعجبه ذلك . وبلغ ذلك أحمد بن طولون . وانفق في الوقت أن السعر بلغ ، واضطرب البلد لذلك . على أن السعر كان إذا تحرك في أيامه كان خمسة أراذب بدينار وأربعة ، وإلا فكان من العشرة إلى مادونها مما ذكرناه . فركب أحمد بن طولون ليهدي الناس ، ويعاقب قوماً من القهاجين والدقاقين ، وينظر فيما يصلح أمر الناس في البلد . فلما بلغ إلى مسجد عبد الله ازدحم النساء من السطوح ينظرن إليه ، وأشرفن من كل دار ، فاطلعت امرأة من دار ابن شعرة من أعلى سطحها من بين مِرْكَنِي^(١) ريحان ، وجاءت أخرى لتنظر معها ، فازدحمتا ، فرمت إحداهما أحد المِرْكَنَيْنِ الريحان ، فسقط للمقدور على كفل دابة أحمد بن طولون ولم يشعر به ، فوثب الفرس ونثره من سرجه ، ولولا ثبوته في ظهره لرماه الأرض .

فسأل عن الدار إن هي ، فقبل لحسن بن شعرة ، فأحضره في الوقت ، وشق عنه وضربه في موضعه خمسمائة^(٢) سوط وهدمت داره ، وطيف

(١) المركب كمنزلة آية كالأجانة تـ ل بها الثياب أو زرع فيها الربايع والجمع سراكن وسراكن .

(٢) في المكافأة : ثلاثمائة سوط وطاف به وكان ما أوقفه به من أجل تقدم روايته إليه ولم

يفاج الحسنيين شعرة بعدها .

به البلد على جبل ، فبلغ ما كان في نفسه منه ، مكافأة على قبيح أفعاله
به مرة بعد مرة ، وهو يحذره فلا يحذر .

وعاد وقد بلغ في أمر السعر ما أحب وأحب أهل البلد ، وكثر
الضحج له بالدعاء على ذلك ، وتصدق في ذلك اليوم بجملة عظيمة ،
شكراً لله على كفايته .

ومن ذلك أنه كان له بسر من رأى صديق من أولاد الموالي قد
برع في الكتابة والأدب ، وحسن الافتنان في العلوم ، وحلاوة
الشاهد . فلما استقلت أحواله بمصر وعظمت ، كتب إليه يستزيره ،
ويذكر له أن الحال التي قد هيأها الله جل ذكره لاتهنته إلا بمشاركته
فيها ، وأتى في ذلك ما يأتيه الكرام مع إخوانهم إذا رزقوا حالاً استبدوا
بها دونهم . فأجابه أن السفر يشق عليه ، والبلد بلد شاسع ، لا يكاد
يعهد السفر إليه ، ويذكر من شوقه إليه أضعاف ما ذكره في كتابه ،
وأن البسير الذي في يده يقنعه ويغنيه عما سواه ، ويشكر له فعله ،
فغم ذلك أحمد بن طولون وساء تأخره عنه ، لما كان بينه وبينه من
المودة والعشرة والأخوة ، فأراد الإفضال عليه والأنس به .

فلما سرفت الحال بينه وبين الموفق ورد كتابه عليه يذكر فيه
أن شوقه إليه قد تزايد ، وأنه لا يطيق الصبر عن زيارته ، وأنه قد
سهل عليه تحمل مشقة السفر ، لما قد استولى على قلبه من محبة النظر
إليه ، ويستأذنه في الرحيل إليه .

صديق لابن .
طولون بقلب
عليه ويريد قتله

فاستبشر أحمد بن طولون بذلك ، وأذن له فيه ، إلا أن نفسه ،
لقوة ذكائه ، نفرت بعض النفور . وكتب إلى خليفته طيفور يأمره
أن يستكشف له خبره ، ويشرح له صورة أمره بالحضرة ، وإلى من
ينقطع بها ، فكتب إليه أن حاله حسنت في دار السلطان ، ومنزلته
قد ظهرت ، وأن بينه وبين الموفق صلة قوية ، وله منه منزلة كبيرة .

ولم يمض إلا مديدة يسيرة ، حتى وافاه خبره ، أنه قد قرب من
البلد ، فأخرج إليه وجوه أصحابه وقواده ، وتلقوه بالعباسة ^(١) ، فلما
بلغ منية مال الله ^(٢) أقام له الجيش سباطين ^(٣) ، في أحسن زي إلى
الميدان ، ومن الميدان إلى داره ، وأوقف من باب قصره إلى مجلسه
الروم والترك والمستوقدات والعمد الحديد ، ودخل الرجل يشق
هوئلاً كلهم حتى وصل إليه ، فكاد عقله يطير مما رأى وشاهد ، مما
لم يظنه ولا قدّره .

فلما قرب منه قام إليه أحمد بن طولون فتلقاها ، وأجلسه معه ،
وأكب عليه يسأله عن أحواله ، وقد أعد له حجرة في قصره وفرش

(١) العباسية قرية بنيت باسم العباسية بنت أحمد بن طولون لما خرجت مع قطر الندي ابنة
مناوويه متبعة لها إلى آخر أعمال مصر من جهة الشام وتزلت هناك وضربت فسايلها على ما روى
أس خلكان في وفيات الأعيان (وانظر تعلية ص ١١ من هذا الكتاب) .

(٢) لم تعرف قرية بهذا الاسم في القديم ولا الحديث .

(٣) سباط القوم : منهم ، والسباط المائدة السلطانية أو ما يسط على الأرض لوضع الأطعمة
وجلس الآكلين .

له فيها ، وأعدَّ له جميع ما يحتاج إليه من كل شيء حسن جليل له خطر وحسن من قليل وكثير . فلما خليا ساعة وتحدثا دعا بالمائدة فأكلوا ، ولم يزا الا في حديث وموائسة إلى وقت العشاء الآخرة ، فقال له احمد ابن طولون : أنت قد تعبت وتحتاج إلى راحة فإن نشطت إلى أن تخلو لذلك في دارك فعلت . فقام الرجل إلى تلك الدار ، وأتبعه غلماناه وحجبه يسبقونه إليها ، فلم يمض من الليل إلا أيسره حتى أمر خاقان الطرسوسي بالقبض عليه ، والاحتياط على جميع ما معه ، حتى لا يفوته منه شيء .

وكان إذا جرى منه شيء في هذا الباب كشف لأصحابه عن وجه الخبر فيه ، ليزول عن قلوبهم التعلق بما يجري منه . فلما انقضى أمر الرجل ومضت له ثلاثة أيام ، أقبل على جماعة من وجوه أصحابه وقواده فقال : اسمعوا خبري مع هذا الرجل الذي استدعيته لأقضي حقه وحق الصحبة كانت بيني وبينه والمودة ، ولما أعلمه من حاله لبشر كني في نعمة الله عندنا ، فأبى وامتنع عليّ ، واستبعد الطريق إلينا ، فغمي ذلك .

ولما كان في هذا الوقت كتب يستدعي ويدكر شوقه إلينا ، ويسأل الإذن له في مصيره إلينا ، فأذنت له في ذلك ، وآثرت مشاهدته ، وكتبت إلى خليفتي بالحضرة ليستكشف لي حاله هناك ، فكتب يدكر أن حاله قد حسنت في دار السلطان ، ومنزلته قد عظمت

عنده ، وخاطته بالموفق قد ظهرت ، فما قدّرت إلا أن الموفق لما بلغه ما بيني وبينه من الإخاء والمودة دسه إليّ ليحسن التسديد بيني وبينه حتى يصلح ما تشعث بيننا .

فلما وافى واجتمعنا ، لم يدع للموفق مثبّة إلا نبشها ، ولا قبيحاً إلا ذكره ، ورأيت صورته قد انقلبت عما كنت أعده عليه ، فتلطفت بأن استحضرت غلامين له ، رأيتهما مشتغلين على أمره ، فوعدتتهما ورغبتهما ، فأحضراني سفظاً فيه ثمانون كتاباً من الموفق إلى وجوه قوادي وخواص غلاني ، يعدم فيها بأن من فتك بي منهم قلده البلدان الخطيرة ، وأسنى له العطية الجزيلة ، أفالام على ما فعلته في أمره ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، والحمد لله على ما وفق الأمير له في أمره ، والعذر للأمير أيده الله ، والذنب لمن جنى على الأمير ، ولم يحفظ المودة ويرع الإخاء ، وقد جازاه الله بما يستوجبه .

ولما مات يارجوخ في سنة ثمان وخمسين خاف ستة بنين وبناتاً ، كان يارجوخ قد تزوجها من موسى بن بغا . وبنو يارجوخ : عيسى وهو الأكبر ، وجعفر طريده ، والفتح طريده ، وثلاثة صغار : صالح ، ورجاء ، ونصر ، لم يبلغوا الحلم . وكان عيسى بن يارجوخ كثير الهبة ، شرس الأخلاق ، ولا كبير الهمة . فلما مات أبوه لم يلزم الركب إلى دار السلطان ، ولا اظب على الخدمة ، وقدّر أن الأمر يجيئه على ما يجبه ، وهو جالس

معاملته لأولاد
حميه

في داره . فلما ترك الخدمة ولزم منزله اقتصر على رزقه ولم يقلد عملاً ، ولا ارتفق بزيادة ولا جارية ، فأغاظه ذلك ، فحمل إخوته وأخته ، وخرج بهم على طريق مكة . ووافى إلى أحمد بن طولون من الحضرة فقبله بأحسن قبول ، ووفر عليه الرزق ، وأجرى على إخوته كلهم وأخته الأرزاق السنية ، وأقام لهم الوظائف ، وزوج جعفر بن يارجوخ من ابنته الكبرى فاطمة ، لأن عيسى كانت له امرأة . ولم يزالوا عنده في أجلّ حال ، حتى دعت عيسى شراصة أخلاقه إلى السكر ، وبلغه عنه مقالات قبيحة ، ذكر أنه صنعة أبيه ، فوجه إليه يعذله على ما يبلغه عنه .

فلما علم عيسى أنه قد علم بمقالاته فيه ، سأله أن يطلقه إلى طرسوس خوفاً منه ، وحياً من خطاه عليه ، ففعل ووصله بال جزيل ، وكتب له جوازاً ، وحفظ فيه فعل أبيه ، ولم يواخذه ، ومنعه أن يأخذ معه إخوته ، وأقرهم عنده على حالهم ، حتى دعت جعفرأ أيضاً حماقته التي كانت فيه ، ولأنه كان بينه وبين العباس منادمة اصاهرة بينهما إلى أن خرج معه إلى برقة ، فلما كان من أمره ما كان ، عاقب الناس جميعاً ، وقتل من قتل ، وأعفى جعفرأ من ذلك ، غير أنه أمره بالخروج عن البلد .

وحدث محمد بن عبد الله الخراساني الدهان قال : نزل عندنا بجارة الخراسانيين شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان ، حافظ للقرآن وسنة

مقتل خراساني
بيد من هتك
الخراساني عرضه

النبي صلى الله عليه وسلم ، من أهل بلخ ، فجل في قلوبنا ، وحل منا محلاً لطيفاً ، فأمنّا في مسجدنا في حارتنا ، وتوزّعنا ما يكفيه من أموالنا ، فكنا نجلس عنده في المسجد كل عشية ، ونأنس بحديثه ، وحسن فصاحته ، وكثرة فوائده . فإنّا لجلوس معه يوماً في عشية من العشايا ، حتى طلع علينا كهل من الحراسانية ، عليه لبّاد ، وفي يده خنجر مشهور ، فلما رآه إمامنا قام مبادراً هارباً ، فعدا صاحب اللباد خلفه ، فلاحقه ، فلم يزل يتوجّوه ^(١) بخنجره حتى قتله ، فقبضنا عليه وسقناه إلى الشرطة ، وهو مقتاد معنا غير متعاص ولا منكر .

فأوقفنا صاحب الشرطة على أمره ، ورفعنا بأجمعنا إلى أحمد بن طولون ، فلما حضرنا بين يديه ووقف على صورة القضية قال له : ما الذي حملك على ما أتيت ، فقال : أعز الله الأمير ، كان هذا الرجل جاري ببخارى ، وكان حسن المجاورة ، ظاهر الستر ، لا نعلم ما في باطنه ، فألفته وملت إلى عشرته ، فدخلت يوماً من الأيام إلى منزلي على غفلة من أهلي ، فوجدته مفترشاً زوجتي ، ففزعت إلى السيف ، وإلى أن أخذه فهرب مني ، فعدت إلى المرأة فقتلتها ، واشتهر أمري في الجوار ، فأحضرني أهل المرأة إلى السلطان فعرفته قصتي فأطلقني ، وأمرني بطلب هذا الفاجر ، وأباحني قتله ، فطلبته فلم أجده ، وأخبرت بخروجه عن بخارى ، فتركت شغلي ومعاشي ، وما أنا بسبيلة ببلدي من تجارة وأهل ، وخرجت خلفه .

(١) وجاء باليد والسكين كوضعه : ضربه كتوجّاه .

وكننت لا أدخل بلدًا إلا قيل لي ، إذا سألت عنه ، إنه قد دخل
إلينا ورحل ، إلى أن بلغت مصر ، ولي هاهنا مدة أسأل عنه في كل
يوم ، وأدور عليه ، وأصف صفته ، إلى أن عرفت بالصفة ، فعرفت
أنه يصلي بقوم في المسجد الذي وافيته فيه ، فأخذت بطائلي^(١) ،
وشفيت ما في نفسي ، فأصنع بي أيها الأمير الآن ما شئت ، فقد سهل
عليّ القتل بعد ما وصلت إليه .

فسألنا أحمد بن طولون عن المقتول لما رآه ما الذي عمل ؟ فقلنا : لما
نظر إليه قام يعدو هارباً منه . فقال له أحمد بن طولون : كثر الله في
الناس مثلك ، انصرف مكلو^١ ، فأقام عندنا تلك العشية ، وودعنا من
غدٍ وخرج إلى بلده .

ومن ذلك أن صاحب الخبر رفع إلى أحمد بن طولون أن رجلاً
دعا صديقاً له إلى منزله فقتله ، فأمر به فأحضر إليه مع أولياء الميت ،
فسأل أولياء الميت عنه ، فقالوا : دعاه هذا الرجل إليه ، للصدقة بينهما ،
وجاءونا به مقتولاً من منزله ، فلا نعلم كيف كانت حاله . فسأله عن
القصة فقال : والله ، أيد الله الأمير ، ما عندي علم من أمره ، وإنه
عندي لمثل ناظري ، وعزيز عليّ بما فُجعت به منه ، وإني عليه لشكلان^٢
مُوجع . ولقد كان أخصَّ خلق الله عندي ، وأحبهم إلي قلبي ،

قتيل السيد وذكاء
ابن طولون

(١) الطائفة : العداوة والترة والحجم الطواغل وهي الذحول والأوتار ، وفلان يطلب بني فلان بطائفة /

أي يوزن كان له فيهم ثأر يطلبه بدم قتيله .

ومحسب الأمير ، أيدته الله ، أني أصلحت نبيذاً منذ سنتين ، وأعوزتني الظروف فقيرت^(١) ظروفًا كباراً ، وجعلتها فيها ، وتركت الجرار في الشمس ، ولي في السطح برج حمام فتهدم منه موضع ، ولم يحضرني في الوقت طوب ، وخشيت على الفراخ من دخول شيء إليها ، فأخذت جرة من تلك الجرار الكبار فسددت بها ما انهدم من البرج وطينتها ، وعملت على أن أطلب طوباً فأجعله مكانها وأخذتها ، ومضت الأيام ونسيتها بالشغل والعوارض فما ذكرتها ، وانقضى النبيذ وفرغ ، واعتلت علة قطعني عن إصلاح غيره ، فلما وهب الله جل اسمه العافية في هذا الوقت صعدت أفتقد الحمام ، فرأيت بعض الطين قد انكشف عن الجرة النبيذ ، فذكرتها فأخرجتها وجعلت عوضها طوباً ، وسررت بها كل السرور ، لأجتمع أنا وأخي هذا على شربها . فخرجت واشتريت لحماً وما أحتاج إليه ، وصفيتها في [إناء] لي ، فرأيت منظراً ما رأيت أحسن منه ، وعيّت^(٢) مجلسي كما يجب ، ومضيت إلى أخي فحدثته حديث الجرة ، فقرح بها أيضاً ، وسألته الحضور ، وأن يحضر معه ثلاثة من إخواننا ، وعدت إلى منزلي ، وتشاغل بالطبخ وما أحتاج إليه .

فكان صديقي هذا وأخي أول من وافاني من إخواني ، وأنا مشغول ما فرغت ، فنظر إلى النبيذ فاستحسنه جداً وأعجب به ، وحلف أنه

(١) القار والقير : شيء أسود يطل في السفن والابل وهو الزفت ، وقير الحبال الزق إذا طلاما

وقير الظرف طلاء . (٢) عيّت : لغة في عبأت أي هيات

ما رأى قط مثله ، وشرب منه قدحاً واحداً ، ووضع رأسه فنام ، فلما فرغت من شغلي وحضر إخواني ، أصلحت المائدة وتقدمت إليه لأنّ به فوجدته ميتاً . فورد عليّ ، أيد الله الأمير ، من الأمر ما خشيت معه أن أجنّ ، وحرّت وحر القوم ، وبقينا لا ندري ما نعمل ، ولم أجد بدءاً من حمله إلى منزله ، فحملناه إليهم وعرفناهم خبره .

فقال أحمد بن طولون لأولياء الميت : تشكّون في مودته كانت لبيكم ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، لقد كان به عليه من الإشفاق والمحبة مثل ما نحن له عليه وأفضل ، وما انتهت في أمره بوجه ولا سبب .

فقال له أحمد بن طولون : ما فعل النبيذ ؟ فقال : هو بحاله ، أيد الله الأمير ، شغلنا هذه المصيبة عنه وعن كل حال . فقال له : أحضرني منه شيئاً ، فوجه معه من أتاه منه بقينة ، فنظر أحمد بن طولون إلى لونه وقال : حسن . فاستحضر كبد خروف فأُتي به في غصارة^(١) صيني فملاً من النبيذ قدحاً وصبه على الكبد ، وغطاها قليلاً وكشف عنها فأصابها قد تقطعت وتهرأت ، ثم استدعى كبداً أخرى فأُتي بها ، فأخذ من النبيذ قدحاً ، فجعل نصفه نبيذاً ونصفه ماءً ، وصبه عليها وغطاها أيضاً ، وتركها قليلاً ، ثم كشف عنها فوجدتها تبرق مصقولة حسنة ، فقال للرجل : هكذا كان ينبغي أن يشرب هذا النبيذ منصفاً

(١) الغصارة : القصة .

وقال لأولياء الميـت : مات ميتكم بأجله وعلى حسب ما قضيت موته
فشأنكم بميتكم فا [مضوا وادفنوه] ، يتولاه الله جل اسمه برحمته .
ثم قال لصاحب النبيذ : امض واحذر أن تسقي أو تشرب من هذا النبيذ
شيئاً صرفاً فإنه قاتل . فقال : والله ، أيد الله الأمير ، لا شربت ولا
أسقيت بعد [يومى] نبيذاً أبداً ما عشت ، فقال له : جودت انصرف مسلماً .

الخطيب الموعود
بالعقوبة ومكافأته

ومن ذلك أنه راح في يوم جمعة فلما رقي الخطيب^(١) المنبر وخطب
دعا للمعتمد ولولده ، ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون ، ونزل عن المنبر
مرقاة ، فقال سوار الخادم : فأشار إليّ أن إذا فرغ من صلاته وخرج
أضربه خمسمائة سوط ، فذكر الإمام وهو على المرقاة الثانية ، فرجع إلى
أعلا المنبر ، وقال : الحمد لله وصلى الله على محمد . « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ
مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » ، اللهم وأصلح الأمير أيا العباس
أحمد بن طولون . وزاد في الدعاء له ، ثم نزل عن المنبر . قال سوار : فنظر
إليّ مولاي وقال لي : اجعلها دنائير . ووقف الخطيب على ما كان منه ،
فحمد الله جل اسمه على سلامته منه ، وهنأه الناس بالسلامة .

ومن ذلك أنه اعتلّ معمر الجوهري فعاده أحمد بن طولون ،^{اكتشف ظلامه}
وكانت بينه وبين معمر مودة وخلطة ، وميل شديد ومحبة . فإنه
لعنده جالس يتوجع له من عاتيه ، ويذكر له غمه به ، وشغل قلبه

(١) في خطب القرظي ان هذا الخطيب كان ابا يعقوب البلخي .

بأمره ، ويدعو الله له بالعافية ؛ إذ سمع صائحاً يقول : أنا بالله وبالأُمير . فقال للحاجب : ما هذا ؟ فخرج وعاد فقال : امرأة . فقال : هاتها . فدخلت إليه عجوز فلما رآته قالت : أنا بالله وبالأُمير . فقال لها : ما قصتك ومن تتظلمين ؟ فقالت : من هذا الذي أنت عنده ، أيها الأُمير . فقال لها : وما خبرك معه ؟ فقالت : أنا امرأة من أهل السُّر ، ولي نصف دار منها معيشتي ، وفي بقائها عليّ نعتي ، فاشترى هذا الرجل من شريكِّي ، وكدني في أن أبيعه النصف الذي لي لتكمل له الدار ، فامتنعت لأن في بقائها سَترِي ، وفي بيعها هتكِّي ، فأنا من كده لي ومطالبته إياي بالبيع ، وتخويفي منه ، في أمر قد عذبنِي وحيرني . فردَّ أحمد بن طولون إلى معمر وجهاً مكفهرًا لم ير مثله قط ، تكاد أن تطير من عينيه النار ، وانقلب في الوقت عن تلك الحال التي كان عليها له إلى غيرها ، كل ذلك مراعاة لحق الله عز وجل . ثم قال له بعُسة وانتقباض وجفاء خطاب : ما تقول فيما قالت هذه المرأة ؟ قال معمر : جميع ما أملكه صدقة ، إن كنت أعرف شيئاً مما ذكرته . فقالت الامرأة : وكيف لك فلان الذي يُعنتني ويؤذني ، وطُلب في الوقت فلم يوجد . فقام أحمد بن طولون وقال له : أنصفها ولا تحوجها إلى شكاية بعدها . فبث معمر الرسل يطلبون وكيله حتى أحضر ، فسأله عما حكّت الامرأة قال : نعم صدقت ، النصف من الدار الفلانية اشتريناها من شريكها ، وطلبت منها النصف الذي لها لتكمل

الدار بأجمعها لنا فامتنعت . فأمره بالحضار الكتساب بشراء النصف فأحضره ، فأقر لها في ظهره أن الشراء لها دونه ، ووهبه لها ، ووصلها بجملته دنانير . وقال لها : قد أبقى الله جل اسمه عليك النصف الذي لك ، وزادك النصف الذي لنا هبة منك ، فأحب أن تمضي وتلقي الأمير ، وتعرفيه ما فعلته في أمرك وتشكريني عنده ، فخرجت إلى الميدان فقلت أحمد بن طولون ، فعرفته ما كان من معمر فحمد الله على ذلك ^(١)

ومن عجيب أخباره أنه لما صرف أبا أيوب عن الخراج وقلده أحمد بن إبراهيم الأطرش جعل يتجسس عنه فلا يجد له شاكياً ، ولا به ساعياً ، وكان قد استكتب أبا الجيش علي بن أحمد ، وسنه يومئذ أربعون سنة ، واستخلفه على جميع أمره ، وكان كل الكتاب يومئذ يحلفون ، وهم متوافرون ، أنهم ما رأوا ولا شاهدوا أحضر ذهناً منه ، ولا أقوى حفظاً .

فبينما أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأطرش يوماً في الديوان ينظر المعاملين ، إذ نظر [إلى] نصراني كان يعرف بأسحق كاتب جرجان ، وكان معتقلاً شيخاً من المتقبلين يعرف بابن جمهور فآدى ^(٢) النصراني عليه ،

(١) الغالب أن مثل هذه الشكايات كان أربابها يرون أن رسمها إلى أس طولون على هذا الوجه أتم - إلى ميل ما يتطدو ، والا فإن صاحب الدولة الطولية كان يجلس للمظالم وينظر بنفسه في ملامح الناس . روى القريزي في المخطط أنه كان أول من جلس مصر من الأمراء للنظر في المظالم وكان يجلس لذلك يومين في الأسبوع . (٢) آدى : قوي .

فاغتاز ابن الأُطروش من تسلط النصراني على الشيخ، فأمر برده إلى حبسه . فصاح النصراني : نصيحة للأمير أحمد بن طولون . فما تم كلامه حتى وافى صاحب أحمد بن طولون ، فأخذ أحمد بن إبراهيم الأُطروش والنصراني فأحضرهما بين يدي أحمد بن طولون ، فقال لا يسحق النصراني : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ أحمد بن إبراهيم الأُطروش هذا من مال ضياع البلد في هذه الأيام أربعين ألف دينار . فقال لابن الأُطروش : ما تقول فيما ذكره ؟ فأنكره وقال : هذا نصراني أحمق ما يدري ما يقول ، وإنما لما طالبته بما يجب عليه من الخراج عمل هذا ليدفع به عن نفسه المطالبة . فاغتاز أحمد بن طولون وقال له : أنا أسألك عن الحجة فيما ذكره نقيمتا تأتيني بخرافات ، فبقي ابن الأُطروش قد حار وُسقط في يده^(١)

ورُفع في الخبر إليه ، لأن الأخبار ما كانت تُعْبَهُ في كل ساعة بكل ما يجري من قليل وكثير ، فكان في الخبر أن الباب كاتباً لأحمد بن إبراهيم الأُطروش ، يسأل الحجاب إدخاله إلى الأمير ، فأمر بإحضاره ، فدخل على أحمد بن طولون ، فكان أول ما ابتدأ به بعد السلام على الأمير أن قال : أيد الله الأمير ، جميع ما وجب على صاحبي هذا أحمد بن إبراهيم الأُطروش فهو عليّ دونه بما فوّضه إليّ من أمره ، فإن رأى الأمير ، أيد الله ، أن يعفيه من المناظرة لهذا النصراني

(١) سقط في يده واستقط مضمومتين : زل وخطأ وندم وتحير

ويجعلها معي ويصني الأمير ، أيده الله ، إلى ما يجري فعل . فعجب أحمد بن طولون من تأكيده على نفسه فيما يتبرأ فيه الولد من والده ، فقال له : شأنك وإياه .

والتفت إلى النصراني فقال له : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ صاحبك من مال ضياع البلد أربعين ألف دينار ، فقال له علي بن أحمد : أخذها جملة من حاصل مال كان لها مفرداً ، أو أخذها مفرقاً من الضياع ؟ فقال له النصراني : أخذها مفرقاً من الضياع . قال : فأحضرنّاها عملاً مفصلاً تبين فيه ما ذكرت شيئاً شيئاً . فقال : ما عندي لها عمل بتفصيل ، ولكن إذا حضر الحساب للضياع أخرجت من عرضه ما اختزله ويثبت اقتطاعه له . فقال علي بن أحمد : الله أكبر . وأخرج من خفه عملاً وناولوه الأمير وقال له : أيده الله الأمير هذه نسخة ما حمل إلى بيت المال عن هذه الضياع دفعة دفعة ، وأنا أحفظها ظاهراً ، وهو ذا أقرؤه وهو يسمع ، فمهما عرف منه هذا النصراني شيئاً فيذكره . ثم اندفع يدكر ذلك ضيعة ضيعة ودفعة دفعة . وقد أعجب أحمد بن طولون ذلك منه ، وأقبل عليه يستزيده حتى أتى على العمل . ثم استعاده إياه ثانية إعجاباً منه ، واستحسناناً له ، فأعاده على ترتيب ، لم يقدم حرفاً ولم يؤخر حرفاً ، ثم قال للنصراني : أخبرني الآن ما الذي زاد على هذا حتى يكشفه الأمير ، أيده الله ؟ فإن صح عليم صدقك ، وإن لم يصح وقف على كذبك ، فاتقطع النصراني ، وسكت سكوت

منقطع لا خجة معه ، وارتعد بين يدي أحمد بن طولون فقال له :
يا كلب أردت أن تحملني على الإساءة لرجل ليس في خدمتي أعف منه
.....
.....
لولا أن الإسلام يهدر ما قبله^(١)
عبرة لغيرك ، وأمر بانصرافه . ثم قال لعلي بن أحمد : بارك الله عليك
..... منك ، فقد جمعت بين الذكاء والوفاء فلا يدخلن إلي صاحبك
وقتاً إلا وأنت معه . وكان لباس علي بن أحمد الدُّرَاعَة فنراه أحمد بن
طولون عنها وأمره بلباس الأقبية والسيف والمنطقة ولبس السواد
يوم السلام .

وحدث يحيى بن بركة الحاسب ، وكان صديق أبي يوسف
يعقوب بن إسحق كاتب أحمد بن طولون قال : صار إلي غلام
أبي يوسف الكاتب ، بعد انصراف أحمد بن طولون من الإسكندرية
إلى القسطنطينية ، يدعوني إليه ويذكر شوقه إلي ، وكنت قبل
نكبته مواصلاً له ، فلما حبسه أحمد بن طولون [تهيبت] الذهاب إليه
خوفاً على نفسي . فقلت له : ما تركت زيارته إلا خوفاً ، فقال : قد
علم عذرك ، والآن فقد تقدم الأمير إلى الموكل بالمطبخ ، أن يفرد
من جملة المحبوسين ، ويطلق له دخول من قصده للسلام عليه ، من
أصدقائه وأصحابه وحاشيته وذوي عنايته ، وشوقه إليك شديد ،

سجين ابن
طولون يتم ثقافته
في الحبس

(١) في الاصل هنا خرق ثلاثة أسطر تينا في التاك نهامذه الكلمات

وقد استبطأ تأخر ك عنه مع ما جرى من تسهيل أمره ، فمضيت مع
الغلام إليه فوجدته في غرفة واسعة نظيفة فسلم عليّ وقال : يا أبا زكرياء ،
قد تفرغت الآن للعرض عليك ، والاقتباس منك ، فالزمني فلزمته .
فعمل زيج السند هند بأسره ، وعمل صدر آمن أحكام النجوم . وأفت
أنقطع إليه في محبسه خمس سنين وكسراً حتى أطلق . فحدث يحيى بن
براقة قال : لما دخلت سنة أربع وستين ومائتين ^(١)

.
.

. المسلمين وتتضمن ارم ذكر ما ارم
في الضيق . لك وقد سلكت في قصيدي ذلك المسلك ، وكتب
إلى أبي عبد الله الواسطي رقعة يشكو بها حاله ، ويسأله التلطف في
قراءة القصيدة عليه في خلوة ، ويتبعها بما يحسن أن يأتيه وهي :

الشعر صعب على المكروب والعاني	وليس أعجب شيء فيض ملآن
ما للزمان لقد حالت حوادثه	بينني وبين حبيب نازح دان
إن قلت جاء أجاب الطرف من كذب	ملكنتي بين أبواب وحيطان
ودون عروب وعجم في مجالسهم	موكلين بنا ترك وسودان
إذا نحن نحت قالوا طار صاحبنا	كأنما لي في حبسي جناحان

(١) في الأصل هنا خرق ثلاثة أسطر تينا في الثالث منها هذه الكلمات وفي ابن الداية : لما
دخلت سنة أربع وستين ومائتين تحولت لأبي يوسف سنة محمودة رجا فرجه فيها . فعمل قصيدة
طويلة ، وكتب إلى أبي عبد الله الخ .

لكن طيفك يأتيني برغمهم
 طيف لبيضاء تنقاد القلوب لها
 لولا خيالك يا مولاة مالِكها
 إذا لما عشت من هم أعالجه
 كيف البقاء على سجن حبست به
 إذا مددت يدي مستلقياً بلغت
 وإن علا نفسي نمت سرائره
 وإن تروحت منه للخروج فلا
 للجن فيه عزيز كل صاخبة
 تجول فيه بنات الأفوان مع الـ
 يا حبذا طيف من أهوى ويهواني
 لو خاصمت قرأ جاءت ببرهان
 وأنه كلما نومت يغشاني
 وأحرق كبدني فيران أحزاني
 كأنه حجر من بين كُشبان
 منه سمانته ^(١) شلت ^(٢) يد الباني
 ثم استقلت بأحزان وأشجان
 روح سوى مخرج مأوى للشيطان
 تنوح فرعون أو تبكي لهامان
 مقارب [السود] من مثني ووحدان
 قال : فورد جواب أحمد بن محمد الواسطي عليه يقول : قد قرأت

القصيدة عليه ، وهو منشرح الصدر ، فتدمع لبعضها وضحك لبعضها .
 فقلت : أيد الله الأمير . قد طال حبسه ، وبلغ به غضب الأمير حالاً
 رثى له عدوه منها ، فإن رأى الأمير أيده الله أن يمن عليه بالرضا ،
 فقال : ما غضبت عليه ، ولو غضبت لجرى مجرى غيره ممن اصطفت
 ماله وأجريت عليه المكروه ، حتى خفي خبره ، واستتر أثره ، وقد
 أطلقت له من يأنس به ، وهو مشغول بتعلم حساب النجوم وقول الشعر ،
 وقد زال الآن عتبي عليه عن قلبي فقلت له : الحمد لله ، فما يمنع
 الأمير من التطول عليه بإطلاقه والرضا عنه ؟ فقال : كلام ألقاه إليّ ،

(١) سمانه البيت : رواه (٢) شلت بفتح الشين : أي يست

وحدثني به عن أنوشروان ، وهو أنه قال : الملك المتسكن من نفسه لا يغضب سريعا ولا يرضى سريعا ، لأن ذلك من أخلاق النساء ومن قاريهن . فلذلك أطلت حبسه . فأمسكت عن إعادة قول عليه ، فأنت يا أبا يوسف في حبس نفسك بما كنت غنيا عنه من هذا القول .

فلما وصل إليه الجواب من أبي عبد الله قال إن حضره من إخوانه : أما ترى إلى فظاظة أبي عبد الله في خطابه لي ، وأنا في مثل هذه الحال ، وذمه إياي فيما كان يجب أن يمدحني به ، ولكن يا أخي المحن نقلب أعيان الحسنات إلى المساوي .

فكاتب أبا بكرة^(١) القاضي وسأله كلام أحمد بن طولون في أمره ، ومسألته إطلاقه ، فركب إليه القاضي ، فأذكره بجرمته عليه ، وخدمته له ، وطول صحبته له . واتفق له في تلك الساعة ورود خبر عليه يسره ، فأمر بإطلاقه ، وتخليه سبيله .

وكان وقت الحج ، فلما أطلقه [جاءه] مسلما عليه ، فسأله الإذن له في الحج ، وعرفه أنه اعتقد ذلك إذا من الله عز وجل عليه برضا الأمير ، فأذن له في ذلك ، وأطلق له الذهاب إلى منزله بسر من رأى ، والاجتماع مع أهله وحرمة ، وأطلق له جملة كبيرة من المال وخرج . فلما حج ووصل إلى منزله كف لسانه بالعتاب ، فلم يذكر أحمد ابن طولون بكلمة تذكروه ولا بقبيح ، فزاد بذلك عند الموفق ، وتقدم به عنده ، وكتب طيفور خليفة أحمد بن طولون إليه بذلك ، وأنه

(١) أي كاتب أبو يوسف أبا بكرة

يكثر الشكر بذلك ويطل الشاء عليه ، فشكر له أحمد بن طولون ذلك ، وصار يكاتبه في مهماته وحوادثه ، ولا يقطع مواصلته بصلاته .

قال مؤلف هذا الكتاب : حدث نسيم الخادم قال : كان أحمد بن طولون مولاي على غيبة من الميل والمحبة لمعمر الجوهري ، فلما مات معمر الجوهري حزن عليه أحمد بن طولون حزناً عظيماً ، حتى ظهر ذلك منه للناس كلهم ، فلم يتعزَّ به ولم يسلم عنه . فلحزنه عليه كان يبكر كل يوم سحراً إلى قبره ، وأنا معه فيترحم عليه ويقرأ قليلاً ، ويعود إلى قصره مع الصبح . فكنّا عند موافقتنا قبره نجد في كل يوم امرأة قد سبقتنا إلى قبر مقابل قبر معمر ، تبكي وتنتحب بحرقّة موجهة مؤلمة لقلب من يسمعها ، فكانت تزيد في حزن أحمد بن طولون وتبكيه .

امراة تبكي
زوجها لستره
عليها

فلما كثر ذلك عليه منها قال لها يوماً : يا امرأة أتبيتين ها هنا ؟ فقالت : لا أيها الأمير . فعلم أنها قد عرفتّه . فقالت : وكيف لي لو تهيأ لي المبيت ، حتى أبيت ولا أفارق هذا القبر ، وأدفن فيه مع صاحبه . ولكنني أسهر ليلي ، لما أجد في قلبي ، فإذا قرب الفجر خرجت ، وقد شغل الحزن قلبي عن الخوف من وحشة الطريق . فقال لها أحمد بن طولون : وما هذه الحال العظيمة التي استحق بها هذا الفعل منك ؟ فقالت : أيها الأمير إنها حال عظيمة عندي ، لا يجوز لي أن أذكرها . فقال لها : لا بدّ أن تخبريني ذلك . أبنك هو ؟ قالت : لا . قال : فأخوك ؟ قالت : لا . قال : فزوجك ؟ قالت : نعم . قال : أقسمت

عليك لتخبرني بما استوجب به منك هذا الفعل . فقالت : أيها الأمير ،
إني أحترس من ذكره ، وأرفع الأمير عن كشفه . قال لها : إلزامي
لك ذكره قد أزال حشمتك ، وأقام عذرك .

فقالت : أزوجني أبي لهذا الرجل ، وأنا صبية ، ما بلغت مبالغ
النساء . فلما عقد النكاح سافر سفيراً طال مدة أيسنا منه معها .
فخلا بي من النساء من لا خير فيه ، وأنا مع أبي وأمي ، وأفسدوني
واستولوا على عقلي ، وحملوني على أن ساعدتهم فيما كتب عليّ ، مما لم
يكن لي منه محيص ، وصبوت كما تصبو النساء وحملت . فلما تبين
والدائي جميعاً ذلك ، ورد عليهما ما يرد مثله من المصائب ، فبينما هما
يركضان في الحيرة في أمري إذ قدم هذا الرجل من سفره ، فطالب
بإدخاله عليهما ، فدافعه أبي وأمي ، بما يحتاج إلى إصلاحه لي ، رجاء أن
يزول ما في جوفي ، فلم يدع شيئاً يعمل في طرحه حتى عملاه ، فلما نفع
ذلك ، لما قضى الله جل اسمه بكونه .

وقربت ولادتي فوافانا هذا الرجل ، وقد طالبت المدافعة له ، فحلف
بالطلاق أنه يأخذني بعد ثلاثة أيام ، فلم يجد أبي وأمي بذّاً من إدخاله
عليه فدفعته إليه ، وأنا على حال قد علمها الله جل اسمه غماً
وقلقاً ، وأبي وأمي في أعظم مما أنا فيه ، فلما أدخلت عليه ، وأخلت معه ،
انصرفت أُمي وسائر أهلي ، خوفاً من مشاهدة الفضيحة . فلما حصلت
معه في الكِلَّة^(١) ، ضربني الطلق ، وزاد الأمر عليّ ، فوثبت من الكِلَّة ،

(١) الكِلَّة : ستر رقيق وهي ما تبرعته اليوم بالناموسية واقة اللام من الناموس .

أريد الخروج من البيت إلى أمي ، وليس عندي أنها هربت . فما بلغت عتبة باب البيت حتى طرحت الولد من بين رجلي إلى الأرض ، وسقطت ولا عقل لي ، فوثب هذا الرجل يتأمل ، فرأى طفلاً مطروحاً يبكي ، فصاح بأخته ، فسمعتنه وأنا في كربي وغمي ، يقول لها : يا أختي ! اقض كل حق لي عليك ، بما نأتيه في أمر هذه المرأة ، وانصرف عن البيت ، وتركني مع أخته ، فقامت بي أحسن قيام ، وتولت من أمري ما لا يتولى مثله أمي : برفق ، وإشفاق ، وانبساط وجه ، وحسن خلق ، ومزح ومداعبة ، حتى كأن الولد منهم ، وكل ذلك يزيدني خجلاً واحتشاماً ، إلا أنه قد سكن قلبي بعض السكون .

وبلغ أبي وأمي خبري فلم يقربني أحد منها حياة واحتشاماً ، وبت ليلتي ، فلما كان من الغد دخل إليّ بوجه منبسط طلق ضاحك ، فجلس عند رأسي ، وسألتني عن خبري ، وقال لي : ألك حاجة ؟ قلت ، ودموعي تجري : يبقيك الله . فبكي لبكائي ، ومضى بنفسه إلى أبي وأمي ، فحلف عليهما حتى جاءني بهما وقال لهما : لا مهر من قضاء الله عز وجل ، إني ليس في يدي ولا في أيديكما ولا في يدي أحد من عبيده جلّ ذكره منه غير الصبر والحمد له ، تبارك وتعالى ، على البأساء والضراء ، والحمد لله الذي كان هذا من فيض (?) الله جل اسمه ، له الصبر عليه والستر عليكم ، واحمدوا الله جل اسمه . فدعيا له وشكراه واستعبدهما بذلك .

فكان كل يوم يدخل اليّ بكرة وبالعشيّ ، يسألني عن حالي ،
ويسألني عن شيء أشتهيّه ويستحلفني على ذلك ، فأبوس يديه وأدعوه
حتى إذا مضى لي أربعون يوماً ، وهي أيام النفاس ، ودخلت الحمام
وصلحت له ، دخل اليّ مستبشراً طيب النفس ، فمازحني وجلس
عندي ، واستحضر أبي وأمي وأنفق نفقة كبيرة واسعة حسنة ، حتى
كانت مقام عرس ثانٍ . فلما انقضى يومنا وبات عندي ، وجرى بيني
وبينه ما يجري بين الرجل وزوجته ، وأنا على غاية من الاحتشام والحياء
منه ، وأصبح ، وهب لي دنائير كثيرة ، وقطع لي ثياباً حسناً . فما مضى
إلا شهر حتى حملت فولدت غلاماً فسرّ به غاية السرور ، فكأنني انبسطت
قليلاً إليه ، ودعا أيضاً أبي وأمي وحلف عليها أن يلزماني ولا ينقطعما
عني ، وصاغ لي حلياً حسناً ، وما ترك شيئاً من إكرامي وسروري
حتى بلغه لي ، وعاشرتني أخته ولأبي^(١) أحسن عشرة ، وفعلت معنا
أجل فعل ، فكنا له ولها كالعييد .

وما زلتُ معه على حال ما فوقها مزيد من الإحسان والمحبة ، حتى
مضت لي عشر سنين ، وكبر ابني ، وحقق القرآن ، وعلمه جميع
الآداب ، وأنجب ، فعظم بذلك سروره وسروري . ثم اعتلّ علته هذه التي
مات فيها ، فلما أيس من نفسه كتب وصيته ، وأحضر الشهود ليشهدوا
عليه فيها فسمعتهم يقرءون في الوصية : والذي خلفه من الولد ، ولدان
ذكران ، وهما فلان وفلان ، وزوجة وهي فلانة ابنة فلان ،

(١) الأولى : وعاشرت أبي .

يريدني . فلما سمعت ذلك لحق قلبي ما يلحق قلوب النساء من الغيرة ،
ثم فكرت في خيانتني وقبح فعلي ، وجميل فعله ، فأمسكت ، إلا أني لما
خرج العدول من عنده ، خرجت اليه من وراء مقطع كنت جالسة
خلفه ، فقبلت رأسه وبده ، وقلت له : يا سيدي ، لك علي من الإحسان
والإينعام وجميل الفعل ما قد استعبدتني به ، حتى لو وقفت على أن لك
ثلاث نسوة وعدة جوار للملتهن لك على رأسي ، فكان ذلك أقل
واجبك علي ، فكيف يكون لك ولد غير ولدي من امرأة غيري أو
جارية ، فلا تعرفني حتى أتولى خدمتها بنفسي ، وكان ذلك بعض ما تستحقه
مني ؟ فقال : كأنك أنكرت ما سمعته في وصيتي من ذكري ولدين
ذكرين ، فقلت : نعم . فحوّل وجهه عني إلى الحائط فقال لي : ويحك ،
هذا وذاك ، وتشهد ومات .

فأحضرتني أخته ذلك الطفل الذي كنت رميته ، ووالله ما قد رته
يعيش ولا سألت عنه ولا فكرت فيه ، فقالت له : يا بني هذه أمك
فبس^(١) رأسها ، فانكب على رأسي وبكيت وبكى وبكت أخته ،
وإذا بها قد اشترت له دابة ، وأفردته في موضع معها ، وكبر فعلته
مع ابنه اقرآن وجميع ما علمه ابنه من الآداب وأنجب أيضاً ، على أنه
بعض ولد الجيران ، وأحضرت أخاه فقالت له : يا ابن أخي هذا أخوك
فتعانقا ، ووقف كل واحد منهما على صورة الأمر ، وانفقت الحال بينهما .
فتسخمت^(٢) أنا وأخته عليه ، وجززنا شعورنا ، ولزمتنا الحزن عليه .

(١) البوس : التقبيل (فارسي معرب) (٢) سخم وجهه : سوده ، وتسخم : تسود

فماتت أخته حزناً ، وبقيت أنا وابني وأخوه معي ، وخلف له شيئاً يسيراً حاجتنا^(١) . فأنا أأزم قبره ولا أنسى جميل فعله ، ولا يزول من قلبي حزنه . فقال لها أحمد بن طولون : رحمه الله ورضي عنه ، فما في الدنيا أكرم من هذا الرجل ولا أجمل فعلاً ، وأحسن الله جزاءك إذ عرفت له مقدار فعله بك ، وكثر الله في النساء مثلك ، فإن يكن لك حاجة ، أو نابتك نائبة ، فعرفني فقد لزمني حقك ، ووجب عليّ حفظك ، فدعت له ، وانصرف أحمد بن طولون وقد أبكته وأحزنته .

ولم يأت إلى ابن
طولون ثم شط
عليه

قال : وحمل أبو الفتح محمد بن الفتح أخته خديجة إلى أحمد بن طولون في آخر سنة خمس وستين ومائتين وكان المعتمد قد عقد بينهما نكاحاً ، وكانت أختها يومئذ تحت المعتمد بالله ، فقلد أحمد بن طولون محمد بن الفتح ديار مصر . وكان الحسن بن مخلد قد نفاه السلطان إلى الرقة ، لأنه أساء إلى الأولياء والكتاب ، فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام عنده وفي كنفه . فأنفذ محمد بن الفتح كتابه إليه بذلك ، فأجابه أحمد بن طولون : أنا وليك ومقام صنيعتك ، لأنه كان الوزير ، وصوب رأيه فيما انتواه فرحل إليه ، فلما قارب أعمال مصر منعه صاحب البذرة^(٢) ، وكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، وكتب إليه أيضاً الحسن بن مخلد ، فكتب أحمد بن طولون إلى صاحب

(١) في الأصل : يسترجعنا (٢) البذرة : الحفارة

البذرة ، يأمره بحمله مكرماً فحمل إليه . فلما وصل إلى أحمد بن طولون أظهر إكرامه وإعزازه ، والتجمل له والبش به . ولم يزل عنده على هذه الحال إلى أن تأمل أحمد بن طولون منه أنه يرى أن فعله ذلك به ، باستحقاق له عليه ، وأقبل يتبسط بين يديه تبسط المتبوع مع التابع ، ولم يزد أيضاً مهابة ، ولاتوفية حقه ، فأحفظه ذلك عليه . وكان يناديه فحضر يوماً محبوب بن رجاء معه بحضرة أحمد بن طولون فقال لمحبوب على جهة المداعبة :

فاح ریح الخمائ^(١) من سراويل قاسم-

يعرض بأن أم محبوب بن رجاء اسمها قاسم ، وذهب عنه أن اسم أم أحمد بن طولون قاسم . فقال له محبوب بن رجاء ، لينبه أحمد بن طولون عليه : أويذ كر لآمي وقد كانت ماسه (?) أو يقال فيها هذا ؟ إنما المنكر أن يكون الوزير أخيف^(٢) إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء ، وهذا في الدواب مشثوم ، فكيف في الوزراء ؟ فأحفظ أحمد بن طولون قول الحسن بن مخلد وخبأ ذلك له . فلما كان بعد أيام أحضره أحمد ابن طولون لمنادته على الرسم فغنى ، وقد سكر ، بالنبطية^(٣) ، وصفق بيديه ، ثم زاد عليه السكر وملكه فقال :

أيا ويحك كم تصعد
لقد جرت مدى الفرق
ولو زلت بك النعلا
نلاستوبات ما تحمد

(١) الخماطة : الكناسة والجمع خائم (٢) الخيف محركة في الفرس وغيره زرة إحدى العينين وسواد الأخرى (٣) النبطية : لغة الأناط وهي السريانية .

فاغتاظ أحمد بن طولون غيظاً شديداً ، وأمر به فُجِرَ برجله الى الحبس ، فمزال محبوساً حتى خرج أحمد بن طولون الى الشام ، فحمله معه مقيداً فمات في الطريق ، فدفن في قصر عيسى بن شيخ الخشاشي .

وكان ابن مخلد قد خبر ابن طولون عن أحمد بن محمد بن مدبر ، بما كان يكتب به أحمد بن محمد بن مدبر في أمره الى السلطان ، ودفع اليه كتيباً ، منهما يقول فيه بخطه : وإنه قد عزم على أن يقيم بمصر خليفة ، ويصف غدره ، ويذكره بكل قبيح ويشير بعزله ، ويُخيف السلطان منه ، ويذكر ما قد اختزله من الأموال ، فكتب أحمد بن طولون من وقته الى سعد الفرغاني . وكان من قواده وثقاته ، وهو بالشام مقيم ، أن يُشخص اليه ابن مدبر فأشخصه ، فحبسه في حجرة من داره مكرماً ، ولم يدر ابن مدبر ما عرفه به الحسن بن مخلد ، وقرره له عنده ، فكتب ابن مدبر الى أحمد بن طولون رقعة ، وليس عنده صورة الأمر فيما جرى في أمره ، ولا أن له ذنباً ، وضمن الرقعة أبياتاً منها :

أُرِيتُ^(١) قُبَيْلَ الصَّبْحِ فِي النُّومِ أَنَّنَا جَمِيعاً عَلَى سَطْحِ يَنْيْفِ بَنِي السَّطْحِ
إِذَا فَارَسْتَهُ يَهْوِي إِلَى السَّطْحِ مَعْلَنًا أَخُو شِكَّةٍ يَزْهِي بِهِ السِّيفُ وَالرَّمْحُ^(٢)
يَلُوحُ بِالْبُشْرَى إِلَيْكَ مَبَادِرًا بِنَصْرِ وَتَمَكِينٍ أَجَدُّهُمَا النَّصْحُ

(١) في تاريخ دمشق : « أُرِيتُ قُبَيْلَ الصَّبْحِ رُؤْيَا كَأَنَّا » : وقد صححت من هنا بعض غلطات الناسخ وبقيت بقية لم تصحح .

(٢) الشككة بكسر الشين : السلاح ، زهي فلان بكذا يزهي به . ومعناه زهاهم الاوعجاب بنفسه .

وعالوا بتبكيير من الدار عدوة
فلم أر حلاً مثله صدق وافد
فهمت بالشكر العطية إنه
وقل لي فدتك النفس من كل حادث
الى كم يكون العتب في غير معتب^(١)
يصريح بالبهتان تصريح مازح
أما خلة تُرعى ولا طول عشرة
تبين فإن الحق يجلو دجى العبي
ومالي ذنب غير أني مُحسد
فإن كان لي ذنب فحلمك واسع^(٢)
فقد نالني بالامس مامل سمعه
وما كنت ذا شعري ولكن جراحة
قال: وكان أحمد بن طولون قد حبس ابن مدبر في حجرة مفروشة
ومعه خادمان يخدمانه ، ويوجه اليه أحمد بن طولون في كل يوم مائدة
حسنة عليها من كل شيء ، فلما ورد عليه هذا الشعر أغاظه فأحضره اليه وقال
له: تفككك وتفككك بدلان على أنك ما وقفت على علي بما قصدتني به
وكانت السلطان في مرة بعد أخرى بسوء طبعك ، وقبح كيدك
وجرأتك على ربك بأيمانك الكاذبة ، هبك ويحك نتوهم بخبثك أنه قد جاز

(١) في تاريخ ابن عساكر بدلاً من هذه النظم: أما كان دور المجلس للمر ممت

(٢) في ابن الداية: مان كان لي ذنب محلمك واسع ومن على المصطر فالمر والفتح

انها تجوز على عالم الغيب والشهادة ، والله لقد أردت قتلك ، لولا اليمين التي حلفت بها لك ، لما صخ عندي من سعيك في أذيتي ، وقصدك مكروهي ، وحيلتك في سفك دمي ، فأنكر ذلك فقال : وبلك ، تنكر وهذه كتبك بخطك عندي ؟ ثم أحضره الكتب التي سلمها إليه الحسن ابن مخلد ، ورماها إليه وقال له : وبلك هذه كتب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويخاف عقوبته عز وجل التي يخافها من بغي وأساء ؟ والله لولا ما في قلبي من يميني لضربت عنقك الساعة ، وضربت بك بالسوط حتى تموت ، وأمر به فأخرج من بين يديه سحبا . وعمل أحمد بن محمد الواسطي جواباً لشعر ابن مدبر ، ودخل به إلى أحمد بن طولون فقرأه عليه فأعجبه وأمره بإفناذه إليه ، وقيل : إنه لمحمد بن عبد الغفار^(١)

أحمد كان السطح يا ابن محمد منيقا ولو عاليته خسف السطح^(٢)
متى كنت في الأحلام لله صادقا فتصدق في رؤياك إذ وضح الصبح

(١) في تاريخ ابن عساكر ان ابن طولون لما قرأ قصيدة ابن مدبر دفا كاتبه ابن حدار وكان شاعراً اديباً وقال له : اقرأ قرأها ، قال لابن حدار : أجيء قال : بالرضا أم بالسخط فقال : بالسخط ، قلب الرقعة وكتب في ظهرها هذه الأيات

(٢) أصلها هذه الأيات من تاريخ ابن عساكر واعتمدنا روايته ، وفيها زيادة على الأصل أربع آيات وهي التاك والرابع والخامس والسادس ولم يرد البيتان الأخيران في تاريخ ابن عساكر . وعند ابن الداية أنه قيل لـ ابن طولون الأيات الأصلية هي لمحمد بن عبد الغفار لا لابن مدبر . والجواب عليها لابن حدار لالواسطي . وابن حدار او جرار او جدار . على اختلاف في النسخ كان شاعراً مقلداً ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد قصيدة قال في مقدمتها : وقد يأتي من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء منفرد في غرابته وبديع صنته ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون الخ (واجمع ص ١٥٣ ج ٣ من العقد الفريد الطبعة الاميرية)

[فكم ذبحت كفاك من ربِّ نعمة
فأصبح مما خول الله عارياً
ومن عدلنا أن قد زويت مضيقاً
فلو جاءنا الناعي بنعيك جاءنا
ولكن أدام الله عزَّ أميرنا
فما زال ميمون النقيية ماجداً
وما زال في الهيجا أول فارسٍ
فاستجادها أحمد بن طولون وأنفذت إليه ، فلما قرأها ندم على
ما كان من خطائه على نفسه حيث لم ينفعه ، ولم يزل في حبس أحمد بن
طولون حتى عمي ومات .

وكان قد أشرك بين علي بن الحسن بن شعيب المدايني وبين ابن
الأطروش في الخراج ، فوجدت لعل بن شعيب رقعة إلى ابن مدبر يقول
فيها بخطه : « قد علم الله جل اسمه زهدي في العمل الذي أنقلده ، وكراهتي
له ، وخوفي منه . وأسأل الله جل اسمه أن يكفيك ما أهمك . » فأمر
به أحمد بن طولون إلى المطبق ، فما زال فيه حتى مات . وأفرد ابن
الأطروش بالخراج .

مقال من تشدد
ابن طولون مع
الرعية

وكان أحمد بن إسماعيل بن عمار المعروف بسبع شعرات قد قدم
إلى أحمد بن طولون من الشام فقلده الأملك وما خرج عن الخراج ،

وصرف به الحسن بن سليمان بن ثابت ، وتقدم إلى أحمد بن إسماعيل
بمطالبة الحسن بما دفعه عليّ ابنه ، فطالبه بذلك وضربه فمات في
الضرب . ونحى ند كر خبره مفرداً إن شاء الله

وكان أحمد بن إسماعيل هذا قد أشار على أحمد بن طولون بمشورة
فتعدها فبسط لسانه فيه على جهة الإشفاق عليه ، وقال : ليس هو ممن
تمرّن في الرياسة . وفيه لجساج لا يؤمن عليه منه ، فبلغ ذلك أحمد بن
طولون فحبسه في المطبق ، ومنع من كان يبسط عليه عائدته حتى مات .
وكل هذه الأحوال التي عددناها فالعذر فيها كلها بين لأحمد بن
طولون ، والذنب لمن يبسط لسانه في مثله ، ويتعدى إلى غير ما هو أهله ،
وكان قد بقيت لأحمد بن طولون بقية كبيرة من خراج البلد على بعض
المتقبلين ذهب عني اسمه فاستتر ، وكان قبل استناره قد عمّد إلى ربع
له نفيس يفي بما عليه من الخراج ، وفضل حبسه على ولده وخرج عن
البلد ، ورُفع خبره إلى أحمد بن طولون ، فطلب فقيل له : قد هرب وفات
وخرج عن البلد فأحضر بكار بن قتيبة القاضي وقال له : صاحبك يقول
بجَلِّ الحبس في الدين ، فتحلّ حبس هذا الهارب منا حتى نأخذ مال
السلطان منه ؟ فقال له بكار : لا تفعل ولا تستنّ سنة يستن بها فيك ،
لأن لك أوقافاً على وجوه ، فإن حللت حلوا عنك . فتوقف عن ذلك
وكف عنه ، وشكر لبارك مشورته عليه ^(١) .

(١) في الولاية والقضاة : قال ابن طولون لبارك : مر بيّمه على مذهبك ، فسكت ساعة -

بعض صدقات
ابن طولون
ومصانعه وآثاره

وأما رغبته كانت في أبواب البراني كانت له فكانت ظاهرة
بينه واضحة ، بشهوة شديدة ، ونية صحيحة . فمن ذلك بناء الجامع
والبيمارستان ^(١) ، وما ضمنه خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة ،
والدرياقات المعروفة التي ليست إلا في خزائن الملوك والخلفاء . فلم
يكن يعدم في بيمارستانه شي من الأدوية ولا العقاقير الرئيسة ، مثل
دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله . واشترى له المستغلات النفيسة
التي يني بعضها بجميع حوائجها ، إذا أبقى الله جل اسمه من يتولاها .
ثم العين التي بالمعافر بناها بنية صحيحة ، ورغبة قوية جميلة ، حتى
إنها ليس لها نظير . ولقد اجتهد الماذرائيون ^(٢) وأنفقوا الأموال
الخطيرة ليحكموها فأعجزهم ذلك ، لأنها وقعت في موضع جيرانه كلهم

— فإذ قال : أيها الأمير قد بنيت المسجد الجامع والمارستان والسقاية والصهرج وحبت على
ذلك ما شاء الله ، فلا تعجل لفيرك على احباسك سيلاً فسكت أحمد .

(١) روى المقرئ عن جامع السيرة الطولونية أن أحمد بن طولون بنى في سنة إحدى وستين
ومائتين المارستان ولم يكن قبل ذلك بصر مارستان ، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان
ودوره في الأسكفة والقيصرية وسوق الرقي ، وشرط في المارستان أن لا يبالغ فيه جندي
مملوك ، وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، حبسها على المارستان وغيره ،
وشرط أنه إذا جئ بالليل تنزع ثيابه وتحفظ ثقبته عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ،
ويغسل له ويؤدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ، فإذا أكل فروجاً
ورغيفاً أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه . قال : وكان يرك بنفسه في كل يوم جمعة ويتنقذ
خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الأعلام والمحجوبين من المجانين .

(٢) الماذرائي نسبة إلى ماذرايا قرية بالبصرة نسب إليها الماذرائيون كتاب الدولة الطولونية
بصر — قاله ياقوت . ويقول الصابي في تاريخ الوزراء : إن أبا علي الحسين بن أحمد المعروف
بأبن زنبور وأبا بكر محمد بن علي الماذرائيين قد دبرا أمور بني طولون في المال والرجال ولهما
في الكتابة قدم وبالتدبير دربة

محتاجون إليها ، وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للأخذ منها ،
ولمن كان له غلام أو جارية ، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات .
فهي لهم حياة ومعونة . واتخذها المستغل الذي فيه فضل عن الكفاية .

حدث ابن قراطغان أن الذي تولى لأحمد بن طولون بناء هذه
العين رجل نصراني حسن الهندسة حاذق فيها ^(١) ، وأنه دخل إلى
أحمد بن طولون عشية من العشايا فقال له : فرغت مما تحتاج إليه فيها
لنر كب إليها نراها . فقال له : ير كب الأمير ، أيده الله ، في غد ،
فقد فرغت ، فركب وتقدم النصراني فتأمل منها موضعاً يحتاج إلى
قصرية ^(٢) جبر وأربع طوبات ^(٣) فبادر فعمل ذلك . وأقبل أحمد بن
طولون يتأمل العين ، واستحسن جميع ما شاهده منها . ثم أقبل إلى
الموضع الذي فيه قصرية الجبر ليقف ، فلرطوبة الجبر لما وضع الفرس
يده على الموضع غاصت يده ، وكبأ بأحمد بن طولون فرسه . ففسوء

(١) في تاريخ الأئمة القبطية ان اسم هذا المهندس سعيد بن كاتب القرطاني وهو قبطي
تولى بناء قياس النيل والصهرج وجامع ابن طولون . قلنا : وكان ابن طولون يقرب العلماء من
أي مذهب كان . ذكر السعودي في مروج الذهب أ . حل إلى ابن طولون في النيل مكرماً رجل
مُعمر من الأقباط في سنة ثيف وستين ومائتين كان بأعلى بلاد مصر من ارض الصعيد وكان ممن
يشار إليه بالعلم من لدن حدائمه والنظر والاشراف على الآراء والتحل من مذاهب المتفلسفين
وغيرهم ، فأحضر له أحمد بن طولون من حضرته من أهل الدراية وصرف همهته إليه وأخلى له نفسه
في ليالي وأيام كثيرة يسمع كلامه وإراداته وجواباته فيما يسأل عنه ، وأقام عنده نحو ستة
فأجازوه وأعطاه فأبى قبول شيء من ذلك فردّه إلى بلاده مكرماً .

(٢) القصرية : كاللجاجة اسم للقصة الكبيرة التي تُفصل فيها الثياب وقد مرّ في التاليف .

(٣) الطوبة : هي اللبنة واللبن الطوب الذي لم يشو والآجر أو القرميد هو الذي شوي .

مهندس نصراني
يعني لابن طولون
عيناً وجامعاً

ظنه قدّر أن ذلك لمكروه أراد النصراني به ، فأمر به وشق عنه
وضربه خمسمائة سوط وأمر به إلى المطبق . وكان المسكين يتوقع
الجائزة فاتفق له اتفاق سوء . وانصرف أحمد بن طولون .

وأقام النصراني في المطبق إلى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع ،
فقدّر له ثلاثمائة عمود ، وقيل له : ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس في الأرياف
وفي الضياع الخراب ، فتحمل إليك ، فأنكره ولم يختره ، وتعذّب
قلبه بالفكر في أمره ، وبلغ النصراني وهو في المطبق الخبر فكتب
إليه يقول : أنا أبنيه للأمير ، أيده الله ، كما يحب ويختار ، بلا عمود
إلا عمودي القبلة . وأحضره فأدخل إليه ، وقد طال شعره حتى سقط
على وجهه ، فقال له : ما تقول ويحك في بناء الجامع ؟ فقال له : أنا
أصوره للأمير حتى يراه عياناً . بلا عمود إلا عمودي القبلة . فأمر
بأن تحضر له الجلود^(١) فأحضرت ، وصوّره له فأعجب به واستحسنه .
فأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له النفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له :
أنفق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك . فوضع النصراني يده
في البناء في الموضع الذي هو فيه وهو جبل يشكر^(٢) فكان ينشر
منه ويسطح ويعمله جيّراً ويبني إلى أن فرغ من جميعه وبيّضه وخلّقه
وفرش فيه الحصر ، وعلق القناديل والسلاسل الطوال الغلاظ الحسان ،

(١) كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد

(٢) في حس المحاضرة : ان جبل يشكر هو الذي عليه جامع اس طولون ويقال انه قطعة من

الجبل المقدس وكان يشكر رجلاً صالحاً الخ

وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه الفقهاء والقراء . وتصدق في ذلك اليوم صدقات عظيمة فيه وعمل طعاماً واسعاً كبيراً ، وحمل إليه . فأطعم سائر من حضر ، وكان يوماً عظيماً نبيلاً جليلاً .

وراح أحمد بن طولون ونزل في الدار التي عملها فيه للإمامة ، وقد فرشت ، وعلّق فيها الستور ، وحمل إلى خزائنها الآلات والآواني التي يحتاج إليها ، وصناديق الشراب فيها من كل نوع من الأشربة وما شاكلها . فنزل فيها أحمد بن طولون ، وجدد طهره ، وأبدل ثيابه وتبخّر ، وخرج من بابها إلى المقصورة ، فركع وسجد شكراً لله على ما أعانه عليه من ذلك ويسرّه له . فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوارة ، وخرج إلى باب الريح . فصعد النصراني المنارة ووقف إلى جانب المِرْكَن النحاس ، وصاح بأحمد بن طولون : أيها الأمير عبدك يريد الجائزة ، ويسأل الأمان ألا يجري عليه مثل ما جرى في المرة الأولى . فقال له أحمد بن طولون : انزل ويلك يا كافر : فقال : وحتى رأس الأمير لا نزلت أو تؤمتني . فقال له : انزل فقد أمنك الله ولك الجائزة . فنزل وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وخلع عليه وأجرى عليه رزقاً واسعاً .

بعض أفعال ابن
طولون الجميلة

قال : ومن أفعاله الجميلة ما كان يحمله إلى طرسوس وغيرها من الشغور من المال العين والسلاح والكرّاع والثياب ما لم يحمله إليها أحد قط

ولم يغيره على أهل طرسوس شيء مما أنكره من فعلهم ، فيقتصر عن ذلك مجازاة لهم ، لأنه كان يقصد بفعله الله وحده جل اسمه .
ومن ذلك بناؤه حصن يافا لأنها لم يكن لها حصن ، ومات قبل الفراغ منه وأتمه بعده ابنه أبو الجبش ^(١) .

ومنها ما كان يحمله إلى الحرمين من المال العين والحنة [الشفوف] والثياب وكل ما يحتاج إليه أهلها ^(٢) .

ومنها نفقة أهل الستر والمتجملين وضعفاء النواحي ممن يلزم المساجد ، ويسأل عن النساء المستورات في منازلهن ومحالهن ، فيجريهن بحرى الرجال من معرفته ويفضلهن ^(٣) .

وحدث أبو جعفر المروزي قال : دعاني أحمد بن طولون يوماً ودفع إلي رقعة وقال لي : سل عن فيها فهم سجنه حبس القاضي ، وانظر الدارج الحال منهم المستقل ، وأثبت لي أسماءهم وأحوالهم وأسماء خصوصهم . قال : فضيت فسألت عنهم ، وأثبت أسماءهم وأحوالهم وخصوصهم ،

(١) وبني ميناء عكة لما رأى تفر صور واستدارة الحائط على مينائها فجمع صناع الكور وعرض عليهم ذلك . انشأه له أبو بكر البناء القدسي جد مؤلف كتاب أحسن التقاسيم من أجل كتب الجغرافيا عند العرب

(٢) روى المؤرخون أن الأمير أحمد كان يرسل في كل سنة إلى قراء بغداد مائة ألف دينار برسم الصدقات ويرسل إليهم في كل سنة بكسوة الشتاء والصيف مدة ولايته على مصر .

(٣) روى ابن طلحة الوزير في العقد الفريد لملك السعيد أن ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم ، وكان مطلقاً على أحمد س طولون عارفاً بأمره ، حالاً برودده وصدوره فقال ما معناه : أن أحمد كان يرسل من يطرح على الطرفات — أي اللقطات — ويقبض لهم الكوائل ، ويدر عليهم النفقات ، رغبة في الثواب ، وتقرباً إلى الله تعالى بهذه الأسباب .

وذكر الموجد منهم والمعدم ، وأحضرته العمل بذلك ، فأحضر وكيه
 ابن مفضل فقال له : اجتمع مع أبي جعفر المروزي حتى تنظر في أمر
 هؤلاء القوم ، وتحضروا خصومهم وترضوهم عنهم ، وتثبتا مبلغ ذلك
 وتعرفاني به ، فاجتمعنا وعرضناهم وأرضيناهم عنهم بمصالحة لواحد ، وأن
 يدفع إلى آخر ماله كله لتشدده أو لاختلال حاله أيضاً حتى فرغنا من
 جميعهم ، فكان مبلغ ما لزمه من ذلك عشرين ألف دينار ، وجئناه
 بالعمل فأطلق المال باستبشار وفرح وسرور وطيب نفس ، وحمد الله
 عز وجل ، وأمر بأن ينصرف جميع المحبسين إلى منازلهم ، فمضينا ودفعنا
 المال إلى أربابه ، فأكثروا له الدعاء والشكر ، وأطلقنا الجماعة من حبس
 القاضي ، وهم مبتهلون إلى الله جل اسمه بالدعاء له . فعندنا إليه فعرفناه
 ذلك فقال لنا : من أنا ، لولا توفيق الله عز وجل إياي ؟ وإنه جل اسمه
 ليلهمني أن أحنو على الضعيف ، وأسطو على العنيف ، وهكذا وصف
 الله عز وجل خُلصه " فقال : (أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ)
 فالحمد لله على ما من به علي من ذلك .

قال مؤلف هذا الكتاب : وللحجاج بن يوسف حكاية مثل هذه
 إلا أن الحجاج زكى نفسه ، وأحمد بن طولون استكان لربه .
 حدث الحسن بن القاسم الأنباري أن امرأة عارضة الحجاج بن
 يوسف فقالت له :

تَقَى اللهُ يَا حُجَّاجُ فِينَا فَإِنَّا بَقِيَّةُ شَوْلٍ^(١) غَابَ عَنْهَا فُحُولُهَا
وَالِاتِدَارِ كُنَّا ابْنَ يَوْسُفَ رَحْمَةً بِكَفِّكَ أُمْسَى صَعْبُهَا وَذَلُولُهَا
قُلْ لَهَا : مَا خَطْبُكَ ؟ فَقَالَتْ : غَرِبْتُ زَوْجِي مَعَ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ،
وَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ وَخَفْنَا بَعْدَهُ الضَّيْعَةَ وَالْعَارَ ، فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِ
أَبِي بَكْرَةَ بِإِقْفَالِ زَوْجِهَا وَكُلِّ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ، فَوَلَّتْ تَقُولُ :
شَكُونَا إِلَى الْحُجَّاجِ مَا قَدْ أَصَابَنَا فَكَانَ كَرِيماً عَالِماً بِالنَّوَائِبِ
بَصِيراً بِمَا يَأْتِي حَلِيماً عَنِ الْعَدَى غَيُوراً عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَنِ الْكَوَاعِبِ
فَقَالَ لَهَا الْحُجَّاجُ : صَدَقْتَ وَكَذَبْتَ ، أَنَا كَرِيمٌ عَالِمٌ بِالنَّوَائِبِ ،
بَصِيرٌ بِمَا يَأْتِي ، غَيُورٌ عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَنِ ، وَلَسْتُ بِحَلِيمٍ عَلَى الْعَدَى .
أَنَا كَمَا قَالَ حَمِيدُ الْأَرْقُطِ :

خُلِقْتُ تُكْلَلًا لِلْعَدُوِّ الْجَاهِدِ أَضْرِبْ مِنْهُ مَوْضِعَ الْقَلَائِدِ
بِالسَّيْفِ ضَرْبَ الْهِنْدِكِيِّ الْخَاقِدِ^(٢)

وَحَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُرُوزِيُّ قَالَ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ مِنْ حِفَظِ
الْقُرْآنِ ، [الْمُتَقِنِينَ] حَفِظَهُ وَمِنْ الدَّارِسِينَ الْحُذَّاقِ ، فَكَانَ يَجِبُ
حِفَظُ الْقُرْآنِ وَبِكَثْرَةِ [مُوَاصِلَتِهِمْ] بِصَلَاتِهِ ، وَيَطْرُقُهُمْ سِرّاً فِي
مَوَاضِعِهِمْ ، حَتَّى يَسْمَعَ قُرَاءَتَهُمْ ، فَيَتَبِينَ مَنْزِلَةً وَاحِدَةً وَاحِدَةً فِي حَفِظِهِ ،
وَيَصِلِي خَلْفَهُ إِمَّا الصَّبِيحَ وَإِمَّا الْعَتَمَةَ ، يَرِ كَبَّ حِمَاراً وَمَعَهُ غِلَامٌ وَاحِدٌ ،

عطف ابن
طولون على
حفظه الكتاب
العزير

(١) النَّائِلَةُ مِنَ الْأَيْلِ مَا أَتَى عَلَيْهَا مِنْ حَمَلٍ أَوْ وَضْعِهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَجَفَّ لَبْنُهَا وَاجْمَعَ شَوْلُ

(٢) الْهِنْدِكِيُّ : الْهِنْدِيُّ وَالْكَافُ زَائِدَةٌ يُقَالُ : سَيْفٌ هِنْدِكِيٌّ وَرَجُلٌ هِنْدِكِيٌّ

متسكراً لا يعلم به أحد ، ولا يعرفه من يراه ، حتى يصلي خلفه ، ويعود في السحر إن كان صباحاً أو بعد عتمة ، ولا يقطع برهم في كل وقت . فدعاني يوماً وقال لي : أتعرف إماماً يصلي بالإنشاد^(١) في موضع كذا وكذا ؟ فقلت له : نعم أنا أعرف المسجد ، وما أعرف الرجل ، فقال لي : إنه حسن الصوت جيد الحفظ ، فخدمك خمسين^(٢) ديناراً وامنض إليه ، فأني لا أشك أنه في ضيقة ، فصل خلفه ، فإذا فرغ وخلا ، فوانسه حتى ينسبط إليك ، والطف به حتى يأنس بك ، فإذا أنس فادفع هذه الدنانير إليه ، وسله عن دين إن كان عليه ، فإن ذكره لك فاقضه عنه ، وعرفني ما يكون منك في أمره فأني أراعيه .

قال أبو جعفر : فعجبت من تغلغله في معرفة هؤلاء القوم واحداً واحداً ، وهم في أطراف البلد ، وفي مواضع متفرقة لا يكاد يعرف أكثرها أهل البلد ، ثم علمت أن دينه ورغبته في الخير حملاً على ذلك ، مع توفيق الله عز وجل له ، ولن يوفق جل اسمه من عبده إلا برضاه إلا من يختاره ، وله عنده منزلة .

فبكرت في السحر إلى المسجد ، وصليت خلف الرجل ، فسمعت إماماً طيباً حسن الصوت . فلما فرغ من الصلاة وانصرف الناس جلست أحادثه ، فلم أزل أؤانسه وأذكر له أخبار الصالحين ، وما يصلح أن

(١) كذا في الأصل وابن الداية ولها النسخة

(٢) في ابن الداية : ثلاثين

أحدثه مثله ، حتى أنس وانبسط ، وسألني عن حديثي وعن حالي ، وقال : قد آتستني فأحب ألاّ تقطع مؤانستك ، فقد سررت بك . فسألته عن أحواله وعن تصرف الزمان به ، فشكا إضافة وقال : أغلظ ما حلّ بي أني وقفت في المحراب أمس أصلي ، فغلطت في قراءتي وما جرى عليّ هذا [قبلاً] فقلت : هذا يدل على شغل قلب وغم ، فقال لي : نعم منزلي خلف قبلة هذا المسجد ، فجئت إلى الصلاة وزوجتي تطلّتي ، فلما وقفت في المحراب سمعت صياحها من شدة الطلق ، ففكرت أنه ليس لها في البيت دقيق ولا خبز ولا زيت ، ولا معي شيء أنفقها عليها فغلطت . فقلت : موضع ياسيدي ، ما تلام على ذلك ، فأخرجت إليه الدنانير وقلت له : هذه الدنانير من جهة صالحة ترضاها ، نخذها وتفرج بها ، فتوقف عن أخذها فخلفت له أنها من جهة مرضية ، ليس عليه فيها نبعة ، فأخذها وحمد الله جل اسمه وأثنى عليه ، وانبسط وجهه بعدما كان كالنّاعس وأنا أحدثه ، وكأنه في موضع آخر مشغول القلب والفكر ، ثم سألته عن دين إن كان عليه فقال : نعم عليّ دين ، وكان أيضاً قلبي به متعلقاً لتأخيره عن أصحابه ، والساعة أبتدى بقضائه ، فقلت له : كم هو ؟ فقال : خمسة عشر ديناراً . ندفعها إليه وقلت له : اقضها ولا تثلم هذه الدنانير ، واتسع أنت وعيالك بها . فزاد في حمد الله عز وجل وشكرني ، وسألني من أي جهة هي ؟ فلم أذكرها له ، كما أمرني أحمد بن طولون .

وعدتُ إليه لأعرفه ما كان ، فما وصلت إليه يومي ، فلما كان من غد صرت إليه فخبّرتُه بما جرى بيننا ، فقال لي : صدق ، ولقد وقفت خلفه مراراً فما سمعت منه غلطاً إلا أول أمس ، فأني رددت عليه في ثلاثة مواضع ، وصليت اليوم خلفه فقرأ القراءة التي أعرفها منه . فحمدت الله جل اسمه على ما وفقني له في أمره . ثم أمرني بإثبات اسمه في دفتر الذي فيه أسماء المستورين والمستورات الذين يجري عليهم في كل شهر خمسة دنانير على كل رجل وامرأة ، وأجرى عليه مثلهم .

ومن ذلك ما حدث به سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً إلى الجيزة ، وكان رسمه إذا قُرب من الجسر أخلي له . فلما بلغ إليه أمر الناس بأن يسرعوا المجيء عليه وأعجلوا . فلم يبق عليه إلا شيخ ضعيف على حمار هنزبل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة . فلما أعجل الناس وهبَّ ليعجل معهم لم يكن له نهضة ولا حماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون بنظر إليه وإلى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنعهم من إزعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسأله في طريقك معه إليّ عن خبره ، وسبب دخوله إلى مصر ، فإن ذكر ظلامته فأسأله ممن يتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليه حتى عبر أحمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ،

حمار الجيزاوى
التظلم

وقد رددته معي ، فلخوفه انتقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ، على قدر سير حمارة ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ما ترك لي وكيل ابن دشومة بذات ^(١) الساحل شيئاً أرجع إليه ، وكنت مستوراً فتهتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجداً موسراً . فدخلت مستغيثاً إلى الأمير أيده الله . وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب ^(٢) في الحراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكلت بالشيخ ، ودخلت إليه في مضر به ، فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر إليه ابن دشومة من مصر إلى الجيزة ، ولم يصبر إلى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر فقال له : ويحك إن الضياع تُشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ، وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا بإصلاحهم ، طلعت الثمرة ونمت وزكت ، وإن لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها . فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية إلى هاهنا ، ولا تبرحاً حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحببه وتعرفني ، فأني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ،

(١) فيهم مما ذكره ابن مباتي أن ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي إلى شمال الفسطاط قرية من أم دينار (قاله الأستاذ نبيت في تعليقاته على خطط القرزي)
(٢) في ابن الدابة : أبي ذؤيب

ووجه بن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الغبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالعههم برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ إلى ابن دشومة خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، ويسكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، إلى أن ينصف فيعود إلى الفسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل إليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف ظلم ، وما عملت في أمره ، فكان ابن دشومة يعيد عليه أمره ، وهو يرعد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره . فلما فرغ من شرح ذلك قال له : يا شيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم أيها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرَّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحبيت ؟ قال : نعم أيها الأمير أحسن الله إليك كما أحسنت إليّ ، فقال : ماشاء الله فعل بك ، ذاك بمنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟^(١) قال : خمسون

(١) العماره بالكسر : ما يمر به المكان ، والعمارة ، بالضم : أجرها

ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا . قال : فكيف تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما أحب معماط (؟) وتقوية (٢) في كل سنة ولاتؤخذ منه التقوية ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالأصدقة وقال له : يا شيخ لولا أن حط العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحططتها . فدعا له ، فقال : ما فعله إلا ميرأيده الله في أمري فهو أكثر من الحطيطة ، وجميعه صدقة علي وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير عليك . وضعك أحمد بن طولون ، وانكسب الشيخ ليقبل الأرض فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر أن تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فإنه لا يؤثره إلا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل . فأنصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تم له من إزالة الظلم والمساحمة في العمارة ، والإفضال عليه ، وهبة الدنانير ، وممازحة أحمد بن طولون له في الحمار ، فرأيته في انصرافه يبكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون بنية خالصة ، وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومجمله ، ومنزلة وسطوة .

(١) التقوية : إعطاء البذار والحيوانات التي يقوى بها الفلاح على فلاحته وهي عامية مثل التقاوي

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي في غداة باردةٍ إلى
 المقس^(١) فأصاب بشاطئ النيل صياداً عليه خلق لا يواريه منه
 شيءٌ ، ومعه صبيٌ له في مثل حاله وقد ألقى شبكته في البحر ،
 فرآه مولاي فرقاً له وقال لي : يا نسيم ادفع إلى هذا الصياد ثلاثين^(٢)
 ديناراً ، فتأخرت حتى دفعتها إليه ، ولحقت به فلم يبعد حتى رجع ،
 فوجدنا الصياد ميتاً ملقى ، والصبي يبكي ويصيح ، فظن مولاي
 أن بعض سودانه قتله ، وأخذ الدنانير منه ، فوقف بنفسه عليه ، وسأل
 هذا الصبي عن أبيه فقال له : هذا الغلام - وأشار إليّ - دفع إلى
 أبي شيئاً ، فلم يزل يبوسه حتى وقع ميتاً .

فقال لي مولاي : فتشه ، فنزلت وفتشته ، فوجدت الدنانير معه
 بحالها . فحرضنا الصبي أن يأخذها فأبى وقال : هذه قتلت أبي وإن
 أخذتها قتلتنى . فأحضر مولاي قاضي المقس وشيوخه ، وأمرهم بأن
 يشتروا للصبي داراً بخسمائة دينار يكون لها غلّة^(٣) فاشتريت وحبست
 عليه ، وكتب اسمه في جملة من كان يجري عليه جرابته في كل
 شهر . وقال لي : يا نسيم نحن قتلناه ، الغنى يحتاج إلى تدبير ، وإلا قتل

(١) موضع كان على نيل مصر بين يدي القاهرة (التاج) وهو في موقع جامع أولاد عتار في القاهرة
 اليوم ولم تكن بولاق موجودة - قاله الأستاذ علي بهجت في تعليقه على قانون ديوان الرسائل
 لابن الصيرفي (٢) في ابن الداية : عشرين . وفي روضة المحبين لابن قيم الجوزية أن أحمد بن طولون
 مر بصياد في يوم بارد وعنده بئ له ، فرق عليهما وأمر غلامه أن يدفع إليه ما معه من الذهب
 فصبه في حجره ومضى فاشتد فرحه به فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح فتضى مكانه . . .

(٣) الفلة : الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض

صاحبه ، كان يحب أن يدفع إليه دينار بعد دينار ، حتى تحصل له هذه الدنانير ، ولا تدفع إليه جملة .

وحدث طاهر الكبير قال : كان لمولاي برج حمام هيتي^(١) فصعد إليه يوماً ، وجلس على كرسي بين يدي البرج يستعرضها ، فأخرجت إليه ما كان عندي من الفراخ ، فنظر إليها وسرّحها تدرج بين يديه ، وكان عددها ثمانية . ثم أمرني بردها فرددت سبعة ، وإذا بالثامن قد درج فصار خلفه ، فقال لي : قد بقي واحد . فقلت : هو حلف مولاي . فقال لي : خذه ، فمددت يدي إليه لأخذه ، فارتعدت هيبة له أن أمد يدي خلفه ، فتبين ذلك مني ، فقال لي : تنح ، فتنحيت فوضع خده على التراب ، في الموضع الذي كانت قدي عليه ، وبكى وأقبل يُمرّغ خديه ولحيته في التراب ، ويتضرع إلى الله جل اسمه ، ويسأله العفو عنه ، وإلهامه الشكر على نعمه عنده .

الحمام الهادي
وشكر ابن
طولون للنعمة

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي يوماً إلى الأهرام ، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ، وفي أيديهم مساح ومعاول ، فسألهم

البحث عن
الكنوز وتشدد
ابن طولون في
عيار الذهب

(١) كذا في الأصل ، وفي ابن الناية : الهادي . وفي المحض لابن سيده : ومنهن (أي من الحمام) الهادي . ألواح الهادي ومن اللائي يدربن ويرفن من مرحل إلى مرحل حتى يمتن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة وهي محفوظات أنسابهم وربما كان ما لم يعرفوا له نسباً يساويهم في الرجوع من البعد ولا يكون ذلك إلا بالتدريج والتوطئة من موضع إلى موضع الخ ما قال .

عماي يعملون، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب^(١) ، فقال لهم : لا تخرجوا بعد هذا الوقت إلا بمشور^(٢) ، ورجل من قبلي يكون معكم ، فقالوا له : سماعاً وطاعة للأمر ، أيده الله . فسألهم عمار^(٣) رفع إليهم من الصفات ، فذكروا له أن في سمت الأهرام^(٤) مطلباً قد عجزوا عنه ، لأنهم يحتاجون في إنارته إلى جمع كبير ، ونفقات واسعة ، فإن فيه مالاً عظيماً . فنظر مولاي إلى شيخ من أصحابه يعرف بالرافقي من أهل الثغر فضمه إليهم ، وتقدم إلى عامل معونة الجيزة في دفع جميع ما يحتاجون إليه من الرجال والنفقات . وانصرف مولاي فأقام القوم مدة يعملون حتى ظهرت لهم العلامات ، فوافانا الرافقي وأعلم مولاي بذلك ، وأن أمره قد قرُب ، فركب وسرنا معه حتى وقف على الموضع ، فلما رآه الناس جلدوا في الحفر ، فكشفوا عن حوض كبير عظيم مملوء دنانير ،

(١) الطالب واحدها مطلب ، كقوله كان المصريون يطلقونها على الكنوز ، وقال القرظي : أنها كانت مستعملة لهذا المعنى إلى عهد . والقوم المطالبية هم الباحثون عن الكنوز

(٢) في ابن الداية والقرظي : إلا بمشورتي

(٣) روي السيوطي في حسن المحاضرة أن أحمد بن طولون لما ملك مصر حفر على أبواب الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة مرجان مكتوباً عليها سطور باليوناني فأحضر من يعرف ذلك القلم فإذا هي آيات شعر فترجمت وما كان فيها :

ستتبع أفتالي وتبدو عجائبي	وفي ليلة في آخر الدهر تنجم
ثمان وتسع واثنتان وأربع	وسبعون من بعد المئين تقسم
ومن بعد هذا جزء تسعين برهة	وتلقي البرابي صخرها وتهدم
تدبر فتالي في صخور قطعها	سبقي وأفتي قبلها ثم تدم

فجمع أحمد بن طولون الحكماء وأمرهم بحساب هذه المدة فلم يقدروا على تحقيق ذلك فيش من قطعها .

وعليه غطاء مكتوب عليه بالبنظية^(١) ، فأحضروا من قرأه فكان :
 أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من شؤونه وغشه وأدناسه ،
 فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه ، فلينظر إلى فضل عيار ديناري
 على عيار ديناره ، فإن مخلص الذهب من الغش مخلص في محياه
 وبعد مماته . فقال مولاي : الحمد لله يا نسيم ، ما نهيتني عليه هذه الكتابة
 أحب إليّ من المال . ثم أمر لكل رجل كان يعمل فيه بمائة دينار
 ووفى الصناع أجرتهم ، ووهب لكل رجل منهم خمسة دنانير ، ودفع
 إلى الرافقي منه ثلاثمائة دينار ، وقال لي يا نسيم : خذ لنفسك منه ما شئت
 فقلت : ما يأمرني به مولاي . فقال لي : خذ منه ملّ كفيك جميعاً ،
 وخذ من غيره من بيت المال مثل ذلك مرتين ، فأني أشحّ على هذا ،
 فبسطت كفيّ فلأهما ، فحصل لي منه ألف دينار . وكان عيار الدينار
 منه أجود من عيار السندي بن شاهك ومن عيار المعتصم ، ولم يكن
 يرى أجود منها ، فتشدد مولاي من ذلك اليوم في العيار ، حتى لحق
 ديناره بالعيار المعروف به ، وهو الأحدي الذي لا يطلّ بأجود منه^(٢)

(١) اللغة التي يتكلم بها في بنظية وهي اليونانية . وفي خطط المتريزي البربطية بدل البنظية
 ويقول الاستاذية في تليقاته على المخطوط المصرية : ان الأقرب ان تقرأ باللغة البرابية لغة البرابي . والبرابي
 جمع بربا كلمة بظية وهي الهياكل لتدعاء المصريين قاله العلامة كرتكوفي تليقاته على كتاب الجاهز للبيروني
 (٢) ذكر المتريزي في رساله النقود الاسلامية هذه القصة وقال : ان الأمير ابا العباس احمد
 ابن طولون ضرب بصر دنانير عرفت بالاحدية وكان سبب ضربها هذه الحادثة التي وقعت له في
 الاهرام والشور على الذهب

قال : وأما صدقاته فكانت مشهورة متواترة على أهل الضعف والمسكنة والمستورين والمتجملين ، وكان راتبها في كل شهر ألفي دينار ، سوى ما يطرأ عليه من فذر ينذره ، أو شكر على تجديد نعمة الله عز وجل عنده ، أو على خبر يسره ، فيقابل ذلك بالصدقات الكبيرة ، فيزيد ذلك على راتبه زيادة عظيمة ، سوى مطابجه التي يقام بها في كل يوم للصدقات ، في داره وغير داره ، يذبح فيها البقر الكثير ، والكباش العداد ، ويطعم الناس ، ويفرق على كل من يأخذ في القدر الفخار مع الخبز على المساكين أربعة أرغفة مع كل قدر ، في رغيفين منها فالزوج . وكان من شهوته لذلك ، وصحة نبتة فيه ، ورغبته في الثواب عليه ، يعمل الطعام في داره ، وينادي من أحب أن يحضر طعام الأمير فليحضر ، وتفتح الأبواب ، ويدخل الناس إلى الميدان ، ويجلس هو في المجلس الذي ذكرنا مقدماً أنه كان يجلس فيه ، يشرف على من يدخل داره ويخرج منها ، وينظر إلى المساكين ، ويتأمل فرحهم مما يأكلون ، فيفرح بذلك ويحمد الله عليه .

فنظر يوماً إلى شيخ مستور ، وقد زل^(١) في خرقة معه زلة ، وزاد فيها حتى لم يكن في الخرقة موضع ، فلما قام لشدة الزحمة وقعت من يده لضعفه ، فغمز بعض الحجاب بعض الغلمان أن يأخذها ، تماجناً لا قصداً ، وترد عليه . وتأمل أحمد بن طولون ذلك فأغاظه ، فأمر

(١) زل الطعام : اخذه وتناول ، والزلة : اسم لما تحمله من مائدة صديق أو قريب

اطعام ابن طولون
وعطفه على شيخ
فقير

برّد الشيخ وإحضار الحاجب ، وقال له : ويحك ما الذي حملك على ما صنعت بهذا الشيخ الضعيف ؟ فقال : والله أيها الأمير ما أردت إلا مداعبته ، فقال له : والله العظيم لا نحمّلها له إلى منزله غيرك . وأمر فأصلح للشيخ مائدة عظيمة ، فيها من كل شيء حار وبارد وحلو ، وأحضره فقال له : يا شيخ كم سنّك ؟ قال : ثمانون سنة قال له : لك عيال ؟ قال : نعم خمس بنات عوانق وثلاثة غلمان ، وأمههم ومن يخدمنا ، ومن يقرب منا نواسيه بما أمكننا . فقال : فني أي شيء تتجر ؟ قال : في المثلث ^(١) . قال : وكم بضاعتك منه ، قال : عشرة دنانير . قال له : فلم لا تزوج بناتك ؟ فقال : لا يرغب فيهن إلا لشيء ، ومالنا شيء ، فأمر له بمائة دينار بضاعة له ، وأحضر معمر الجوهري فتقدم إليه بأن يُجهز بناته بما يصلح لهن من الجهاز والتجمل ويزوجهن ، ودفع إلى الذكور من ولده لكل واحد خمسين ديناراً ، وأثبت أسماء الجميع في دفتر الجرايات . فذكر معمر الجوهري أنه جهزهم بألف دينار ، فعرفه ذلك وسره ، وأطلق المال له ، وحمل الحاجب مع الشيخ تلك الزّالة بين يديه على سرجه ، حتى بلغ إلى منزله ، ووهب له عشرة دنانير تكريماً ورغبة في الثواب .

وحدث إبراهيم بن قراطغان ، وكان على صدقات أحمد بن طولون ،

قال : قلت للأمير : أيد الله الأمير إنا نتقف في المواضع التي جرت

ابن طولون يعطى
الصدقات لطالبا

(١) المثلث : شراب يطبخ حتى يذهب نكهته وله شيء أشبه بالمرببات أو القنود أي السكر

العادة بصدقة الأمير على من فيها من المستورين والمستورات فتخرج
إلينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو نظاريف والمعصم الرائع وفي
الاصبع الخاتم الذهب والسوار والفنك^(١) والفراء والثوب الرطبة (?)
فقال لي: يا هذا كل من مدّ يده إليك فأعطه، فهذي هي الطبقة المستورة
التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ
مِنَ التَّعَفُّفِ لَا يَسَاءَ لَوْنِ النَّاسِ الْخَافَاءِ) . فاحذر أن تردّ يداً امتدت
إليك ، وأعط كل من طلب منك

ابن طولون وأبناء
الميوثات

قال : ومن حسن أفعاله أنه بلغه عن علي بن طباطبّا أنه قد حبس
في مال بقي عليه من ضياعه وعجز عن أدائه . فقال : وكم مقداره ؟
فقال له : عشرون ألف دينار . فأمر صاحب الخراج بإسقاطها عنه ،
وكتب له بالعشرين ألف دينار براءة ، ووجه إليه ، فأحضره إليه
وعرفه بإسقاط ما عليه وصرفه إلى منزله ، فأكثر الدعاء والشكر . ولم يزل
وسائر أهله وجيرته يدعون له طول حياتهم

شفقته على أهل
مصر وبعده عن
أذاهم

قال : وأما إشفاقه على أهل مصر فكان يزيد على كل إشفاق ، حتى
إنه كان يجوز إشفاق والد على ولده . يحوطهم ، ويراعي أحوالهم ومصالحهم ،
ويدفع كل مكروه عنهم .

حدث سوار الخادم قال : قلت لولاي ليلة وقد بات في قبة الهواء

(١) الفنك بالتحريك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء . وشرها وأعد لها

خاليًا مفكرًا، وكانت ليلة قراء - وهذه القبة بُنيت للامون وقت موافاته
 البلد، ويقال: إن العلاء الطائي بناها على قرية من جبل المقطم، وكانت
 تشرف على داره وعلى جميع البلد - أيها الأمير قد مضى أكثر الليل،
 ومولاي منتصب، فلوأعطى نفسه حظها من الراحة كان ذلك أعود عليه.
 فقال: يا بني! إنا كلفنا من القيام بأمر هذه البلدة ما كافناه، فإن نحن
 أعطينا أنفسنا حظها من النوم والراحة، وأهملنا الفكر في تدبير
 أحوالها، والشغل بما يعود به صلاح أمورها، وصيانة أهلها، ليأمنوا في
 سربهم، ويسكنوا في قلوبهم ضاعوا، فأرى أن أتعب ويناموا، أصلح
 من أن أستريح ويخافوا فيسهروا. فأمسكت عنه.

قال: ولقد أصلح منجنيقات، لما كان في نفسه من المسير إلى
 حصن أنطاكية، فأراد امتحانها فنصبت في الموضع المعروف إلى
 اليوم بالمنجنيقات، على شاطئ البركة وفوق الجبل الذي يعرف بجبل
 يشكر وهو المعروف بالكباش. ولم يكن بين يديه إلى النيل شيء، وإنما
 كان جرفاً^(١) يشرف به على الكباش، فركب مولاي ليجرب بين
 يديه، فنصب في أحدهما حبال ووضع فيه حجر، ووقف الرجال على
 الحبال وجذبوها، فمرّ الحجر إلى البستان المعروف ببستان عرق الذي
 على خليج أمير المؤمنين، وإنما سمي هذا الخليج بأمر المؤمنين لأن عمر
 ابن الخطاب رحمه الله أمر عمرو بن العاص بحفر خليج يتصل من النيل

(١) الجرف بفتح الجيم وضم المكان الذي لا يأخذه السيل.

إلى القلزم ، وتحمل فيه الميرة إلى الحرمين ، فحفره وكان متصلاً بالقلزم فسمي بذلك ، لأن عمر رحمه الله أول من سمي بأمر المؤمنين^(١) ثم حذف منجنيقاً آخر أيضاً ، وزادوا في رجاله وحباله ، وجعل فيه حجراً ، وزادوا في جذبه ، فلما استوفوا جرّه انقطعت الكفة وطار في الهواء .

فلقد رأيت مولاي ولم يتكل على حاجب ولا غلام يتقدم ، وإنه يصبح بنفسه إلى الناس الذين ينظرون ، ويشير مع صياحه إليهم بكفه إلى الموضع الذي يقدر أن الكفة وقعت فيه بنجوة^(٢) بصياح شديد . كل هذا إشفاقاً منه على أهل البلد ورأفة بهم .

سكران القذته
فصاحته من بطنة
ابن طولون

وحدث نسيم قال : خرج مولاي ليلة إلى قبة الهواء ، فسمع في أطراف المعافر كلباً يذبح فرا به ذلك ، فقال للغلمان ، وهم قيام بين يديه : اركبوا الساعة وامضوا ركضاً نحو هذا الكلب فانظروا على أي شيء يصبح ، فإن وجدتم أحداً فجيئوني به . ففضى الغلمان نحو صوت الكلب حتى أدركوه ، فوجدوا رجلاً قد كان عند صديق له من جيرانه ، وقد انصرف من عنده يريد منزله ، فوجد بابه مغلقاً ، وهو قائم عليه يدق ، وقد منع أهله غلبة النوم عن أن

(١) روى السيوطي أن هذا الخليج احتقره عمرو بن العاص في سنة وجرت فيه السفن وأنه احتقره من حاشية الفسطاط وساقه من النيل إلى القلزم أي البحر الأحمر
(٢) النجا كالنجوة ما ارتقم من الأرض يقال انك من ذلك الأمر بنجوة إذا كنت بعيداً منه بريئاً سالماً

يسمعوا دقه . وكما دق الرجل نبح الكلب عليه ، فأخذوه ، وأردفه
أحدهم خلفه ، وأقبلوا به ركضاً . فلما رأى الرجل ما حلَّ به طار
النبيذ من رأسه ، وأقبل يستعين بالله . فلما أوقفوه بين يديه كاد
عقله يذهب ، حتى ثبتته الله عز وجل ، فعرفه الغلمان صورة الأمر ،
فقال له أحمد بن طولون : ما الذي حملك على الخروج في مثل هذا
الوقت ؟ فقال له : أنا أحدث عنه الأمير ، أيده الله : كنت عند
صديق لي من جيرتي ، وتماذى بنا الحديث إلى هذا الوقت ، وكنا
نستعمل الحذر والتحفظ ، قبل أيام الأمير ، أيده الله ، فلما ولينا
واشتدت وطأته على أهل الدعارة والفساد ، انقمعوا^(١) من هيئته
وخوفاً من سطوته ، فأمنّا لذلك وصرنا نخرج في مثل هذا الوقت
وقبله وبعده آمنين ببركة الأمير أيده الله . فاستحيا منه أحمد بن
طولون لحسن عبارته وبيان قوله ، وتوقف عما كان قد عزم عليه من
التأديب له في الخروج في مثل هذا الوقت . فقال له : قد كنا على
تأديبك على مخاطرتك بنفسك في مثل هذا الوقت ، فأزال ذلك عنا
جميل عذرك ، وحسن عبارتك عن نفسك ، وفصاحة لسانك ، وعلمنا
أن ذلك لا يكون إلا في عاقل ، وكفى بالعقل واعظاً . وقد جعلت
العوض من ذلك سرعة ردك إلى منزلك ، فلست أشك بأن أهلك
لما علموا بأخذنا لك قد قلقوا لذلك ، ثم قال لبعض الغلمان : أردفه

(١) قه : ضربه بالمقمة وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه والجمع مقام وقمة كقمة ضربه
بها وقهره وذله كقمة واتقمعوا ذلوا وقهروا

خلفك وردّه إلى منزله . وقام هو فأخذ مضجعه وقدمضى أكثر الليل .

وحدث نسيم الخادم قال : بينا نحن وقوف ليلة بين يدي مولاي ،
وقد طال سهره وفكره ، وكان إذا لحقه مثل هذا ، وطال وقوفنا بين
يديه يقول : تفرقوا واقعدوا ، لعلهم بما ينالنا من التعب ، ونُعانيه من
غلبة السهر والنوم ، فنغتئم هذا القول منه وننتفرق ، فنستلقي في
المواضع التي يبعد نظره عنها .

الجنون العاقل .
ابن طولون

فبينما نحن ليلة وقد نمنا ، إلا وبه قائم على رؤوسنا ولم نشعر به ، فقمنا
مبادرين ، فقال لنا : ما سمعتم هذا الصياح ؟ وتأملنا فإذا صوت عال
يقول : يا أحمد بن طولون يا أخا عاد . فقال للعلمان : اركبوا واطلبوا
صاحب هذا الصوت حيث كان ، حتى تجيئوني به الساعة . وكان
كلامه يحيي من ناحية الجبل من بين المقابر هناك . فمضى العلمان وأبطوا
ثم عادوا فقالوا : ما أبقينا موضعاً ، فما رأينا أحداً ، ولا عرفنا خبراً ،
وإذا بالصوت ثانية : يا أحمد بن طولون يا أخا نمود . فحرد فقال :
ويحكم اخرجوا فاطلبوه حيث كان ، فخرجوا كخرجتهم الأولى
وأبطوا وعادوا ، فقالوا : والله ما أبقينا موضعاً ، ولا تركنا مكاناً ،
حتى طلبناه فما وجدنا أحداً . فقال لهم : ارجعوا قليلاً قليلاً ، وأخفوا
سيركم ، واكنسوا بين المقابر ، فلا بد من الصياح المرة الثالثة ، فلقربكم
منه نثقون على موضعه فتأخذونه ، فمضوا وعملوا كما أمرهم ، فلم يشعروا
به إلا وقد خرج فتادى : يا أحمد بن طولون يا أخا فرعون . فلقربهم

منه عرفوا مكانه فقصده فوجدوه ، وقبضوا عليه ، فإذا به مجنون
كان في أيام أحمد بن طولون يكنى أبا نصر ، وكان إذا هاج خلط ، وإذا
سكن تكلم بكلام بليغ . فأتوه به وعرفوه أنه أبو نصر المجنون ،
فسكن غيظه وقال : يا أبا نصر ما حملك على أن خاطبتنا بمثل هذا
الخطاب ، وهتفت بنا في مثل هذا الوقت . فقال له : لأنك تعظمت
وتكبرت وتجبرت ونسيت خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه
ثم من مضغة ، ثم جعلت المضغة عظماً ثم كسيت لحمًا ، ثم سواك
رجلاً كاملاً . فبكى أحمد بن طولون بكاءً كثيراً . ثم قال له : ما أحسبك
يا أبا نصر إلا متنعماً ؟ علينا ؟ ومع هذا فأتوهمك جائعاً فتأكل شيئاً ؟
فقال له : ما تطعمني شيئاً ولا أنتفع بك . فقال له : ما تغشانا يا أبا نصر
ولا تأتينا ، فضحك وقال : حتى أجيتك ؟ لعن المعروف إن لم يكن
ابتداءً ، ثم قال :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عَوْضاً ولو نال الغنى بسؤال
فقال له : صدقت يا أبا نصر ، هاتوا له شيئاً يأكل ، فأتي له بطبق
فيه ألوان كثيرة ، وفضلة من جدي ودجاج وفراخ وفالودج ،
فأقبل يأكل من كل شيء ، وأمعن في الفالودج فثقلت معدته فنام ،
ووضع يده تحت رأسه ، وتمدد بين يدي أحمد بن طولون ، فذهب به
النوم وهو يتأمله ، حتى علم أنه قد استثقل في نومه ، فقام وقال :

(١) تطع في الكلام تَمَعَّقَ وظلّ وتأنق وفي عمله تحذق ، ولا بأس بأن يقال هنا مشتطاً
بدل متطعماً

دعوه لا تنبهوه ، ووكل به خادماً يراعي أمره ، وقال له : لا تنكره
على شيء يريده ، فإن طلب ماءً أو غيره فأعطه . فمضى أحمد بن
طولون فنام ، وانتبه قبل انتباه المجنون ، وقت ركوبه ، فسأل عنه
فخبر بنومه ، فركب على رصمه ووصى به ، وقال : إن أراد الانصراف
فلا يكلم ولا يخاطب ، ويترك يذهب كيف شاء . فلما انتبه قام مبادراً
نحو الباب فلم يكلم ، وخرج فمضى . فلما عاد أحمد بن طولون سأل عنه
فخبر بذهابه . فتصدق في ذلك اليوم بصدقات كثيرة . وكان
يتعاهده في كل وقت بالطعام والكسوة والبر .

وحدث نسيم الخادم قال : قلد مولاي الشرطة السفلانية قائداً من
قواده ، وقال له : ارفق بالرعية ، وانشر العدل عليهم ، واقض
حوائجهم ، وأظهر إكرامهم وصيانتهم ، وتفقد مصالحهم ، فأني أسير
بالليل في محالهم فكل موضع أمر به ، لا يخلو من قارى أو متجد أو داعٍ
أو ذاكر لله عز وجل ، فوفر علينا دعاءهم لنا ، واحرسنا من أن يكون
دعائهم علينا .

ويقول لمن يقلده الشرطة الفوقانية : تشدد عليهم وأرهبهم منك ،
ولا تأن لهم واغلظ عليهم ، فأني أسير في محالهم فما أمر به وضع
فأسمع فيه إلا غناء أو سكران أو معربداً ، قد أخرجته عربته إلى
الوثوب والكفر .

أمره لصاحب
شرطته بالشدة
واللين

وكان لا يقلد شرطة أسفل إلا الثقات من وجوه قواده . وأما تشدده على قواده وغلانته فمشهور .

حدث ابن قراطفان قال : وجه أحمد بن طولون بقائد من جملة قواده إلى بعض الأرباب في حمل مال ، وإصلاح حال ، فلما أقام القائد بالناحية التي نزلها وفرغ مما يحتاج إليه أقبل إليه بعض أقباط الضيعة ، فسعى إليه براهب في الضيعة لشيء كان يحقده عليه ، فأراد التشفيع منه ، والقبط لا يحسنون أكثر من سعاية بعضهم ببعض . قال له : إن هاهنا راهباً قد وجد كنزاً عظيماً مملوءاً مالاً . فحمل القائد الشره والطمع على أن أحضر الراهب فأرهبه وهدده وأخافه ، فأخذ منه خمسمائة دينار ، وانصرف القائد من الضيعة . فبلغ ذلك من الراهب مبلغاً كسفه وأتى عليه ، فجعل يبكي ليله ونهاره ، فرآه بعض من وافي الضيعة فسأل عن حاله فخبّره فرحه ، وقال له : ولم تبكي ، ولنا أمير عادل منصف ؟ ادخل إلى الفسطاط ، واكتب قصة ^(١) ، فإذا ركب أحمد بن طولون فادفعها إليه ، فإنه يأمر لما يقرأها بردّ مالك عليك ، وجسره على ذلك وسهله عليه .

عقاب قائد
اعتدى على
راهب قبطي

فشخص إلى الفسطاط وكتب قصته وأقبل بها إلى الميدان ، فوقف على بعض أبوابه ، يلتبس ركوب أحمد بن طولون ، فبصر به حاجب ذلك الباب ، فدعا به وسأله عن خبره فشرح له قصته ، وأنه

(١) القصة بكسر القاف وجمعها قصص : ما يكتبه المشتكي المتظلم إلى الأمير أو الملك ليرفع ظلامته وهو ما نطلق عليه اليوم الاستدعاء . وكان الأولى أن يقال الاستدعاء من استدعاء استغاثه واستنصره .

ينتظر ركوب الأمير ليوصل إليه قصته ، وكان الحاجب صديق القائد الذي يتظلم منه الراهب ، فقال له : بينك وبينه شيء غير هذا ؟ فقال : لا . قال : فأنا أدفع اليك الخمسمائة دينار فامض في حفظ الله ، والرجل صديق لي ، وأنا أسترجعها منه أو أتركها له ، وأصونه عن الواقعة به . ففرح الراهب وقال : ما أطلب ياسيدي غير هذا . فأحضر الحاجب خمسمائة دينار ودفعها إليه ، فأخذها ومضى وهو لا يصدق ، وجاء فخرج من ساعته وعاد إلى ضيعته .

فوقف بعض أصحاب الأخبار على ما جرى ، فكتب به إلى أحمد بن طولون ، فأحضر الحاجب فسأله عن الخبر فلم يمكنه ستره ، فأحضر القائد واعتقله ، وأنفذ الحاجب خلف الراهب إلى ضيعته حتى أحضره ، فلما حضر جمع بينه وبين القائد ، وسأله عن الحال كيف جرت ، فخبّره بما كان ، فقال له أحمد بن طولون : كان سبيلك ويلك أن تدعي عليه بثلاثة آلاف دينار ، حتى آخذها لك منه ، وأجعل ذلك تأديباً له ولغيره . ثم قال للحاجب : والله لولا أنها مكرمة سارعت إليها ، وجعلت فيه ، وقال الله عز من قائل : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) لعمرت بك المطبق ، ولكن احذر أن تعاود مثلها ، ولا تستبدن بأمر تأتبه دون أن تعرّفنا به ، ولا تطوّر عنا خبراً ولا سرّاً ولا قصة تُرفع . فقال له : أقلني أيها الأمير ، أقالك الله ، فوالله لا أعود إلى مثلها أبداً . قال : فانصرف إلى موضعه .

ثم أقبل على القائل فقال له : أفى رزقك نقصير عن مؤنتك ؟ قال : لا . قال فأخبر عنك استحقاقك تأخيراً يضطرك إلى ما أنتته ؟ قال : لا . قال : فبأي حال استحللت أن تأخذ من هذا البائس الضعيف ما تقطع به قلبه ، وتبكي عينه ، وتققره وأهله ؟ ألك حاجة أوجب ذلك عليك ، أو ضرورة دعتك إليه ؟ المطبق . فأخرج من بين يديه إلى المطبق على موضعه منه ، ومجله في نفسه ، فخرج وهو آيس من الحياة ، وأمر الراهب بالانصراف .

وحدث أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب قال : لما أطلقني أحمد ابن طولون أزماني دار الصناعة ^(١) ، فدعاني يوماً فقال لي : كل ما تعمل [لي من العدة] يكتفى فيه بالقليل ، مع [تقدم] هيبتي في صدور الناس إلا المراكب فإن البحر لا يهابني ، ولا يخاف سورتني ، وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة ، والجودة في الصنعة ، وتقديم الإحسان . فقدم الحزم في الاحتياط ، والاستزادة في الانفاق على المراكب لتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرة البحر .

عناية ابن طولون
بأسطوله

وحدث قال : دخلت أم عقبة الأعرابية يوماً إلى أحمد بن طولون ومعها ابنتها عقبة ، وكان كثيراً ما يأنس بها ، ويجب محادثتها الفصاحتها ، وحسن كلامها ، وكان يكثربرها في كل وقت ، فسألته التقدم في

أعرابية أبت أن
يكون ابنها
جاسوساً

(١) هي الدار التي تصنع فيها المراكب والسفن ، نقلت هذه النقلة إلى اللغات الأفرنجية بصيغة Arsenal ثم أعيدت الينا على الهد التركي باسم « ترسانة » .

تصريف^(١) ابنها فيما يعود عليه نفعه . فقال لابن مهاجر ، وهو بين يديه . انظر له في شغل يعود عليه فيه خير بين عليه ، وكان البريد إليه ، فقلده ابن مهاجر بريد ناحية من النواحي ، وأجرى عليه من الرزق عشرة دنانير في كل شهر ، فحدث ابن مهاجر قال : إني لقاعد بين يدي أحمد بن طولون بعد ثلاث ، حتى دخلت أم عقبة على الأمير فقالت : أنا شاكرة للأمير أيده الله ، ذامة لهذا الرجل ، تريدني ، فقال لها : ولم ذاك ؟ فقالت : أمرته في إشغال ولدي فيما يعود عليه نفعه ، فشغله فيما لا يرخص^(٢) عن رؤوسنا عاره وشناره ، والجوع الكريم أنفع من الشبع اللثيم ، فقال لها : وما ذاك ؟ قالت : وكله بالنميعة يحصيها على المسترسل ، ويهتك بها المستتر ، فقد تحاماه الناس وتناذروه^(٣) فإذا لم يكن غير هذا تركته ، ولم أتعرض لما فيه مقت الله عز وجل وسب

(١) صرّفه (بتشديد الراء) في أعماله وأموره فتصرف بها أي عينه فعل عملاً ووسده إليه (٢) قبل أيراد هذه القصة ورد في كتاب ابن الداية ما يأتي : وحدثني نسيم قال : قطلت عجوز أعراية تعرف بأمر عقيل إلى أحمد بن طولون من تسخير أجمال لها ، وكانت فصيحة اللسان ، حسنة البيان ، تتقدم برد أجمالها ، وأمر بعض الحجاب أن يلحقه بها إلى داره ، فوافقت فتقدم في إطلعها ، وأن يطلع عليها أبواب ضخم ، ودخلت مجلسه ، وهو مع خواص له يشرب ، فحدثته بما استحسنه ، وأنشدته ما استطابه ، وهي في ذلك حائرة من صفاء كأس بيده ورقة شراب فيه ، فأمر لها بكأس فأخضر ، فقالت : أيها الأمير هذا شراب ماخالط دمي قط ، قال : خذيه وشمي رائحته ، وانظري إلى لونه ، قالت : كل ما فيه يدعو إليه . فلما عزم عليها شربه ، ثم ضحكت بعده ضحكاً لا سبب له . فقالت : أيها الأمير ، وإن الرجل بالحضرة ليسقي نساءه من هذا الشراب ؟ قال : نعم . قالت : ذنبن ورب السكينة . فضحك وقال لها : ولم ؟ قالت : تحرك علي ، عز الله الأمير ، ساكن ما شكوته من ثلاثين سنة ، ولا والله لا عاوده أبداً . فكانت تتفقد أحمد بن طولون في كل وقت فيجزل عائلتها .

(٣) تناذروا القوم أن يذنب بعضهم بعضاً شراً مخوفاً وفي الأساس : تناذروا الدنو خوف منه بعضهم بعضاً

عباده . فضحك أحمد بن طولون ، وأمرني أن أجري العشرة دنانير في كل شهر ، وأُعفيه من البريد ففعلت ، فشكرت ودعت وقالت : هذا الأشبه بك أيها الأمير ، وانصرفت .

وحدث نسيم الخادم قال : ما خلت دار مولاي قط من كاتب خفي الشخص ، موثق عنده ، يعرف بكاتب السر ، يرتصد في سائر يومه مناظرته لمن ناظره ، فيكتب الابتداء والجواب في كل ما يجري ، فإذا انقضى يومه أذفد جميع ما يثبتته مع خاصة يثق به فيقرأ ذلك ويتدبره ، فإن كان فيه شيء يحتاج إلى مدار كته بتغيير أو زيادة تقدم في ذلك بما يمثّل .

تجسس ابن طولون على رجال قصره

وحدث نسيم الخادم أيضاً قال : كان لمولاي في مقرنس ^(١) سقف مجلس بين يديه ألف بدرة ^(٢) ، قدأ حكمت مواضعها ، واستوثقت منها

قصة الغراب سارق الذهب

(١) في الأصل : مقرنس ، وفي ابن الداية : في المقرنس مجلس : وسقف مقرنس عمل على هيئة السلم ويقول الأستاذ زكي محمد حسن في تعليقاته على كتاب الفنون الفرعية والتصوير والمهارة إن كلمة Stalactite تطلق على التحجر الذي ينشأ على شكل اعمدة نازلة غير منتظمة وذلك في بعض الكهوف بفعل الرشح الذي تنتجه مياه محملة بالاملاح الجيرية ويطلق هذا اللفظ على الأعمدة التي تصبح معلقة في سقف الكهوف وتطلق كلمة Stalagmite أو الاعمدة المساعدة على الاعمدة التي تلوم من الارض والمقرنس Stalactite في فن المهارة نوع من الزخارف يقلد بها ذلك التحجر الطبيعي ويتكون من أجسام صغيرة بارزة ومدلاة وأكثر ما يستعمل في وجهات المساجد واسقف القصور .

(٢) البدرة : كيس فيه ألف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار

بالخشب الغليظ ، والنخل الصلْب ، والعمل المحكم . وكانت بين يديه يراها ولا يراها غيره ممن يكون بين يديه ، إذا دخل وباب المجلس مفتوح ، ولم يكن يعلم بذلك ، فلا يراعيه غيره وغيري فقط . وكان قد أكد عليّ في مراعاته وجعلته اهتمامي . قال : وكان في الدار غراب شديد الأنس ، وكان مولاي يُعجّب بصياحه ، وما كان يمضي يوم إلا ومولاي يدخل ذلك المجلس يتأمل البدر ، فدخل يوماً فرأى بدرة مخلخلة ، فتقدم بانزالتها فأنزلت ، فأمرني بفتحها ووزنها ، فنقصت عما كان فيها أربعين ^(١) ديناراً . فقال لي : يا نسيم من تظن أنه أخذها ؟ فقلت : ما يدخل هذا المجلس غيرنا أنا ومولاي ، ولكني أراعي هذه الحال فقال لي : افعَل . وشغل ذلك قلبي . فبينما أنا أراعي يوماً إذ نظرت ذلك الغراب قد دخل البيت فنقر البدره من خياطتها فأخرج منها ديناراً واحداً ، فمضى به ، فشببت خلفه حتى أتى به إلى شق بين بلاطين فالتقاء فيه ، فدخلت إلى مولاي فخبرته بذلك فعجب منه ، وقام فأتى الموضع ، ودعا بالمبلطين فقلعوا تينك البلاطين ، فوجدنا الدنانير التي نقصت والدينار الآخر ، لم يذهب من ذلك شيء ، فضحك مولاي وقال لي : يا بُني ، لو كانت هذه الدنانير لمسكين أو متجمل ما وجدها ، ولكن يا بني المقبل محروس . وتصدق في ذلك اليوم صدقة كبيرة .

(١) كنا في ابن الداية وفي الأصل : فقضت عما كان فيها ثلاثون من وزنها اربعون ديناراً

وحدثت نعت أم ولد أحمد بن طولون قالت : كانت مولاي زوجة من بنات الموالي تزوجها بمصر ، وكنت من أحسن النساء وأجلهن وجهاً وخلقاً ، يقال لها أسماء ، قالت : فقلت له يوماً : يا مولاي ليست خلوتها معك على قدر محلها منك ، وما يقتضيه حسنها وجمالها ومحلها أيضاً . فقال لي : ويحك هي صغيرة الكف قصدة الخلق ، وأكره أن يكون هذا في ولدي منها ، فلماذا أتوقف عنها كثيراً .

عزوف ابن
طولون عن
أحدى زوجاته

وحدث أحمد بن القاسم أخو عبد الله بن القاسم كاتب العباس بن أحمد بن طولون قال : حدثني أخي عبد الله قال : بعث إليّ أحمد بن طولون بعد أن مضى من الليل نصفه ، فوافيته وأنا منه خائف مذعور ، فدخل الحاجب بين يديّ وأنا في أثره ، حتى أدخلني إلى بيت مظلم فقال لي : سلم على الأمير . فقلت : السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته . فقال لي من داخل البيت وهو في الظلام : عليك السلام . لأي شيء يصلح هذا البيت ؟ فقلت : للفكر . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنه ليس فيه شيء يشغل الطرف بالنظر فيه ، فقال لي : أحسنت بارك الله عليك ، امض إلى العباس فقل له : يقول لك الأمير اغدُ عليّ ، وامنعه من أن يأكل شيئاً من الطعام ، إلى أن يجيئني فياً كل معي ، واحذر ذلك فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أبده الله . وانصرفت ففعلت ما أمرني به ، ومنعته من أن يأكل شيئاً .

تأديب ابن
طولون لأبيه
العباس

وكان العباس قليل الصبر على الجوع ، فرام أن يأكل شيئاً يسيراً قبل ذهابه إلى أبيه ، فمنعته فركب إليه ، وكان يوم خميس ، فجلس بين يديه ، وأطال أحمد بن طولون عمداً ، حتى علم أن العباس قد اشتد جوعه ، فأحضرت المائدة ، ولم يُقدّم عليها إلا سُمّا^(١) زيرباجاً^(٢) فانهمك العباس في أكلها لشدة جوعه ، وامتدت يده إلى صغار ما كان من البوارد^(٣) على المائدة ، فشبع من ذلك الطعام ، وأبوه متوقف عن الانبساط في الأكل ، فلما علم بأنه قد امتلأ من ذلك الطعام ، أمرهم بنقل الطعام ، فأحضر كل لون طيب ، لا يخلو من أن يكون دجاجاً ثقيلاً وفراخاً مسمنة ، ثم لبن بالبطة السمينية والجدي الرضيع ، والخروف النادر ، وما شاكل ذلك [مما] يؤكل من جميع الحيوان مشوباً ، فانبسط أبوه في جميع ذلك فأكل ، وأقبل يضع بين يدي ابنه منه ، فلا يرى فيه حيلة لأكله وشبعه .

(١) كذا في ابن الداية ، وفي الاصل : سمان كردناج ، والسمان بالضم : من الطيور القواطع لا يدري من ابن يأتي للواحد وللجمع وقيل الواحدة سماناة والجمع سمانيات .

(٢) الزيرباج : مناء بالفارسية طبق من كمون . وكان يطلق في القرن الثالث عشر على طعام مؤلف من سكر ولوز وخل (قاله دوزي) وفي كتاب الطبخ ان صنعته ان يقطع اللحم السمين صغاراً ويحبل في القدر عليه غمرة ١٠ وقطع دارصيني وحسن مقشور وبسبر ملح فاذا اغلي تؤخذ رغوته ثم يطرح عليه رطل خل خم وربع رطل سكر واوقية لوز حلو مقشراً او مدقوقاً ناعماً يذاف تاء ورد وخل ثم يطرح على اللحم الخ

(٣) الوارد بقول وأبازير مبردة وفي كتاب الطبخ للبغدادى هي البقول المطبوخة الموضوعة في الاشياء الحامضة كالخل وما المحصرم والساق وماء التفاح والرياس والماس

فقال له : إني أردت تأديبك في يومك هذا بما امتحنتك به ، لا لتلق بهمتك على صغار الأمور ، بأن تسهل على نفسك تناول يسيرها ، فيمنعك ذلك من كبارها ، ولا تشتغل بما يقلُّ قدره ، فلا يكون فيك فضل لما يعظم قدره ، وهذا يا بني نظير تشاغلك بالسماني ، وهو من صغار الطير ، ولم نتوقف عما تعلم أنه يحضر مائدة أبيك ، مما هو أجل من السماني وأطيب وأمتع ، فلما حضر ، لم يكن فيك شيء منه فضل ، وقد تتبعته نفسك فما قدرت عليه .

وليس يتصل بي أذك أخذت من رجل على حاجة تقضيها له أقل من خمسمائة دينار ، لا يجد صاحبها مسأ معها ، ولا إجحافاً فيها ، إلا غضبت عليك ، وفلت كاتبك بغليظ العقوبة ، ولا تستدع البر على الحوائج ، ولكن أقمه مقام الهدية التي نفيدتها إذا جاءت عفواً ، واحذر أن تقتضيها إن تأخرت عنك ، وكافئ على الهدية بأحسن منها ، فإن أعظم الفقر فقرك إلى رعييتك ، وقد جعلت بما عملته معك اليوم تأديباً ومعاقبة وتنبيهاً لك على مافيه رشذك ، وفقك الله وسددك ، ولا ساء في فيك . فقبل يده ، وقبل منه ، وامتثل أمره .

وحدث هارون بن مملوك قال : وقف بعض من ينتحل التصوف

من المصريين لأحمد بن طولون ، وقد انصرف يوماً من صلاة

عقوبة منتحل
التصوف على
فجته

الجمعة ، فقال له : أيها الأمير على رِسْلِكَ ، فوقف . فقال له : اتق الله الذي إليه معادك وراقبه ، فقد أرعبت الناس وأخفتهم خوفاً قد منعهم من صدقك عن كل ما يجري مما يكرهه الله عز وجل ولا يرضاه ، وأنا لسان جماعتهم إليك . فأمر بالقبض عليه ، فلما نزل أحضر إليه شيوخ البلد ووجوهه ، وكان الناس إذ ذاك متوافرين . فلما اجتمعوا وافى صاحب خبر السر الذي يكتب كل ما يجري ، فدفن إليه رقعة فيما خاطبه به الصوفي ، فأمر كاتبه أحمد بن أمين بقراءتها على الشيوخ فقرأها عليهم ، وسألهم عما أنكروه من أمره حتى بعثهم إلى إيفاد الصوفي إليه ، فحلفوا له بالله عز وجل وبالطلاق والصدقة أنهم ما بعثوا إليه أحداً ، ولا أنكروا له فعلاً . فأحضر الصوفي وقال له : زعمت أن أهل البلد نصبوك للقول فيما أنكروه . فقال له : نصبني لهذا المظلوم والمقهور من لحقه جور أصحابك . فقال له : لست أعجل عليك ، أخبرني ما الذي انضح عندك حتى دعاك إلي . فقال : بعض أصحابك منذ ثلاثة أيام أنا أنلطف وأبحث عما قد راىني منه ، حتى وقفت على أن امرأة طبالة لاسبيل له عليها ، تدخل إليه وتبيت عنده كل ليلة ، واشترى رجل من أصحابك أيضاً غلاماً أمر دفنصب له طرة وقرطقه " بأشياء لا يسمع بها إلا قلب فاسق .

فقال له أحمد بن طولون : أنت الآن في العاجل قد دلتنا على عورتك ، وأعلمتنا أن التجسس المنهي عنه ، والظن السيء المكروه استعماله ، وقد نهى عنه أيضاً ، من شيمتك ، والله عز وجل ستر على عباده لا يهتك بما التمسته ، فأنا أرى أنك إلى التأديب أخرج منك إلى التأنيب . ولعل دخائلك الردية أوضح من دخائل من فسقته ورميته بما لا يجوز في الدين أن يُقطع مثله على مسلم في الحكم .

قال هارون بن مملوك : فقال رجل ممن حضر : أيد الله الأمير هذا الرجل أعرفه وقلبي يكرهه لأن قصده أن يترأس لدنيا يصيبها بالكذب على الناس ، وأنا أشهد وجماعة من حضر أن مسكنه الذي ينزله غصب ، وأن طعمته ^(١) إخافة المستورين . فقال جميع من حضر من الشيوخ : صدق أيد الله الأمير . فأمر به فضرب مائة سوط وطيف به البلد على جمل ، ونودي عليه بما قيل فيه ، وحبس في المطبق ^(٢) .

(١) الطعمة بضم الطاء : وجه المكسب

(٢) روى ابن طلحة الوزير في العقد الفريد له قال : ولقد بلني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية ويحس عند ذوي المعرفة والتوفيق وتها ، وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية ، نازح الحكم فيها ، مهياً مخزناً ، يقوم بسياسة ذلك ، ويملي كلمة العدل ، وتأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجيروت المفرط ، والقتل المسرف ، وكان يجلس للعظام ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجماعة من النجباء وأهل الدلم مثل الريم بن سليمان صاحب الامام الشافعي . وكان ابن طولون إذا جلس للعظام يكرس المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ، ويكشف غلامته ، ويجلسه بين يديه مقرباً إليه ، قال أحمد بن محمد بن سلامة —

وحدث أحمد بن أيمن قال : كان لأحمد بن طولون ساعٍ يسمى بالكتّاب والمعاملين إليه ، وكان من أبناء قبط مصر يعرف بأبي الذؤيب ، حسن الموضع منه ، وكان قد أجرى عليه وأحسن إليه بنصحه له ، وكان ربما أكل معه ، وربما جلس يناديه بين يديه . قال : فاجتمعنا يوماً عند أحمد بن طولون ، فقال أحمد بن طولون لكثير المغني : أنا أشتهي صوتاً ما سمعته منذ خرجت من سر من رأى فقال له : وما هو أيها الأمير ؟ فقال :

ألا سقيتم بني حزمٍ أسيركمُ نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادرٍ
فقال له : ما أعرفه يا سيدي ، وما استهواني من تقريب أحمد بن طولون لي ، وإيناسه لي [دعاني] إلى أن قلت : أنا أحسنه ، ففرح بذلك فاندفعت ، لما تبينته من سروره ، أغنيه إياه . وكان أحمد بن أيمن

— الطحاوي الفقيه : اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدي سلامة فاحتجت إلى الدخول إليه والنظم مما يجري لي ، وأنا يومئذ شاب إلا أن العلم والمعرفة بالمحاضرين بسطي على الكلام والتسكن من الحجة فخطبته في أمر الضيعة فاحتج عليّ بحجج كثيرة وأجبت عنها بما لزمه الرجوع إليه ، ثم ناظرني مناظرة المحصوم بغير انتهار ولا سطوة عليّ ، وأنا أجيبه وأحل حجته إلى أن وقف ولم يبق له حجة ، فأمسك عني ساعة ثم قال لي : إلى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك ، والحجة قد ظهرت لك ، ولكن أجلبنا ثلاثة أيام ، فإن ظهرت لي حجة ، وإلا سلمت الضيعة إليك . فقامت منصراً ، فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي المحاضرين : ما أفجع ما أشهدتكم على نفسي ، أقول لرحل من رعبتي ظهرت لك حجة أجلبني ثلاثة أيام إلى أن أطلب حجة ، وأبطل الحكم الذي قد أوجبه من بيتي إذا وجبت لي حجة أن أحضره وألزمه إياها ، هذا والله الفصل وأتم رسلني إليه ما أتيت به من حجة وأزلت الاعتراض عن الضيعة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يقدر أمة لا يؤخذ الحق لضيعتها من قوتها ، وتقدم بالكتّاب له وعرف الطحاوي الحال من المحاضرين ، فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة ، وصارت هذه تتلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل وإفائته ميران القسط اهـ .

المتبسط مع ابن
طولون وذهاب
نعمته

هذا حسن الصوت ، فطرب أحمد بن طولون طرباً شديداً ، حتى صفق يديه . قال أحمد : فحملني سخف الطرب لما رأيته من سرور الأمير ، إلى أن قتت فرقصت على إيقاع اللحن ، فزاد سرور أحمد بن طولون بذلك ، وغمزني على أبي النؤيب الساعي أن أسقط عليه ، فتزألت^(١) على البساط وألقيت نفسي عليه ، فأظهر أنه أَلِمَ لذلك ، فأخذ يبكي كما يبكي الصبي ، لعاميته وسوء أدبه . فصاح عليه أحمد بن طولون ، فقال له : لم يوجعني ما وقع علي ، أريد الله الأمير ، من جسمه ، وعظم جثته ، وإنما آتاني ما على ظهره من البدر التي اختانها وحصلها من مال الأمير أيده الله . فقال له أحمد بن طولون : أمسك ، وارفع هذا إلى الصحو ، ولا تخلط الجدة بالهزل . فتبينت غلطي بفرط الانبساط ، فما مضت إلا مديدة حتى قبض علي أحمد ابن طولون ، وحبسني وأخذ جميع ما كان لي ، وما خرجت من حبسه إلا بعد وفاته ، أطلقني ابنه أبو الجبش .

وحدث العجيني^(٢) وكان يتولى شرطة أسفل ، أن رجلاً من التجار ، يعرف بالستر والسلامة ، ابتاع خادماً مما أبيع من تركة وكيل أحمد بن طولون الذي قبض عليه ، المعروف بابن مفضل ، بمائتي دينار ، وأنه أخذ جوازاً وخرج بالغلام إلى الشام ، يؤمل في بيعه هناك رجلاً ، فلما بلغ العريش ، وكان بها وال يعرف بحبيب المعري قد نصبه أحمد

تاجر آخر أن
يموت في السجن
مع معاملته

(١) أظهرت اني زلت اي زلت قديمي . (٢) في ابن الداية : يعقوب بن صالح صاحب العجيني

ابن طولون ليتأمل ما يرد من الكتب ونفيس الأمتعة إلى الفسطاط،
 ققرأ الجواز وقال : قد كان يجب أن يحكى في هذا الجواز حلية هذا
 الخادم ، فقال الرجل . أنا اشتريته من الواسطي فقال : لست أطلقه إلا
 بعد الاستئثار^(١) فيه . فكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، فكتب إليه
 يأمره بإشخاصه إليه ، فأشخص التاجر والغلام . فلما وافى وأدخل مع
 الغلام إليه ، قال له : من أين لك هذا الخادم قال : ابتعته من الواسطي
 كاتبك مما باعه من تركة ابن مفضل . فقال له : أين كنت عازماً به ؟
 قال : أستقري به البلدان حتى أجد فيه ما أوئله من الربح ، فقال :
 اكتبوا له جوازاً وحلّوا فيه الخادم ، وأطلقوا سبيله . فقال : أيها الأمير
 فعلى من نفقتي في مجيئي ورجوعي بغير ذنب ولا جناية وجبت عليّ
 حتى أشخصت ؟ فقد علم الله جل اسمه ما داخل قلبي من ذلك من الغم
 والجزع ، وأنكلف نفقة ثانية ؟ فقال له أحمد بن طولون : لا ، ما نكلفك
 نفقة ، كم كانت نفقتك في خروجك ورجوعك ؟ قال : عشرة دنانير ،
 فأمر بدفعها إليه ، وتحقق بذلك منه أنه من أهل السلامة ، فخرج
 ولم يدع له ، فكتب صاحب الخزانة بما سمعه تكلم لا لحقه من
 التعب والمشقة في دخوله ورجوعه بما أنكره أحمد بن طولون ، فأمر به
 إلى المطبق ، فلما دخله وجد فيه جماعة من عرماثة الكتاب والنقاد
 الذين كان قد أيس أن يرى أحداً منهم أبداً ، فسرى بهم وسري^(٢) عنه بنظره

(١) الانتثار : المتابعة كالمؤامرة والاستئثار والتأثر .

(٢) سرت عنى الهم وسرتى عنى وانسرى عنى : انكشف

إليهم ، وسرُّوا أيضاً هم به ، وأنس بهم وأنسوا به ، وقضوه جملة كبيرة مما كان له عليهم ، واستأنف معاملة ثانية لهم ، وباع رجلاً منهم الخادم برمج جيد ، فوجه به إلى من باعه له بدون ذلك لحاجته إلى الثمن ، وأسلف قومًا من المحبسين دنانير كثيرة ، وابتاع في المطبق رحالات^(١) أبيعت يستغلها ، وأقام مع غرمائه مقام مستوطن طيب النفس ، حامد لله عز وجل على ما قضاه عليه . فذكره أحمد بن طولون يوماً بعد سنة وشهور ، فأمر بإطلاقه .

فحدث يعقوب غلام العجيني قال : دخلت إلى الرجل وأنا مسرور بإطلاقه فبشرته بذلك ، وقلت له : قم انصرف في حفظ الله ، فقد أمر الأمير بإطلاقك . فقال لي : وكيف أخرج من موضع أكثر مالي فيه ، بل جميع ملكي ؟ ومع هذا في فيه مستغل وأسلاف على جماعة وديون ، فزبرته وأنكرت قوله ، فصاح وبكى ، وأقبلنا نجاذه على الخروج ، وهو يجاذبنا على المقام . فرفع خبره إلى أحمد بن طولون فعجب منه وأمر بإحضاره وقال له : ويحك تختار المقام في المطبق على إطلاق السِّرب^(٢) . فقال له : أيها الأمير لا صار جميع ملكي في حبسك ، وحصل لي فيه معاملون ، اخترت ذلك ، فإن كان لا بدَّ من إخراجي فاتركني حتى أستنظف مالي وأبيع مُستغلي ، فقال له : وكم تحب أن نقيم كذلك ؟ قال : ثلاثة

(١) الرحال : الطنافس الحيرية ، والرحل ما تستعجه من الأثاث وكلاهما يصلحها

(٢) بكسر السين : النفس

أشهر . فقال له : ويحك أبحنون أنت ؟ فقال : لا والله إلا صحيح بحمد الله ، ولكن ما تسمح نفسي بترك مالي فيه ، مع ما اتفق لي من المعاش مع من فيه ، فقال له : فما تشفق على نفسك من شدة الحر فيه ، والازدحام والضيق . فقال له : أيها الأمير ، القيسارية إذا ازدحم الناس فيها كانت أشد حرًا منه ، ويهون ذلك لكثرة الفائدة ولذة الربح ، لا سيما ومعالي فيه ثقات ، وأحسن معاملة من التجار ، وأكرم وأوسع صدرًا ، وإنه لتسووفي مفارقتهم . فأمر أحمد بن طولون برده إلى المطبق ، فلم يزل فيه حتى مات . فكان أمره من العجائب .

قال : ووقف رجل ليوسف بن إبراهيم يوماً على باب داره حتى أقبل من الميدان ، فلما همّ بالنزول صاح به : أنا عائذ بالله وبك ، ومستجير من رجل في حاشيتك قريب من قلبك ، أثير^(١) عندك ؟ فقال له : ومن هو ؟ قال : أذكره لك في سرّ ، وأنهى إليك من خبره ما لا يسعك له الصبر عليه . فأدخله معه الدار وخلا به ، ففتح كفه فأراه كتاباً من موسى بن بُغا إليه ، وقال له : بعث بي إليك قاصداً وحدك بهذا الكتاب ، فصاح به يوسف بن إبراهيم ليسمع من حضره : يا هذا ! إن جميع ما ادعيت به ، وذكرت أنه ظلمك فيه مائة دينار ، ونحن نعطيك إياها ، ونزبل ظلامتك وأمر فأحضرت

مهارة يوسف بن
إبراهيم في
التخلص من ابن
طولون

(١) قال : فلان أثيري أي من خلصاني .

الدنانير فدفعها إليه وقال له : امض في حفظ الله ، فلم يبق بينك وبينه شيء بعد هذه المائة الدينار من المطالبات ، وأعفنا من تظلمك وتكثرك . فأخذ الرجل المائة الدينار وخرج ، ولم يأخذ منه يوسف ابن إبراهيم الكتاب ، توقياً وخوفاً ، ورغبة في السلامة .
فأحضر أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم فقال له : ما الذي كان في كتاب موسى بن بُغا إليك ؟ فقال له : والله ما قرأت كتاباً قط ، والذي يجب عليّ من حق طاعتك فقد عملته . فقال له : فلم لم تقبض على الرجل وتجنّني به فقال له : لم يستكفني الأمير ، أيده الله ، هذا فأكفيه وأمثل أمره فيه ، ومن أتى شيئاً من غير أن يندب إليه فساعٍ يتوقع من شره أكثر مما يطلب من خيره ، فاعتقله أياماً ثم صرفه إلى داره مكرماً .

وحدث نسيم الخادم قال : أهدى علي بن ماجور إلى أحمد بن طولون ثلاثة خدام كانوا لأبيه ، فأما أحدهم فما خلا من طرفه في وقت من الأوقات ، من شدة ملازمته لخدمته . فقال له يوماً : أيُّ البلدان أحب إليك أن تكون فيه ؟ فقال له : بلد فيه مولاي الأمير . فقال له : ويحك في داري ثلاثمائة خادم وقد تقدمت عليهم تقدماً قصراً بجماعتهم في عيني ، فأنا أخاف عليك أن تحدث بك حادثة منهم فأغتم بك ولا يمكنني أن استدرك أمرك ، فاختر

الخدام الثلاثة
الأذكاء

لنفسك بلداً تكون فيه آمن عليك من حال تلحقك ، فقال له : إذا كان الأمر على ما ذكره مولاي الأمير ، فطرسوس . فوصله بجملة دنانير كثيرة وأمر له بخيل وبغال وآلة كثيرة ، وأجرى له رزقاً واسعاً وأنفذه إليها

وأما الثاني فكان من أحسن الناس وجهاً وخلقاً ، فرآه يوماً في خلعة رائعة حسنة ، وقد زاد حسنه وجماله فيها ، فقال له وهو خال : لو لحقتني في شرح شبابي لما أفلت مني ، فقال له : لو كان مولاي الأمير يستأهلني لما أفلت منه . فضحك وقال : يا نسيم ابعث بهذا الخادم إلى محمد ابن أخي ، فأني لا أرغب في هزله ، فهو يفسده أمر قريب يومه . وكان محمد هذا ابن أخيه موسى ، غفيف الفرج ، ولما بعث به إليه ورآه حسناً بَصْاً^(١) وهبه للسيدة بنت أحمد بن طولون زوجته ، وكان يخدمها جميعاً .

وأما الثالث فإنه سَلَّمَ إليه رجلاً آثر الراحة منه وقال له : إن هذا عدوي وعدوكم ، وقدّر عليه أنه سيقتله ، ثم سأله عنه بعد أيام ، فقال له : هو محبوس . فقال له : لو كنت تحبني لقتلته . فقال له : يا مولاي لو كنت لك وحدك لقتله ، ولكني لك ولخالتي وخالقك وما أقدر أن أرضيك بسخطه ، لأنه أقدر عليّ منك . فنفاه إلى أذنة ولم يقطع رزقه عنه .

(١) البص: الرّحمن الجسد الرقيق الجلد المتليّ

وحدث سيم أيضاً قال : كان أصحاب الأخبار يرفعون إلى مولاي رقاعاً في أقوام تكون سبباً لاصطفائهم وقتلهم ، وكنت حرباً لأصحاب الأخبار باغضاً لهم ، وكنت إذا لقيت الرجل منهم لعنته في وجهه حمراً . وكان مولاي إذا رُفعت إليه رقعة حفظ معها ، وأمر بقتل صاحبها ، ودفعها إليّ وأمرني بتحريقها ، ولم يبق بغيري في ذلك .

قول ابن
طولون
الجانسية صناعة
ردية

فسمى أصحاب الأخبار في إفساد حالي عنده ، فكانوا إذا رفعوا إليه واحدة وعلموا أي قد حرقها ، رُفعت أخرى إلى مولاي وقالوا له : كيف بقيت هذه الرقعة لم تُحرق ؟ فيوهموه أنني قد أغفلت أمرها ، أو أخذتها لأعلم ما فيها ومن رُفعت فيه ، فأعلمني مولاي بذلك ، فحلفت له عليه أنني ما أغفلت قط تحريق رقعة دفعها إليّ ، ولكن هؤلاء القوم لما علموا ببغضي لهم ، احتالوا في إسقاط منزلتي من مولاي ، فقال لي : صدقت ، قد علمت ذلك ، وأنها حيلة منهم عليك في الرقاع التي آمرك بتحريقها ، لأن لي فيها علامة وهي إدخال سبابة يميني حتى بتحيف فيها اسم أعرفه من الرقاع التي بعيدونها إليّ سليمة من علامتي . وهذه يا بني صناعة رديئة ليس يصلح لها غير الشرار ومن ليس فيه خير .

وحدث^(١) سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً ، فبينما هو

كشف ابن
طولون جاسوساً
من تكته

(١) تقدمت هذه القصة في أول الكتاب باختلاف يسير في اللفظ وفي بعض الرواة

سائر فاذا هو برقاص يعمل في دار فقال : اقبضوا عليه وامضوا به إلى الدار ، فقبض عليه ومضي به إلى الميدان^(١) .

فبقي جماعة أصحاب أحمد بن طولون في حيرة من ذلك ، لا يدرون على ما ينزلون أمر الرقاص . ولما عاد إلى داره أحضره وأحضر السياط والعقابين فاعترف أنه جاسوس للدوق ، وأنه أنفذ معه كتباً إلى جماعة من القواد ، قد أوصل بعضها وبقي بعضها ، وأنه عمل رقاصاً ليخفي أمره ، ويختلط بالناس ، ويسمع منهم الأخبار ، ويسأل عما يحتاج إليه ، فوكل به حتى مضى ، وأحضره ما بقي من الكتب ، فقبض على الجميع وأتى عليهم ، وأطلق الجاسوس وقال له : عدّ إليه وعرفه أنا قد وقفنا ، والحمد لله ، على ما عمله ، ولم يضرنّا الله جل اسمه به ، بل كشف لنا عن نيات أعدائنا ، فاستأصلنا شأفتهم ، بما مكنتنا الله عز وجل به فيهم . ووكل به حتى خرج من العريش .

فقال له طبارجي : أيها الأمير كيف علمت بهذا الرقاص ؟ فقال له : يا هذا إني لمحت تكته وهو يحمل قصريّة الطين على كتفه [فرأيتهما تكة] أرمني فقلت : رقاص بتكة أرمني لا يكون ، فعلمت أنه جاسوس ، فكان من أمره ما قد رأيتم .

(١) في الأصل : الدار ، وقد تكررت

المراط ابن طولون
في اهلاك من
نالوا منه

وحدث أحمد بن محمد الكاتب ، وكان من عقلاء الناس وفهائمهم ،
وكان فيه دين وخير كثير ، [قال] : أتاني رسول أحمد بن طولون ،
و [قد] مضى من الليل أكثره ، وأنا نائم في فراشي ، ففرع باي قرعاً
عنيفاً ، فأشرفت عليهم عيالي ، فإذا جماعة من العلماء بالشمع والمشاعل ،
فراهم ذلك وعرفوني فأشرفت عليهم ، فعلمت أنه لم يستدع حضوري
في ذلك الوقت لحير ، فأيست من الحياة ، فدخلت المستراح وتطهرت ،
وتطيبت طيب من يفارق الدنيا ، ولبست ثياباً نظافاً ، وقلت :
تكون [مشيئة الله] وودعت أهلي ، وقد كثر بكائهم وضجيجهم ،
ونزلت إليهم فركبت معهم ، فمضوا بي حتى دخلت إلى أحمد
ابن طولون .

فرأيت قاعة الدار كلها شمعاً ينتقد ، حتى خلت أنه نهار ،
وسرت فيها حتى بلغت المجلس الذي هو فيه ، وبين يديه شمعتان
عظيمنتان ، في كل واحدة منهما قنطار ، وهما بعيدتان منه ، فسلمت
وأنا أرعد خوفاً ، فرد علي السلام ، فسكن بذلك بعض روعي ،
واستدنا في فدنوت . فقال لي : أنت غداً في دعوة فلان ، ومعك
في الدعوة فلان وفلان ، إلى أن أسمى لي جميع من كان وقع
الاتفاق على حضوره ، فقلت : نعم أيد الله الأمير ، فقال لي :
امض واحذر أن يفوتك شيء مما يجري حتى نبيته وتنصرف به
إلي تعرفنيه . فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أيد الله . فقال

لي : انصرف راشداً ، فانصرفت ، وقد حرت في أمري فقلت :
أبعد هذه السن أركب الآثام ، وما نقبح به الأحداث ، أسعى
بقوم بيني وبينهم مودة وعشرة وأخوة ، وأكون السبب في
قتلهم وإتلاف نعمهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وتأملت الحال فإذا بي إن خالفت أمره قتلني ، وأيئمت ولدي
وأرملت زوجتي . فعملت على تجنب ذلك ، ويعلم الله جل اسمه
كرهي له ، وأني غير مختار لما لا أؤثره ، وأني صابر على ضيق
الحال طلباً للصيانة ، وتجنباً للدخول فيما فيه المأثم ، ثم فكرت في
وقوفه على الدعوة وعلى حالها ، ومعرفة من يحضرها ، فزاد خوفي
منه وحذري ، وحيرتي في أمري ، وعدت إلى منزلي ، وقد يشسوا
مني ، فلما رأوني تباشروا بي ، وحمدوا الله عز وجل على ذلك ،
ورأوني قد رجعت إليهم من الآخرة ، وأنه جل اسمه قد تصدق
بي عليهم ، ووهبني لهم هبة جديدة .

فلما أصبحت وتعالى النهار ، جاءني رقعة صديقي صاحب الدعوة ،
يسألني أن أقدم الوقت في المصير إليه ، ففعلت ، وأظهرت أن
بي عسر البول وأخذت معي مكتباً أكتب فيه كل ما يجري ،
وحضرت الجماعة التي أسماهم لي أحمد بن طولون ، فكنت كلما سمعت
شيئاً يجب أن أثبته أريهم أني أقوم إلى المستراح ، فإذا حصلت
فيه كتبت كل ما جرى وتنبأ ، لما أحب الله عز وجل إمضاءه ،

أنه لم يكن للقوم مد وقت حضورهم إلى وقت انصرافهم حديث
إلا ذكر أحمد بن طولون بكل قسيحة وعظيمة ، والابتهاال إلى
الله جل اسمه بالدعاء عليه ، وتمكين الموفق منه ، كل ذلك لآ من
بعضهم من بعض والثقة بهم ، ولما في قلب كل واحد منهم منه .
فلم أزل أكتب كل ما يقوله واحد واحد ، وفي قلبي من ذلك
ما قد طلمه الله عز وجل ، إلى بعد العتمة

وانصرفت الجماعة ، وكنت أنا آخر من انصرف ، فبعثت
من نوبي إلى أحمد بن طولون كما أمرني ، فأدخلت إليه فأصابتها
على تلك الحال ، وهو كالمنتظر لي ، فلما سلمت رد علي السلام
وقال لي : الساعة انصرفت ؟ قلت : نعم أيها الأمير ، أنا آخر
من انصرف . فقال لي : جودت . هات ما معك ، فقلت : هو في
مكتب ، فإن أمر الأمير بنقله نقلته ، فأمر لي بدواة وياض ، فتشجيت
ناحية ، ونقلت جميعه في رقعة ، وقت فدفعتها إليه فقرأها ، فلما
استوفى قراءتها ، قال لي : بارك الله عليك ، خذ ما تحت المصلى^(١) ،
فمددت يدي ، وأنا أرعد وأقدّر أنها أفعى ، قد أعدها لي تضرب
يدي فتأتي على نفسي ، فأصبت رقعة فقال لي : اقرأها ، فقرأتها ،
فإذا فيها جميع ما كتبت ، ما غادرت منه حرفاً واحداً ، وإذا به
قد استظهر علي ، بأن جعل معي واحداً من القوم الذين كانوا معنا

(١) المصلى كملى : موضع الصلاة .

في الدعوة لا أعرفه ، فعرفت بعد ذلك أنه كان بعض أصحاب صديقي ، وأراد أحمد بن طولون [أن يعرف] أيننا أصدق وأنصح فيما يرويه له فكانت نسختنا واحدة ، فحمدت الله جل اسمه ، إذ لم أَدع شيئاً قلّ ولا جلّ حتى كتبتّه ، وتيقنت أني لو تركت شيئاً لاستحلّ قتلي . فلما قرأتها قال لي : دعها وامض مصاحباً ، وأمر لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت ، وليس لي فكر ولا عقل إلا في أصدقائي ، وما يكون منهم ، وما أتخوفه عليهم .

فلما كان من غدٍ ركبته إلى صديقي صاحب الدعوة لأعرف خبره ، فلما صرت إلى السكة التي يسكن فيها ، لم أرَ الدار التي كان فيها أثراً ، ورأيت موضعها رَحبة مكنوسة مرشوشة واسعة نظيفة ، لا أعرفها ولا رأيته قط . وأقبلت أطلب الدار فلا أراها بوجه ولا سبب ، فتحيرت ووقفت أتأمل الرحبة والموضع ، فرآني بعض شيوخ الناحية فتقدم إليّ وقال لي : أراك أعزك الله متحيراً ، فقلت له : نعم ، أعزك الله ، أنا أطلب دار صديق وما أراها ، ولولا معرفتي بهذا الموضع لقلت غاطت موضعها ، فقد حرت من ذلك ، فأخذ بعنان لجائي ، وقد مني ناحية وخلا بي ، وقال لي : امض يا حبيبي في حفظ الله ، فرحم الله صديقك ، فقد كان حسن المجاورة لنا ، وقاضياً لحوائجنا وحقوقنا . فقلت له : عرفني ما وقفت عليه لأعلمه وفرّج عني . فقال : أما خبره فما أدري كيف جرى ، إلا أنه سعي به

إلى أحمد بن طولون ، وبجماعة كانوا عنده البارحة في دعوة ، فلما كان في أول الليل وافي إلى ها هنا أكثر من خمسمائة رقاص^(١) ، وأكثر من ثلثمائة بغل عليها المزابيل^(٢) ، فأنزلت الدار إلى الأرض بأسرها ، ونقل جميعها إلى البحر^(٣) ، فما أصبح الصباح حتي صارت رجة كما ترى مكنوسة مرشوشة ، كأنه ما كانت ها هنا قط دار ، وغرق أصحابها والجماعة الذين كانوا معه عنده ، لأنه بلغني من جاري لبعضهم أن رُسل أحمد بن طولون كانوا يُخرجون واحداً من منزله فيغرق وتؤخذ نعمته بأسرها ، فذهب في حفظ الله . فزاد غمي وقلتي ، وعظمت مصيبتني وحزني ، وما انتفعت بنفسي بعدهم .

وحدث^(٤) أحمد بن دعيم ، وكان من خاصة قواد أحمد بن طولون ، وكان حديثه لي بعد أن ترك الديوان ، وحسن انقطاعه إلى الله جل اسمه ، قال : قلدي أحمد بن طولون الصعيد الأوسط في وقت خروج عبد الرحمن العمري^(٥) عليه بالصعيد ، فكتب إليّ يستخبرني عما أقف

أعراى أراد أن
يلقى صاحبه
بماله ودمه

(١) الرقاص بالتحديد رقيق البناء الذي يعمل تحت إشرافه على ما قال دوزي وق القاموس المحيط الرهص بالكسر العرق الأسفل من الحائط والطين الذي يبنى به يجمل بعضه على بعض والرهاس حامله . والغالب أن الأولى محرفة من الثانية

(٢) المزيلة وتقدم الباء ملقى الزيل وموضعه

(٣) ذكر البيروني أن نهر النيل يجر بالإضافة إلى خليج أو ساقية وليس يجر عند بحر الشام فانه بالإضافة إلى البحر المحيط خليج وقد يقع اسم اليم على نيل مصر بسبب أن أرض مصر كانت بجزءاً ثم نضب الماء منها بالانكماش وبقي فيها خليجان سبعة وذلك معروف في كتب الأوائل .

(٤) ذكر أحمد بن يوسف الكاتب هذه القصة في كتاب المكائبة بقوله : حدثني احمد بن دعيم . ورواية البلوي أطول وأمتع (٥) (انظر ص ٦٤ من هذا الكتاب)

عليه من حاله ، فكتبت إليه أعرفه ضعف يده ، وانتشار أمره ، وقلة المال . وقبضت على رئيس من رؤساء الأعراب اتهمته بكتابتته ، وأنهيت خبره إليه ، فكتب إليّ يأمرني بجملة إليه ، وابتياح ما قدرت عليه من النجب ، والشيوخ [إليه] لأشرح له أمره مشافهة ، فامتثلت أمره ، فما سرت إلا مرحلة حتى لحقني وجوه تجار العمل ، ومعهم أعرابي شاب وقالوا لي : جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول معك إلى الأمير ، أيدده الله ، ومعنا من يبذل في إطلاقه خمسمائة دينار . فقلت لهم : قد أنهيت خبره إلى الأمير ، فقال الأعرابي الذي معهم : خذ الخمسمائة دينار واجعلني أنا مكانه ، وأطلقه فيحصل لك المال والرجل ، إذ ^(١) لا يعرف الأمير أيهما كتبت بذكره ، فقلت : أفعل .

وكان الأعرابي المحمول من عشيرتي ، وكنت مغموها بأمره ، إلا أنني لم أجده بداً من تعريف أحمد بن طولون ما كان منه ، لما كان في قلوب جماعتنا من الخوف منه ، فأحضرت الأعرابي وعرفته ما جرى ، وقلت له : قد سرّني الله بخلاصك . فقال : بماذا ؟ فعرفته ما جرى . فقال : بأن تجعل هذا مكاني ، وتحمّله عوضاً مني ، ليجري عليه المكروه دوني ؟ والله لا كان هذا أبداً . ثم قال الأعرابي للشاب الأعرابي : امض لشأنك ، أحسن الله جزاءك ، والتفت

(١) في الأصل : « الذي » وصفا مكانها « إذ »

إليّ فقال لي : يحسن بشيخ مثلي [أن] يتربّع^(١) في المعروف ؟ هذا رجل لقيته ، وقد اكبت عليه خيل^(٢) لتسلبه نفسه وما كان معه ، فطردتها عنه حتى تخلص ، فلما رأيته في هذا الوقت وما نزل بي ، أراد أن يخلصني بحصوله في موضع إن سلمت روحه لا يخرج منه آخر الليالي ، ثم يغرم مالا لعله يثقل عليه ويُحجف به ، ليكون له الفضل عليّ ، والله لا فعلت ، ثم أقبل إليه فقال : انصرف في حفظ الله ، فلن يضيع عندي فعلك ، وقد حصلت لك قبلي مكرمة . فقلت له : قد قضيت يا أخي ما يجب عليك ، كثر الله في الناس مثلك ، فانصرف مصاحباً ، فقد وثق الرجل بالله عز وجل في أمره ، وهو جلّ اسمه يخلصه بجميل هذا الفعل .

فقال لي : لست أفعل ، وعزمت^(٣) على الأول في القبول منه وقلت له : فلست آخذ منه شيئاً وأعينه في خلاصك ، ولن أدع حالاً أبليغ بها خلاصه أيضاً إلا بلغت ، فامتنع وقال : والله لئن خالفتني وأخذته وحصلتُ بحضرة الأمير لأعرفنه ، فاصرف الرجل ولا تعرضه للهلكة ، فبقيت قد تحيرت ودهشت من كرمهما جميعاً . فقال له الشاب : إذا كان الأمر على هذا فما أصنع في عارفتك التي في عنتي ؟ أنشدك الله إلا قبلت المال ، وأزالت عني العار ، فأنت

(١) تربّع طلب الربح وفي الأساس وهو يتربّع ويتربّع أي بطالب الأرباح ويتكسب

(٢) رواية المسكافة : خيل لتسلبه نياحه .

(٣) عزم عليه أقسم عليه

تعلم أنه عار على الكريم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف ، فامتنع من قبول المال أيضاً وقال له : إذا رأيت رجلاً قد أحاطت به خيل تريد تسلبه فذُبحاً عنه ، فإذا فعلت ذلك فقد كافأت عارفتي ، انصرف في كلاءة الله عز وجل ^(١) ، فانصرف الأعرايى باكياً متأسفاً على ما قد فاتته ، مما بذله من نفسه وماله ، ولم يزل يُقبلُ رأس الأعرايى وبديه ورجليه ويبيكي ويعول ، ويسأله قبول المال وهو ممتنع من ذلك ، حتى أبكى جماعتنا ، فلما لم يجد فيه حيلة انصرف :

فلما دخلت إلى أحمد بن طولون وشافهته بخبر العمري ، وذكرت له منه ما سرّه ، وعرضت عليه الثُجْبَ واستحسنها ، قلت له : بقي أيها الأمير ما هو أحسن منها قال : ما هو ؟ قلت : الأعرايى الذي كتبت بخبره إلى الأمير أيده الله ، فأمرت بأشخاصه قال : نعم ، وما الذي فعل ، وأردت بقولك إنه أحسن مما جئتنا به ؟ قلت : كان من خبره كذا وكذا ، وشرحت له جميع ما جرى من أوله إلى آخره ، وخبر المال الذي بذل لي ، ومشورتي عليه بأن يفعل ، وصدفته عن جميعه ، فأعجبته صدقي ، واستحسن فعلهما ، وأمرني بإحضار الأعرايى ، فأحضرتة . فلما رآه قال له : يا أعرايى قد كنا عزمنا في أمرك على ما يسوؤك ولا يسرك ، حتى وقفنا على ما جرى بينك وبين من أراد مكافأتك على جميلك عنده ، وقد قننا عن ذلك الأعرايى

(١) وردت هذه الجملة في كتاب السكافاة كما يلي : إذا رأيت رجلاً أحاطت به خيل تريد تسلبه فذُبحاً عنه قد كافأت عارفتي ، انصرف مصاحباً .

بحق عارفتك عنده بإطلاق سبيلك والإحسان إليك . وأمر أن
يخلع عليه ، وأثبتته في ديوانه ، وأسنى له الرزق . وأمرني بإيفاد رسول
قاصدي حمل ذلك الأعراي إليه ففعلت ، فلما وافى أدخلته إليه ، فقال
له : كثر الله في الناس مثلك يا أعراي ، وقد قمنا عنك بحق عارفتك ،
بما أتيناك في أمر صاحبك ، وبك نجاه الله عز وجل وبجميل فعلك من
مكروهننا ، وأمر فخلع عليه وأثبتته في ديوانه وأجرى له رزقاً
واسعاً . ولم يزالا في خاصته ولا يُخلِيهما في كل عيد من صلة واسعة
إلى أن مات .

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : كان مولاي براعي أمر المحبوس حتى
تمضي له سنة فإذا جازها نسيه ولم يذكره . وكان يقول لي سرّاً : إذا
تبينت من رجل براءة ساحته ، فسهل على أمره واستأمرني فيه ، فأني
أستعمل التشديد للضرورة ، والقلوب بيد الله عز وجل .

صدق سجين لها
بإخلاصه

قال نسيم : فقال لي موسى بن صالح ، وكان من الثقات عنده ،
وكان على الشرطتين جميعاً : إن في الحبس رجلاً قد زاد على سنتين ،
وهو منقطع إلى الله عز وجل ، لا يسألنا شيئاً من أمره ، وقد
أكب على العبادة ، وقد جرى في أمره شيء ، وهو ذا أشرحه لك
فيما بيني وبينك ، لثقتي بك وبدينك ومحبتك للخير ، ولا أستمع بك

(١) في المكافأة : وحدثني موسى بن صالح المعروف بأبي مصلح ، وكان هذا من الثقات
عند أحمد بن حنبل ، أن أحمد كان براعي أمر المحبوس

في أمره ، حتى يخلصه الله عز وجل على يديك ، فيحصل لك بذلك ثواب من الله الكريم جزيل . فقلت له : قل . فقال لي : لما رأيت هذا الرجل على هذه الحال قلت له : يا هذا إن الناس يضطربون في أمرهم ، ويسألون الخلاص مما يقاسونه . بكتب رقعة بشفاعة من يعتني بأمرهم ، وأراك خارجاً عن جملتهم ، فجزأني خيراً .

فرقاً له قلبي وكبر في نفسي فخلوت به وقلت له : إني لو استجرت إطلاقك بغير إذن لفعلت ، ولكن استعن في أمرك بمن يضطرب^(١) في خلاصك ، فقال لي : ما أعرف في هذا البلد غير أبي طالب الخليج^(٢) ولو تهيأ الاجتماع معه لحاطبته بما لا تبلغه الرسالة ، فقلت له : والله لأخاطرن فيك بنفسي ، أنا أطلقك سرّاً ، على أن توثقني بأيمان مُحَرَّجَةٍ أنك تعود إليّ ولا تُخفّرني^(٣) ، فقال لي : إذا كنت عندك بمنزلة من تشك فيه حتى نتوثق منه بيمين ، فلا حاجة لي في إطلاقك إياي . فقلت : والله لا استحلقتك ثقة بك ، فامض في حفظ الله ، وأحكم معه ما تريد .

وكان ذلك ليلة الجمعة ، وفارقت على أن يصير إلى محبسه ليلة الاثنين ، فلما كان في سحر يوم السبت وافاني لما فتحت السجن .

(١) يتحرك

(٢) زاد في المكافأة هذه العبارة « وكان هذا الرجل يتولى شرطي أحمد بن طولون بصر »

(٣) أخفرت الرجل اذا قصت عهد وذمامه وخفرت أجرته وحفظته .

فلما دخل حمد الله جل وعز وأثنى عليه ، وسجد شكراً له جل اسمه .
ثم قال لي ، وقد حُرْتُ من أمره ، بعثت إلى أبي طالب الخليلج
امرأة من أهلنا فهمة ، وطويت عنه إطلاقي ، وسألته أن يلطف ،
في أمري فوعد بذلك ، وقال : أدخل إلى الأمير وأسأله في أمره ،
فاجلسي إلى أن أعود إليك أعرفك ما يجري ، وأرجو أن يمن
الله الكريم بإطلاقه .

وركب عشية الجمعة أمس فأقام عند الأمير إلى قريب من العتمة
وانصرفت إليَّ المرأة فقالت : وافى أبو طالب وهو مغموم فقال لي :
كلت الأمير في أمره فقال لي : لقد أذكرتني رجلاً يحتاج إلى عقوبة ،
ثم تقدم إلى رجل من أصحابه في المصير به إليه في غدٍ عند جلوسه
اليوم ، وقال للمرأة : قولي له ارجع يا أخي إلى الله عز وجل ، فليتني
ما تكلمت في أمرك ، وطال عليَّ بقية ليلى ، قلقاً بأمرك أن يحيثك رسول
في إحضاري ، فبكرت إليك في هذا الوقت ، خوفاً من حال تلحقك
فتغنني فيك ، ورأيت والله جميع ما يوعدني به من المكروه أسهل
عليَّ من أن أخفرك وأبطل ظنك .

فما استوفى كلامه حتى وافاني رسول الأمير ، فتسلمه مني ومضى به
إليه فلحقته ، فرأيت الأمير وقد شغل الساعة عنه . فقال : أنا أسألك أن
تدخل الساعة إليه من قبل أن يفرغ شغله ، فتدعوه به حتى تشرح له
قصته وتسأله في أمره ، فبادرت معه ودخلنا إلى مولاي ، وإذ به قد دعا

بالرجل وهو بين يديه، وقد ذكر له جنيته فاعترف بها واعتذر إليه منها عذراً قبله منه . فتأملناه فإذا به قد لحقته عليه رقة ورحمة ورأفة ، ضد ما قدرناه فيه ، فعلمنا أن العناية من الله جل اسمه قد سبقت عنايتنا ، فغنيينا عن سؤاله في أمره وأمر بإطلاقه وأمر له بجائزة

قال نسيم: ثم قال لي مولاي: تسلمه بالنسيم مكرماً . فأخذته اليّ وقد لحقني من السرور بإطلاقه ما علمه الله جل اسمه ، وكذلك موسى ابن صالح ، فوصلته بدنانير كثيرة سوى ما وصل إليه من مولاي ، وصرفته مع موسى بن صالح ، لأنه اختار انصرافه معه ليليل أيضاً في أمره ما يحبه ، مما توصل به المثوبة من الله جل ثناؤه .

فلما خلوت بمولاي حدثته بقصته من أولها إلى آخرها ، فأحضر موسى بن صالح وقال له : الله درك فيما أتيت في أمر الرجل ، فأحضرنه ، فأحضرتة ، فلما رآه أكرمه وأدنى مجلسه ، وجعله أخص أصحابه عنده . ولم يزل يواصله بيره إلى أن مات مولاي رحمه الله .

شفاعة جماعة في
نعم عليهم

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : حبس مولاي يوسف بن إبراهيم في موضع في داره لشيء أنكره منه ، وكان إذا حبس رجلاً في داره أيس منه . وكان ليوسف بن إبراهيم على جماعة من أهل الستر معروف كبير وتحمل لمؤنهم . فاجتمعوا وكانوا نحواً من مائة

(١) في السكامة : وحدثنا أحمد بن يوسف قال : حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم الخ

رجل^(١) ، لكل رجل منهم محل في نفسه وقديمه وستره ودينه ، ووافوا إلى باب الجبل ، فاستأذنوا على أحمد بن طولون ، فأذن لهم فدخلوا إليه ، وعنده محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وجماعة من شيوخ البلد .

فابتدأوا الكلام بعد السلام بأن قالوا : قد اتفق لنا أيد الله الأمير من حضور هذه الجماعة مجلسه ما رجونا أن يكون ذريعة لنا إلى ما نأمله ، ونحن نرغب إلى مولاي الأمير ، أيد الله ، في أن يسألها عنا ليقف على منازلنا ، فسألهم عنهم فقالوا : نعرفهم بالستر والصيانة والدين والتقديم النبيل ، وقد عرضت على جماعة منهم العدالة فامتنع صيانة وتواضعاً .

فأمرهم بالجلوس فلما جلسوا سألهم تعريفه ما قصدوا له فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير ، أيد الله ، مخالفة ما آثره في يوسف بن إبراهيم لأنه أهدى إلى الصواب فيه ، لكننا نسأله ، أيد الله ، أن يقدّمنا قبله فيما لعله قد اعتزم عليه في أمره من قتل أو مكروه ، وهو في حلٍّ وسعة وأن يفعل في أمره بعد ذلك ما أحب . وقد قضينا حق عارفته عندنا ، وكافينا معروفه لدينا ، بتحمل المكروه فيه ، كما كان يبادر بمعرفه إلينا . فقال لهم : وكيف ذاك ؟ فقالوا : ما أحوجنا أن نفكر معه في شيء نبتاعه لسنتنا من مؤونة وكسوة ، وقليل وكثير ، ولا وقفنا بباب غيره لما غنينا به عن سواه ، وما نوثر ، أيد الله الأمير ،

(١) في المكافأة: وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً

البقاء بعده ، ولا السلامة من شيء قد وقع فيه . وعَجَّوا بالبكاء بين يديه ، فبكت الجماعة الحضور لبكائهم ، ورقَّ قلب أحمد بن طولون حتى تدمع^(١) معهم وقال لهم : بارك الله عليكم وأحسن جزاءكم فقد كافأتم إحسانه إليكم ، وجازيتم إفضاله عليكم . ثم قال : يوسف ابن إبراهيم ، فأحضر ، فقال لهم : خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا به معكم ، فقد وهبت جنابته لكم ، فأخذوا بيده وخرجوا من عنده ، شاكرين داعين إلى الله جل اسمه في إطالة بقائه ودوام عزه .

ولم يزوالا حول يوسف بن إبراهيم حتى أوصلوه إلى داره ، فشكر لهم فعلهم ، وانصرفوا فرحين بما سهله الله بكرمه لهم من المحنة في أمره . وكان ذلك سبب رضا أحمد بن طولون عن يوسف بن إبراهيم^(٢)

(١) لا تذكر دم في المعاجم إلا مقرونة بعبته ما تدمع وحدها فلم نثر عليها وقد تكررت في هذا الكتاب
(٢) يوسف بن إبراهيم هذا هو والد أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ، وحيد عصره في العلم والبلغة وصاحب كتاب المكافأة ، وقت لأحمد بن يوسف مع أحمد بن طولون يوم وفاة والده قصة ذكرها في كتابه هذا نصها : وبث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها يوسف بن إبراهيم والذي بنحدم ، فنجسوا الدار ، وطالبوا بكتبه ، مقدِّرين أن يجدوا فيها كتاباً بمن ينفد . فحملوا صندوقين وقبضوا عليّ وعلى أخي ، وصاروا بنا إلى داره ، وأدخلنا إليه وهو فيها جالس وبين يديه رجل من أشرف الطالبين . فأمر بفتح أحد الصندوقين وأدخل خادم يده فوقع على دفتر جرياته على الأشراف وغيرهم . فأخذ الدفتر بيده وتصفحه ، وكان حيد الاستخراج ، فوجد اسم الطالب في الجراية ، فقال له وأنا أسمع : كانت عليك جراية يوسف بن إبراهيم ؟ فقال له : نعم ، أيها الأمير دخلت هذا البلد وأنا مملق فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ومائتي أردب فتح اسوة ابني الأرقط والقيقي وغيرهما . ثم امتلأت يداي بطول الأمير فاستغفيت منها . فقال له : نشدتك الله أن قطعت سبأ لي برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتدمع الطالب . فقال أحمد بن طولون : رحم الله يوسف بن إبراهيم . ثم قال لنا : انصرفوا إلى منازلكم لا بأس عليكم ، فانصرفنا فلقنا خنازة والدنا ، وحضرنا العلوي وقد أحسن مكافأة والدنا في مخلفيه .

تفاضى رجل عن
مقابلة المعروف
وما عمله عمه

قال مؤلف هذا الكتاب : اتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن
شعبة شيأ أسكره منه ، فقبض عليه وحبسه في داره ، ووكل به من
يمنع أحداً بدخول إليه ، فلا يخرج من عنده إلا غلام يقضي من حوائجه
وحوائج حرمه مالا بدمنه في منزله ، ولم يمتنه بجبس في مطبخ ولا غيره ،
وتركه في داره موكلاً به ، وكان ذلك من جميل أفعال أحمد بن
طولون محافظة لأبيه . وكان يصحبه ويتقلب في نعمته رجل يعرف بابن
أخت بن الزنق ، وكان له عم من الشيوخ الأولين الذين فيهم السلامة
والدين . فلما قبض عليه أحمد بن طولون فزع ابن أخت بن الزنق من
مكروه بلحقه من أحمد بن طولون ، وخافه وانقطع عنه ، فبلغ عمه
ذلك فأنكره عليه ، وحثه على المضي إليه ، والتوصل إلى قضاء حاجة
إن كانت له . فاحتج بأنه لا يصل إليه لمنع الموكلين أن يجيئه ، فقال
له [لأن] يقف على مصيرك إليه ومنعهم لك أحسن من وقوفه على انقطاعك
عنه فقال له : أنا أخاف من مكروه بلحقني فقال له : كما كنت يا بني
نتقلب في نعمته ، تصبر على ما يلحقك في محنته ، فلا تفضحننا بالعود
عن رجل أحسن إليك ، فلم تكافئه على جميله عندك ، فقال له :
ما أجزر على ذلك . فلما أيس منه قال له : قبحك الله سرقته معروف
الرجل ، وتركته يقارع محنته . فلم ينجع فيه قوله .

وركب الشيخ حمارة ، وصار إلى دار القاسم بن شعبة ، وجيرانه
يناشدونه الله أن لا يتعرض لأحمد بن طولون فلم يقبل ، وقال : والله

لا تحملت عاراً حَمَلْنِيَه هذا الرجل الجاهل القبيح الفعل . فلما وقف
ببَاب القاسم بن شعبة ، وعليها الموكلون ، وقوم من أصحاب الأخبار ،
سَلَّمَ عليهم ، فقال : كيف حال القائد أبي محمد أيده الله ؟ فقالوا
له : امض يا شيخ في حفظ الله . فقال : ما أمضي حتى أقضي من
حقه ما يلزمي ، إذ كان قد بعدُ عنه من يلزمه أمره ، ممن كان في
جملته من أهلي .

فَرَفَعَ خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره فقال له : ما كنت
يا شيخ تعمله للقاسم بن شعبة ؟ فقال : والله ما عملت له قط عملاً ،
ولا تصرفت له في حال من الأحوال ، ولا دخلت له داراً ،
ولا سلمت عليه قط ، ولا أعرفه ولا يعرفني ، ولكنه أولاني جيلاً في
بعض أقاربي ، فتوقف عن معاضدته في محنته ، وقضاء حقه على ما أولاه ،
توقياً وخوفاً ، فلم تُطِقْ نفسي الصبرَ على ترك مكافأة جيله عنه ،
فانتصبت الساعة لذلك . والأمر أيده الله أحق وأولى بحسن مكافأة
أبيه فيه ، والصفح له عن ابنه في غلطة إن كان غلطها ، أو زلة إن
كان زلها ، فقد كان أبوه مشهوراً بحسن الموالاة للأمر أيده الله ،
حميل النصيح له طول حياته . فقال أحمد بن طولون : يا شيخ ما في
هذا المجلس أحد يقول فيما اهتمت إليه من إذكارك إياي حق
أبيه ، ولعمري إنه ليقضي عطي على ولده ، وصفحي عن زلله ، والتجاوز
له عن خطائه ، فأحسن الله جزاءك يا شيخ على جميل فعلك ،

و كثر في الناس مثلك ، فقد نبهتني على قضاء حق أبيه رحمه الله .
ثم أمر بإحضاره ، فلما حضر خلع عليه خلع الرضا وأجازه ، ورده
إلى منزلته التي كانت عنده . وقال للشيخ : تسلمه يا شيخ بارك الله
عليك ، وأحسن إليك ، فسبقه الشيخ إلى داره فنزلها ، ولم يمض إلى
منزله ولم يدخل داره معه ، وحرص به واجتهد فما فعل ، وقال له :
إنما أردت قضاء حقك والقيام فيه بما قعد عنه ابن أخي خوفاً
وجزاً من الأمير أيده الله ، فله الحمد على ما سهر لي من ذلك ويسره ،
وأستودعك الله ، وانصرف إلى منزله . فلما كان من غدٍ ركب إليه
القاسم بن شعبة يشكر فعله ، وعاد إلى أفضل ما كان عليه لابن أخيه
إكراماً للشيخ على ما أثناه في أمره .

وحدث نسيم الخادم قال : صار إليّ ثابت بن سليمان — وكان
سليمان هذا يكتب لشقير الخادم ، ثم خدم بعد مولاي — ومعه
رقعة وسألني أن أوصلها إلى مولاي ، فأخذتها منه وقرأتها ، فإذا فيها
يذكر أن شقيراً الخادم أودع أباه أربعمائة ألف دينار . فأوصلتها
إلى مولاي ، وعجبت من سعائه بأبيه ، فلما قرأها استحضره وقال
له : قد قرأت رقعتك ، فالأمر على ما ذكرته من حصول المال عند
أبيك ؟ قال : نعم ، أيد الله الأمير ، وإنسا خشيت أن تمتد يد أخي
إليه ، ويتصل خبره بالأمير بعد وقت ، فليحطني مكروهه ، فقال له :

رجل سمي بأبيه
فقطله ابن طولون

أَمْسَكَ الْآنَ عَنْ هَذَا ، وَاطْوِهِ عَنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، وَلَا يَعْلَمُ أَبُوكَ بِمَجِئِكَ إِلَيَّ ، حَتَّى أَدَبِّرَ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ فِيمَا أَرَاهُ فِيهِ ، وَانْصَرَفَ مَكْلُومًا .
قَالَ نَسِيمٌ : فَكَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ إِمْسَاكِ مَوْلَايَ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يَغْفُلُ عَنْ مِثْلِهَا .

فَلَمَّا مَضَتْ سَنَةٌ مَاتَ سُلَيْمَانُ فَأُظْهِرَ مَوْلَايَ غَمًّا بِهِ ، وَتَفَجَّعًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا بَابَنَهُ الرَّافِعَ لِتِلْكَ الرِّقْعَةِ ، فَرَدَّ إِلَيْهِ مَا كَانَ فِي يَدِ أَبِيهِ مِنْ أَمْلَاكِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ تَقْوَى بِهِمْ يَدُهُ ، وَتَرَكَ شَهْرًا ثُمَّ دَعَا بِهِ يَوْمًا ، وَأَنَاقَاتُ مَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُ مُخَلَّفِي أَبِيكَ مَعَكَ بَعْدَ أَبِيكَ ؟
فَقَالَ : الْحَالُ صَالِحَةٌ ، وَمَا أَدْعُ حَالًا تُوَدِّي إِلَى مَصْلَحَتِهِمْ إِلَّا بِلِقَائِهِ ، بِيَقَاءِ الْأَمِيرِ أَيْدَهُ اللَّهُ . وَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ جَانِبِي بِهِ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : احْمِلْ إِلَيَّ تِلْكَ الْأَرْبَعَاةَ أَلْفَ دِينَارٍ الَّتِي لَشَقِيرِ الْخَادِمِ عِنْدَكُمْ ، فَتَلْجُلِجْ وَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَرُدَّ جَوَابًا ، فَأَمَرَنِي بِتَسْلِيمِهِ إِلَيَّ أَحْمَدُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِمَارٍ ، وَأَنْ أَمْرُهُ بِطَالِبَتِهِ بِهَا بِالسُّوْطِ ، فَامْتَثَلْتُ ذَلِكَ وَطَالِبُهُ قَبْلَجٌ ^(١) فَضْرِبُهُ خَمْسُمِائَةٍ ^(٢) سُوْطٍ ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مِلْكِهِ وَمَا خَلْفَهُ أَبُوهُ ، فَلَمْ يَوْجَدْ عِنْدَهُ بَعْضَ مَا نَقَوْلُهُ عَلَى أَبِيهِ ، فَأَعَادَ مَطَالِبَتَهُ ثَانِيَةً ، وَضْرِبَهُ فَمَاتَ تَحْتَ الضَّرْبِ ، فَعَرَفَ مَوْلَايَ خَبْرَهُ فَقَالَ : ذَلِكَ أَرَدْتُ لِسَعَايَتِهِ كَانَتْ بِأَبِيهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — إِلَيَّ ، فَلَارَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣)

(١) بَلَجٌ بِشَدِيدِ اللَّامِ : جَدُّ (٢) فِي الْمِكَاافَةِ : خَمْسِينَ سُوْطًا

(٣) فِي الْمِكَاافَةِ بَعْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَا يَأْتِي : قَالَ (أَيُّ نَسِيمِ الْخَادِمِ) فَعَجِبْتُ مِنْ هَلَاكِ هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الضَّرْبِ ، فَأَخْبَرْتُ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ كَانَ يَسْتَرِيرُ الْقَوَاسِدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي وَفُورِ حَالِهِ —

أخبار العباس بن أحمد بن طولون

خروج العباس
على أبيه

قال مؤلف هذا الكتاب: لما ضبط أحمد بن طولون أطراف عمله، بلؤلؤ غلامه وابن جيعوبه، ومن ضمَّ إليهما من الرجال، أغدَّ السير من الثغر إلى انقسطاط ليبارد أمر العباس ابنه. وكان سبب خروج العباس إلى الغرب حقه وتقصه، وإنما قدمه أبوه على سائر ولده لكبر سنّه، ولأنّه كان أحظاهم عنده، ولهوّى كان له فيه من هوّى الأبوة. ومن الناس من يعنى عن حظ نفسه، وعيب ولده لهواه فيه، وإن كان أبوه حازماً لا يطعن عليه، لكنه كما قال الشاعر:

وَيْسِي بِالْإِحْسَانِ ظَنّاً لَمْ يَكُنْ هُوَ بَابُنْهُ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونٌ

فخازنه أمله فيه وآتاه من المقدور ما ليس في خلده، وهذا لصغر الدنيا عند الله عز وجل، ولنزارة محلها، ولينبه أُولي الألباب على مقدارها، وأنها لا تدوم لأحد ولا تصفو له، وإن حسن تدييره، ووصح تمييزه، وقيل هو واحد زمانه.

ولم يزل أحمد بن طولون كذلك مستقيمة أموره كلها، مصححة أعبانيه، يعطى سؤله وإرادته، حتى بلغ الكتاب أجله، فكان أول

— فرارته امرأة كانت ربيطة للبلاد بالوسط، وعلم البلاد بذلك فبكر إليه، ووقف له حتى إذا خرج، انكب على فخذه وقبله، ثم قال: يا سيدي قد اغناك الله، سأتى بما يسطه من الرزق إليك، وظاهره من الإحسان لديك. وكانت مهجتي عندك البارحة، فلم أرايت أن تهبا لي ذلك سها عوض، وليس لي عنها ممدل، ففاح في وجهه، واسر بالعبادة، فلما شدت بالمقايين تقدم البلاد قصره ضرب القتل فأتى على نفسه.

انحلال أمره ، وعكس قصته ، وتنقص الأمور عنه ، أمر العباس
ابنه ، فانعكست العين عليه من آمن سبلها وأعذب شربها ، وذلك
ولده وقرة عينه ، وأحب الأشياء كلها إلى قلبه ، والمؤمل لسد
مكانه ، و [أن] ينوب منابه فكان كما قال الشاعر :

أتيت في أمري من مأمني ولم أكن فيه بمُرْتَابٍ
وقد يوفى ويلقى الردى . متوس من ضعف أسباب

وذلك أنه اشتملت على العباس ابنه طائفة سوء من صنوف
شتى ، فمنهم قواد استخلصهم ، واستحجب كثيراً منهم ، كانوا يخافون
أباه ويحسدونه بالنعمة عليه ، ويتمنون تلفها وزوالها ، ودخول النقص
عليها ، من أي وجه تهيأ له ، فأشاروا على العباس بالخلاف على أبيه
والانحراف عنه . واتفق لهم أنه أرجف بموته ، لما طالت غيبته
بالشعور والشامات .

منهم علي بن ماجور^(١) وعبد الله بن طغيا وأحمد بن صالح الرشدي ،
وأحمد بن انقاسم بن أسلم ، و [جعفر] بن حذار^(٢) الكتب ، وكل هؤلاء
كان لأحمد بن طولون عنده النعمة الجزيلة ، والإحسان التام ،

(١) في قضاة مصر وولاتها - علي بن اعور ، وفي ابن الداية : علي بن الحزور .

(٢) احتلت المصادر فيها ابن حذار بالحليم ومنها ابن حذار بالحاء ومنها ابن حذار بالحاء ومنها

ابن حذار [انظر هامش من ١٧٧ من هذا الكتاب]

والأشياء الخطيرة ، إلا أن الحاسد لا دواء له ، ولا يقعه إلا أن يأتي على نفس من يحسده .

ومنهم طائفة أخرى مذهبهم النحو والغريب وعلم النجوم والشعر وما يجري مجراه . وانضاف إليهم جعفر بن عبد الله ، وأحمد بن [المؤمل] المعروف بأبي معشر ، ومحمد بن أزهر^(١) المعروف بالمتوف . وكل هؤلاء حسنوا له التغلب على مصر ، والفتك بأحمد بن محمد الواسطي .

منزلة الواسطي
من ابن طولون
وما عمل العباس
لإهلاكي

وكان العباس ممتلي القلب من هيبة أبيه ، وكل من أشار عليه لا علم له بسياسة جيش ، ولا تدبير أمر . فرام العباس أن يظهر التغلب من مصر فمنعه الواسطي ، وخاف دخول الخلل في الأعمال ، وكان أبوه أمره قبل خروجه إلى الشام ، واستخلافه إياه في البلد ، ألا يتجاوز ما يُشير عليه به الواسطي وقال له : يا بني إن الواسطي قد عجم أمري ، وعرف ما يصلحه ، فأقبل عليه ، وفوض الأمر إليه ، وتضافرا على ما يحسن معه الأثر فيما أنتما بسبيله . وكانت هذه الطائفة تزري^(٢) على الواسطي عند العباس ، وثقع فيه ، وتوحش بينه وبينه ، ويحكون عنه أن ألفاظه عامية ، وأنه يغلط في كتبه ، ويكثر اللحن فيها - وكان العباس أديباً حسن الآدب ، إلا أن الكمال لله عز وجل -

(١) في ابن الداية والسكدي : سهل بدل أزهر

(٢) تزري عليه : تغيبه

وقالوا فيه من هذا المعنى مالا يضع منه ولا يعكر فيه ، لفضله وعقله ،
لولا عى قلب العباس وقلب من أشار عليه . أليس البلد في يده ، وأمره
نافذ فيه ، وفيما يريد من مال وغيره ، متمكن منه مبدول له ؟ ولكن
نعوذ بالله من الخذلان .

وكتب الواسطي إلى أحمد بن طولون كتباً بخطه ، يذكر فيها
ما يلحقه من سوء اعتراض العباس ، ومنعه له من استيفاء الرسوم
السلطانية بمصر ، وأنه مقبوض اليد . ويذكر الطائفة التي استولت
عليه ، وتخطيها في البلد إلى ما ليس من عملها . وكان محبوب بن رجا
عدو الواسطي ، فكان كلما ورد من الواسطي كتاب إلى أحمد بن
طولون ينفذه إليه ، لموضع كتابته لأحمد بن طولون ، وأخذه كل
كتاب يرد عليه ، وكتب عنه بما يأمره به ، فكان ذلك مما يزيد في
غيظ العباس على الواسطي ويحقده له .

ولج العباس وجداً فيما اعتزم عليه ، فلخوف الواسطي من سوء
العاقبة ، قال له بما جعله له أبوه من اليد في البلد : إن أضربت أيها
الأمير ، عما قد حملت عليه ، وإلا منعتك منه . فأجابه العباس بجواب
قيح . وخاف الواسطي تأنيب أبيه في ستر الأمر عنه ، وأن يلزمه أحمد
ابن طولون الذنب فيما يأتيه العباس ، فكتب إليه يشرح له القصة ، ولم
يستر عنه منها شيئاً ، ويذكر أن حيلته تعجز عن منعه . فأجابه
يوصيه بالمداراة له إلى موافاته ، فاستعمل معه ذلك حتى زاد أمره ،

وعجز عن مداراته ، فاستتر في داره ، ولم يحتمل الامتحان . فركب إليه العباس وهجم عليه وأخرجه مكرهاً ، ووجد عنده الأجوبة من أبيه عن كتبه كانت إليه في أمرها ، فأخذها فلما وقف عليها اشتد خوفه من أبيه ، وساء ظنه به ، فقيد الواسطي وأمين الأسود ، وكان من غلمان أبيه وثقاته ، لأنه أشار عليه بما يشير به الناصح .

وأظهر العباس لما قوي في نفسه الخوف من أبيه أنه يريد الخروج إلى الإسكندرية ، فقال له محمد بن أبان ونظراؤه من قواد أبيه : ما يصنع الأمير بالإسكندرية ؟ فقال : بلغني أن الروم تطرقها وأحب أن ألقاهم ، لعل الله جل اسمه أن يظفرني بهم . فقالوا له : بعضنا يكفيك هذا ، والصواب ألا تفارق [ما جعلك] الأمير أيده الله عليه ، والمرتبة التي رتبك فيها ، فأنت أيها الأمير العوض منه ، ومقامه في دار مملكته ، فلم يصغ إلى قولهم ، واستخلف أخاه ربيعة على البلد وخرج ، وكتب هؤلاء القواد إلى أبيه يبلون بينهم وبينه عذراً ، ويعرفونه أنه قد غلبهم على رأيهم ، ولم يتهياً لهم منعه إلا على سبيل النصيح ، لقوة يده وما مكنه منه الأمير .

عروج العباس
على أبيه إلى بركة

وأخذ العباس كل ما تهياً له من المال والمتاع والسلاح والكراع ، وأخذ معه الواسطي وأمين الأسود مقيدين وخرج ، فلما صار إلى الإسكندرية أقام بها أياماً ثم تجاوزها إلى برقة .

ما أخذه العباس
من مال مصر
ورجالها

ووافى أحمد بن طولون إلى مصرف فوجده قد أخذ من المال ألفي ألف دينار ، ولم يقنعه ذلك حتى استسلف من التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضمها لهم ويكتب لهم بها على المعاملين . ففعل ذلك خوفاً منه . وأحضر أحمد بن طولون أبا أيوب وقال له : لم يقنعك [ما أخذ] من المال حتى استسلفت له من التجار ثلاثمائة ألف دينار . فقال له : خفته ، ولم يكن لي به طاقة ، فلم يقبل ذلك منه ، وألزمه غرمها للتجار من ماله ، فبلغ ذلك منه مبلغاً كشفه وأضر به ، فشكا ذلك إليه فقال له : هذا جزاء من عاون عدوي ، وقوى يده بمالي ، فلما انكشف له ما لحقه من ذلك ، علم أنه لو منعه لأجرى عليه المكروه ، فأزال ذلك عنه ، وقبل عذره .

قال : وسعى إليه في ذلك الوقت المعروف بأبي مقاتل ابن أبي ثابت بأبيه لما رأى انحراف أبيه عنه ، وبأخيه المعروف بأبي حفص لتقديم أبيه أخاه عليه فغلظ عليه سعائته بأبيه فقبض عليه وعلى أخيه جميعاً وضر بهما بالسوط فماتا ، فأخذ ما كان لهما ، وعطفه ذلك على أبيهما .

قال : وراسل أحمد بن طولون العباس ابنه ولطف به ، وأنفذ إليه أبا بكرة بكار بن قتيبة والصابوني القاضي وأبا محمد معمر الجوهري وزياداً المعدني مولى أشهب ، وكان فصيح اللسان ، حسن العبارة ، قوي الفهم . وأمرهم بملاينته وملاطفته ، ووعدته في كتابه

استرضاء ابن
طولون ابنه
وإرسال وفد إليه

الصفح عما جناه ، وألا يسوءه بمكروه . وحلف له على ذلك بأيمان
مغلظة ، وخرجوا ، فلما وصلوا إليه رحب بهم وأكرمهم ورفع مجلسهم ،
فابتدأ زياد المَعْدَنِي فقال : يا سيدي ، سيدنا الأُمير أيدى الله يقرأ عليك
السلام ، ويقول لك : يا أقرب الناس إليّ ، وأبرّهم لديّ ، وأعزهم
عليّ ، خفرت ظني بك [أقوى ما كان] أُملي فيك ، وأرجى ما كنت
لك ، عن غير إساءة كانت مني إليك ، ولا خطيئة ركبها فيك ،
ولم ترعَ حسن تربيتي لك ، وعظم إشفائي عليك ، وأني رشحتك أنزلتي ،
وقدّرت بك حياة ذكري ، وصيانة شمي ، فأرضيتَ عدوي ،
وأسخطت وليي ، أيا سبحان الله ! أما تخاف العقوبة في العقوق ، وقانيها
الله جل اسمه فيك ، وثمره المجازاة على الإساءة ، صرفها الله بكرمه
عنك ؟ فإن رجعت إليّ ، فكأنك لم تَذنب ، وإن تَمادى بك الاغترار
شخصت إليك بنفسي ، ولم أكن بأول من خسر سعيه ، وأخلف
تقديره . وبكى زياد وبكى معه من حضر ، فتدمع العباس ، وبلغ
قوله من قلبه .

فذكر زياد أنه انصرف مع الجماعة إلى دُور قد أعدت لهم ، وفرق
فيما بينهم ، وما يخالجه شك في أنه يرجع معهم إلى أبيه ، لما تبينه منه
من انعطافه ، وبلوغ كلامه من قلبه . فخلّت به تلك الطائفة التي أغوته
حتى خرج ، لحوفها من أبيه ، ففنته عن انعطافه . وقال له ابن حدار
الكتاب : الله الله فينا وفي نفسك ، انظر لنا ولك ، فأنت تعرف أباك

وغدره ، فارحمنا وارحم نفسك ، فأنت تعرف طبع أهلك وشدة
غدره ، فإنه يرى أن في استدئصال شأفتك ، ونقطيع قلبه عليك
فيما يأتيه من أمرك وأمرنا بعدك ، بما السياسة وتوطيد المملكة توجهه ،
فخفف الله فينا وفيك .

وكان كلام زيادله يشبه معنى ما كتبه [به] أبوه ، وكان فيما ذكره
في كتابه بعد دعاء الصدر : وراجع بك إلى الحال التي يحصل لك
عاجلها ، ويتوفر عليك ثواب آجلها ، ولا حرمك ثواب برّي وطاعتي ،
وصرف عنك وزر عقوبي ومعصيتي . ثم قال له فيه : أحين فقات النعمة
فيك أعين الأعداء ، وبلغت الغاية القصوى من سرور الأولياء ،
وبلغت السن التي يكون معها انتفاع الوالد بولده ، واستحكمت ثقتي
بك ، وحسن ظني بالأيام فيك ، واستكفيت على كفايتك وعنايتك
عني ، أتيت ما لا يحسن بك ، ولا يحمل بملك ، أستكفي الله جل اسمه
مؤونة من حملك على ذلك ، وغلبك على رأيك ، فقد سعى في دينك
بما ظلمه ، وعيشك بما كدره ، ودنياك بما نقصها ، وآخرتك بما أفسدها ،
ومروءتك بما أزرى بها ، ونعم الله عز وجل عليك بما يدعو إلى تبديلها
وما أنا بأيس من أن يثيبه على عظيم ما ركبته منك ، وجليل ما جناه
عليك في تضيعك حق ، وما ألبسك من ثوب معصيتي ، وعرضك
إليه من سخط الله جل ثناؤه وغضبه في إسخطي ومخالفتي ، فإنك
إذا ميزته وتبينته لم تجده إلا أحد رجلين : إما رجل أظننا الله

عز وجل فيه ، فلزمننا أخذُ جناية جناها منه ، أو رجل طمع في مالك
فاغتنم شغل قلبك فقال : أفوز بيمض من دنياه في هذا الرجح الساطع ،
فإن أحسستُ في أمره نقصاً لجأت به إلى حيث لا يعرف خبري »
ولا يدري أين أمري ، فميز من شئت من خلصائك ونصحائك ، فقد
ترى أمرك فإنك لا تجده يخرج من هذين القسمين والله المستعان ،
قال زياد : فلما غدونا إليه ، وسلمنا عليه ، وجدناه قد حال غمنا
كنا شاهدناه منه . فقال لي : يا زياد والله إن أبي مانوى لي
خيراً ، فقلت له : ياسيدي كيف يليق ^(١) هذا بصدرك ؟ وأنت
تعلم أنه ما طلعت الشمس على أحبَّ إلى أبيك منك ، فالتفت إلى
بكار القاضي فقال له : يا أبا بكره المستشار موثمن ، وأنا أقلدك
أمري ، أسألك بالله هل تأمنه علي ؟ فقال له بكار لما كان عليه من
الدين والورع والزهد : قد حلف أبوك لك ألا يسوءك ، فأما بني لك
بما حلف أو لا يفي ، وما يعلم الغيب إلا الله جل اسمه .
فلا سمع أصحابه قول بكار قالوا له : كيف رأيت ؟ لو تحقق
القاضي ما يثق به منه لما قال هذا . فكتب لنا جواباً للكتاب ،
وشرط فيه شرائط بمحفة ، وأغاظ في خطابه لأبيه ، بإنشاء ابن
حداد الكاتب ، وانصرفنا إلى أبيه ، وعرفناه ما جرى بيننا وبينه .
ولم تزل بينهما مكاتبات ومراجعات .

(١) يليق ويلحق

ثم دعت العباس حماقته [إلى] الخروج إلى إفريقية^(١) ، ثقةً بما معه من المال والعدة والعدة ، ورأى أن ذلك يُقيمه ويوصله إليها . وحسن ذلك وأطعمه فيه أصحابه ، ليعدوا عن أبيه ، وصغروا عنده أمر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب صاحب إفريقية ، وكان وجوه البربر فتسرع إليه منهم جماعة كبيرة العدة ، صغيرة العدة ، وفرق فيهم صدراً^(٢) من المال الذي كان معه ، وتخلّف عنه أكابر القبائل ، واعتلّوا عليه بأن بينهم وبين قوم ترات ، ولا يأمنونهم عند خروجهم عن أوطانهم على أموالهم وحرّمهم ، فرأى أن من حصل معه كاف له .

فشل العباس
وهزيمته في إفريقية
وبرقة والتخاره
بنفسه

وكتب إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب يقول : إن المعتمد بالله أمير المؤمنين قد قلّدني إفريقية ، وأنه أمره بالخروج إليها . ويأمره بإقامة الدعوة له ، ورحل بأكثر من معه وأكثر المال والذخائر ، حتى انتهى إلى حصن يقال له : « لبدة » ففتح أهله له ، وخرج إليه عامل بن الأغلب به ، فتلقاه بأجمل تلق ، فقابلهم بضد ما استحقوه منه ، وأطلق لأصحابه نهب الحصن ، فنهبوا وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وهتكوا من لم يصلوا إلى سيده ، فهرب أهل الحصن إلى إلياس ابن منصور الزناتي [النفوسي] رئيس الأياضية^(٣) ، واستغاثوا إليه ، وشكوا

(١) تونس (٢) صدر الشي : طائفة منه (٣) الأياضية : فرقة من الخوارج تقول بإمامة عبد الله بن إمامهم اليوم في تونس وطرابلس وعمان وزنجبار . والخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لما رضي بالتكليم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان . وانشأ الأياضية دولاً في إفريقية وعمان في القرون الأولى للإسلام

ما نالهم منه ، فدخلته حمية الاباضية ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وكان العباس قد كاتبه يأمره بالسمع والطاعة له ، وإلا رحل إليه ، ووطئ بلده ، وبلد النفوسي بعزل عن الناس ، ممتنع لاجدته وكثرة أهله وقوتهم ، ولم يؤد النفوسي إلى ابن الأغلب طاعة قط ، فرد الجواب مع رسوله يقول : قل لهذا الغلام إنك أقرب الكافرين مني وأولاهم بجاهدي ، وقد ظهر من قبيح فعلك ما لا يمكنني معه التخلف عنك وعن جهادك ، وأنا على أثر رسالتي إليك .

وكان ابن الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قره ب عامل طرابلس بخادم له يعرف ببلاغ ، في جمع من أهل القيروان كثير ، فالتقى مع العباس ، وكان القتال بينهم مناوشة لا مناجزة ، فقاتل العباس فيها قتالاً شديداً بنفسه ، وكان مع نقص عقله من الرجال الفتاك ، وكان جيد الشعر . [ومن شعره يفتخر] :

إلى الهياج ونار الحرب تستعز	لله دري إذ أغدو على فرسي
في حده الموت لا يبقي ولا يذر	وفي بدي صارم أفرى أرووس به
فها أنا أليث وأصمصامة أذكر	إن كنت سائلة عني وعن خبري
فوقي لمفتخر بالجود مفتخر	من آل طولون أصلي إن سألت فما
مجداً أناف به أباه الفرر	ورثت مجد أبي عنه وورثني

(١) كذا في خطط الفرزي وتاريخ ابن عساكر ، وفي الأصل : من آل ملولون فاعلم إن عدلت فما الخ

لو كنت شاهدة كرتي بليدة^(٢) إذ بالسيف أضرب والهامات تبتدر
يدعون لا أين والعباس يقدمهم كأنهم حمز وألليث مقاسر
إذا لعابنت مني ما تسير به عني الأحاديث والأنباء والخبر
فلما كان من غد ، غاداه النفوسي في اثني عشر ألف مستنصر مقاتل ،
وزحف إليه أيضاً بلاغ بعسكره من خلفه ، فأطبق عليه العسكران ،
فقتل من أصحابه خلق كثير ، ولولا شجاعته ورُجلته^(٣) لأخذ .
فدعته الضرورة ، بقتل من قتل من أصحابه ، إلى أن انهزم ، ولحق
فكاد أن يوتر ، حتى أقبل بجزائه ولطف الله عز وجل به وبعونه ،
وأخذ سواده وذخائره ، وجنيع ما كان معه من المتاع والأموال
والسلاح ، وما حصله معه له من مصر ، وعاد إلى بركة أقبح عودة .
وكان معه أمين الأسود مقيداً فتخلص من القتل ، لأنهم علموا بقيده
أنه حرب له ، وكان قد أطلق الواسطي بضمان جماعة من التجار
ببرقة إحضاره إيام متى طلبه ، فكان عندهم مكرماً .

وشاع الخبر بمصر أن العباس قتل ، فتبين الناس في وجه أحمد
ابن طولون كآبة شديدة ، وغماً ظاهراً . لأنه وقع بذلك بين شرين :
أثم ابن طولون من الحالة التي أداء إليها الله

(١) في معجم البلدان أن بلدة مدينة بين بركة وإفريقية (تونس) وقيل بين طرابلس وجبل
نفوسة وهو حصن من بليان الأول بالحجر والاسبر وحوله آثار عجيبة . وذكر أنه كانت فيه
وقعة بين أبي العباس أحمد بن طولون وأهل إفريقية . وذكر ابن فضل الله العمري في مسالك
الأبصار أن هذه المدينة بركة مما يقابل أطرابلس الغربية وأنها أصبحت خراباً ياباً في عهده
(٢) رجل بين الرجولة والرجلة والرجولية بضمين والرجولية بالفتح

منها فقد ابنه إن صح ، وذهب جميع ما كان معه ، ومنها الترة التي تقع بينه وبين النفوسي وابن الأغلب ، إن أمسك عنها انحلت منزلته ، وإن نهض إليها فبانفاق الأموال الجلييلة العظيمة التي لم تكن في حسابه . فلم يزل مغموماً مهوماً حتى صحت عنده سلامته ، فحمد الله جل اسمه وتصدق بمال كثير .

كتاب العباس
لأبيه

وكان مما أفاض أحمد بن طولون من مكاتبات ابنه العباس إليه ، حتى استخفه إلى الخروج إلى الإسكندرية بنفسه ، قوله في كتابه من إنشاء جعفر بن حدار : إلى الأمير أبي العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين من عبد الله مولى الله ، المتمسك بمناجي طاعة الله ، المنحرف عن زيع ظلم المعصية إلى وضوح سر البصيرة ، القابل من الله موعظته ، والعامل بما أمر به ، إذ يقول جل ثناؤه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وقوله عز وجل (فَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) سلام على الأمير ، وعلى من استرجع وادّكر ، وفكر وازدجر ، فأنا أحمد إلى الأمير الله لا إله إلا هو ، العاطف بي إلى أرفع سنن الهداية ، والعاذل بي عن ظلم سنن الجهالة ، وأسأله صلاة تامة يخلص بها وليه وخيرته من صفوته ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد وفق الله الأمير لمحال رشده ، وجنبه مقايح أمره ، وسخر

له الخلق عن غامض ذكره ، فإن كذاب الأمير ورد على الخائد منه
 عن سبيل العظة والتذكير ، إلى سبيل التهديد والتحذير ، فبعد وقرب ،
 وآنس وهدد ، وجمع وفرع ، يبذل من نفسه باليسير فيها ، ويدعو
 إلى الصلة ويحدث غيرها ، ويعرض من ماله الأنفس ، ويصير من
 خطابه الأثر ، ويعدد من واجب حقه ، ولازم مفترضة ، ما اعترف
 به مصداقاً لمن اعترف بالطاعة محققاً ، وأذعن به لمن أذعن وحاد عن
 الشك ، ووقفت منه على ما أطلب حاسطاً وحواف عاماً ومهمه (?) فإن
 استخذأت لاتباع موافقتك ، وتطامنت برعاً عبر محاوربك (?) فلقد
 اضطررتني الطاعة ، وأنجذتني الحاجة ، إلى إقامة عذر يتضح لك في
 استجلاب مرضاتك ما تجاوزت عما يدهمني ، فهبت في جواب الأمير
 مقام الأمير .

إن فهت ضاع دمي (?) وإن سكت فمثل النار في كبدي
 وبالله أستعين على بلوغ طاعته ، وإليه الرغبة جل اسمه في استصلاحك ،
 وتحصينك من زيف شيطانك ، وأما ما قرعت بذكره ووبخت موضعه في
 غير كتاب صدر منك في غير جواب ورد ، من انحرافي عن سبيل طاعتك
 وجنني عن موالاتك ، والتماسي ابتزاز ملكك ، قولذي اضطرني إلى
 مجادلة من أوجب الله عز وجل علي حقه ، فإن حججته أوحشته ، وإن
 قصرت عن الحجة نقصت عنده ، ما حلت عن مخايل ظنك ، ولا كنت
 بذنشات إلا تحت طاعتك ، لكنه اكتنفتي أمران واجبان مقرون

حقها بحق الله جل اسمه وحق رسوله صلى الله عليه وسلم . وسمعت
الله جل اسمه وعلا يقول : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ
إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ)

فكان أكبر ما عندي في تأدية حقك القعود عن نصرة من لزمي
مشايعته ، ووجبت عليّ معاونته ، وقبلت من الله عز وعلا أدبه في
حسن هجرتك . يقول الله عز وجل : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)
فلو ذهبت إلى ذكر ما أتى الله به عز وجل في كتابه المنزل على نبيه
صلى الله عليه وسلم لطلال به كتابي ، وقامت به عليك حجتي . والآن
فقد خليت عما قلديهِ أمير المؤمنين ، وما قبلت له تكميرته وإنعامه
من جميع أعمال حضرته ، خوفاً من أن أقوم فيها بالحق فأسخطك ،
وانكفأت إلى هذه الناحية هرباً من موجدتك ، وطلباً للقيام بحقك ،
أيها الأمير ، ولا أبين بقيامي فيما جعل إليّ ما يخلفك فيه النقيصة ،
إذ كان حب أمير المؤمنين قد اضطرب في يدك ، فوهت قواه وانحل
مبزمه . وتذاكت "عساكره في ذلك ، كما تذاك الأبل اللواقح ،
على الحياض الطوافح " وسيل من اتبع رضاك أيها الأمير ، وتوقف

(١) تذاك عليه القوم إذا ازدحموا عليه وفي حديث علي رضي الله عنه ثم تذاكتم علي تذاك
الأبل الهيم على حياضها ، أي ازدحمتم

عما نكره التصرف فيه ، أن تعرف له ذلك ، ولا تجازي عليه
بخلاف ما يستوجب .

وأما تخويفك أيها الأمير أيابي بخيلك ورجلك ، وعددك وعتادك ،
فلو نظرت بعين النصفة ، ونطقت بلسان المعدلة ، لانفرج عن لُبِّك
رَيْنَ الشبهة ، واذفتح من سمعك ما استد سمعه بالشهوة ، فسمعت بعد
وَقَرَّ ، وعرفت بعد نُكْرٍ ، أني لو آثرت ما إليه قصدت من مقاومتك ،
لدفعتك عن محل عزك ، وما انحرفت عن دار ذُلك ، ولأُقيمت بها
مظهراً الحق . داعياً إلى طاعة الله عز وجل ، وفي جواري من يجيب
صريح الحق إذا استصرخته ، ثم لو كشف لك عن قناعه ، وحسر عن
ذراعه ، لتطامننت لو طأته الليوث الغضاب ، ولتضعضعت لروعته الصم
الصلاب ، فلو لزمتم ما بدر إليه ظنك لغوّرت مشاربك ، ولَدَثَرْتِ
مَسالكك ، ولاستصعب على الراكب مركبه ، ولحيل بينهم وبين
ما يشتهون . لكنني آثرت الله عز وجل وما لديه ، فألقيت أزيمة أورك
سخياً بها ، وسوّغتكم مطرحاً لها زاهداً فيها ، وانقطعت إلى ناحيتي هذه
لقلة قدرها ، وبعد محلها ، لأخفي شخصي بها لا لما شرطت القول فيه ،
وأطلت الخطب به ، والله جل وعز يجزي الشاكرين .

وأما عرضك أمانك قبل انجذاذ الحبل ، فإن الله تبارك وتعالى
يقول : (وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا
لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ويقول جل اسمه : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) ولقد مدح خليله صلى الله عليه وسلم في قطعه رحمه فيما حصر دينه فقال : (وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .
والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول .

فلما ورد كتابه أغاظه وبلغ منه ، وخرج إلى الإسكندرية وأجابه يقول ^(١) :

كتاب أحمد بن
طولون لابنه
العباس

إلى الظالم لنفسه ، العاصي لربه ، المثلّم لدينه ^(٢) ، المبخوس من حظّ دنياه وآخرته . سلام على كل مُنيب ، مستجيب من قريب .
أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تُثير المَدْيَةَ بقرّنها ، والنملة يكون حتفها في جناحها ، وستعلم ، هبلك ^(٣) الهوابل ، أيها الأخرق الجاهل الذي ثنى عن الحق عطفه ، واغترّ بضجيج المواكب خلفه ، أيّ مورد هلكة سلكت ، إذ على الله جل اسمه تمرّدت ، فإنه تعالى قد ضرب لك (مثلاً قَرِيبَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَآذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ

(١) عارضنا هذه الرسالة على رواية صبح الأعشى وقد جاءت فيه ، مطولة ، وقال القلقشندي :
إيها من قلم ابن عدكان من كتاب الدولة الطولونية . (٢) في الصبح : الملم بذنبه
(٣) هبلته أمتة نهيله هبلاً ، نكته وهبهم الهبول أي نكتهم الشكول وهي فتحة الهاء من النساء
التي لا يبقى لها ولد . والشكل يضم التاء : فقد الولد .

الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(١) . واعلم أَنّ البلاءَ
بإِذْنِ اللَّهِ قَدْ أَظْلَكَ ، وَالْمَكْرُوهَ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ، وَالْعَسَاكَرَ قَدْ
أَتَتْكَ كَالسَّيْلِ فِي اللَّيْلِ ، تَوَذَّنْكَ بِحَرْبٍ وَوَيْلٍ ، فَإِنِّي لَا أَقْسَمُ ،
وَأَرْجُو إِلَّا أَجُورَ وَأَظْلَمَ ، إِلَّا أَتَيْتَنِي عَنْكَ عَنَانًا ، وَلَا أُؤْثِرُ عَلَى شَأْنِكَ
شَأْنًا ، فَلَا تَتَوَقَّلْ ذُرْوَةً أَوْ تَلْجُ بَطْنَ وَادٍ ، إِلَّا تَبَعْتُكَ وَطَلَبْتُكَ ، حَيْثُ
يَمْتُ وَسَلَكْتُ ، حَتَّى تَسْتَمِرَّ مِنْ عَيْشِكَ مَا اسْتَحْلَيْتَ ، وَتَسْتَدْفِعَ مِنْ
الْبَلَاءِ مَا اسْتَدْعَيْتَ ، حَتَّى لَا دَافِعَ ، بَعُونَ اللَّهُ ، يَدْفَعُ عَنْكَ ، فَتَعْرِفَ
مِنْ قَدْرِ الرِّخَاءِ مَا جَهِلْتَ ، وَتَوَدَّ أَنَّكَ هَلَكْتَ ، وَلَمْ تَأْتِ بِمَا إِلَيْهِ
عَجَلْتَ ، وَلَا رَأْيَ مِنْ أَطَافِ بِكَ مِنَ الْغَوَاةِ قَبْلَتْ . فَحِينَئِذٍ
يَتَفَرَّغُ^(٢) لَكَ اللَّيْلُ عَنْ صَبْحِهِ ، وَيَسْفِرُ [لَكَ] الْحَقُّ عَنْ نَصْحِهِ ، فَتَنْظُرُ
بَعِينَ لَا غِشَاوَةَ عَلَيْهَا ، وَتَسْمَعُ بِأَذْنٍ لَا وَقْرَ فِيهَا ، وَتَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ
مُسْتَمْسَكًا بِجَبَلٍ غَرُورٍ مَتَادِيًا ، وَمَسَالِكًا سَبِيلَ ضَلَالٍ لَا تَجِدُ لَهُ
هَادِيًا ، مِنْ عَقُوقٍ لَا يَنَامُ طَالِبُهُ ، وَبَغْيٍ لَا يَقُوتُ هَارِبُهُ ، وَتَقِفُ عَلَى
سَوْءِ رَوِيَّتِكَ ، وَعَظِيمِ جَرِيرَتِكَ ، فِي تَرْكِكَ قَبُولِ الْأَمَانِ ، وَهُوَ لَكَ
مَبْذُولٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ مَحْمُودٌ ، وَالْيَدُ عَنْكَ كَافَّةٌ وَالسَّيْفُ عَنْكَ مَغْمُودٌ ،

(١) فِي صَبْحِ الْأَمْسَى هَذِهِ الزِّيَادَةُ : وَإِنَّا كُنَّا قَرِيبًا إِلَيْكَ ، وَنَسَبُكَ إِلَى يَبُوتَا ، طَعْمًا فِي إِيَابَتِكَ ،
وَتَأْمِيلًا لِفَيْتِكَ ، فَلَمَّا طَالَ فِي الْبَغْيِ انْتِهَاكَ ، وَفِي غَمْرَةِ الْمَجَاهِدِ ارْتِبَاكَ ، وَلَمْ تَزَلِ الْمَوْضِعَةَ مَبْلِينِ
كَدِّكَ ، وَلَا التَّذْكَيرَ يَتِيمِ أَوْدِكَ ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ الْمَسْبَةِ أَهْلًا ، وَلَا لِإِصْطِفَاكَ إِلَيْنَا مَوْضِعًا وَعِلَاءً ،
بَلْ لَا نَكُنِي بِأَيِّ الْعَاسِ إِلَّا تَكْرَهًا ، وَطَعْمًا مَازِيًا بِرَأْفَةِ اللَّهِ مِنْكَ خَلَاءُ غِلَاظِ اسْمِكَ ، وَنَكُنِي
بِهِ دُونَكَ ، وَنَعْدُكَ كَتْمًا نَسِيًّا ، وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَقْتَضِيًا ، فَانْظُرْ وَلَا تَنْظُرْ بِكَ إِلَى عَارِ
نَفْسِهِ تَهْلُوتُ ، وَنَحْطُ مِنْ قِلْتَا تَرْضَيْتُ (٢) تَرَى : انْشُرْ

فتعلمه ، واللهف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه سريعاً ، وأقبلت نحوه هرعاً ^(١) واعلم أنك لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ، ولا تأتي بلداً إلا قفوتك ، ولا تلوذ بعاصم لينجيك ، إلا استعنت بالله عليه وعليك ، فما يجيرك إلا أحد رجلين إما لدين أو لدنيا ، فأما الدين فأنت بحكمه مفارق ، لأنك عاق مشاقتك ، وأما الدنيا فما أحسبه بقي معك من حطام ما سرقتك ، مما حملت نفسك على الاستبداد به ، ما يفي بك أكثر تنا ، مع ما وهبه الله جل اسمه لنا من جليل نعمه التي نستوزعه الشكر عليها ، ونرغب إليه في إدامتها ^(٢) . وما دعائي إلى إرفاقتك ، والتسهيل

(١) وردت في صبح الأعشى هذه الجملة بعد ذلك : وإن مما زاد في ذنوبك عندي ، ما ورد به كتابك علي بعد نقوذي إلى القسطنطينية من التوبيعات والأطاليل ، والعدايات بالباطيل ، من مصيرك بزمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد علي حتى مكنت إلى الإسكندرية ، فأقت بها طول هذه المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطاً لمن عسى أن يتعاضد به معذرة علم بأن الأناة غير صادة ، ولا أنه خالجي شك ولا طارضي ريب في أنك إنما أردت التزويج والاحتياال للهرب ، والتزويج إلى بعض المواضع التي لعل قصدك إياها يودي بك ، ولعل مصيرك إليها يكفينيك ، ويبلغ الي أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله لا تقصد الخ .

(٢) وهنا زيادة كبيرة في رواية صبح الأعشى منها : وأما ما مبتدأ من مصيرك إلينا في حدودك وجودك ، ومن دخل في طاعتك ، لإصلاح عملنا ، وكافحة أعدائنا ، بأمر أظهِرنا فيه التمامة بنا ، فما كان إلا بسبك ، فأصاح أيها الصبي الأخرق أمر نفسك قبل إصلاح عملنا واحزم في أمرك قبل استهلاك الخزم لنا ، فما أحوجنا الله ، وله الحمد ، إلى نصرتك ومؤازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكرار بك على ذنوبك ومصيبتك « وما كنت متخذ المضللان عضداً » .

وليت شعري على من تهول بالجنود ، وتغترق بذكر الجيوش ، ومن هؤلاء المسغرون لك ، الباذلون دماءهم وأولادهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق ترزقهم إياه ، ولا عطاء يمدده عليهم ، فقد علمت إن كان لك تمييز أو عندك تحصيل ، كيف كانت حالك في الوقعة التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلك أولياؤك والمرزقة معك حتى هزمت ، فكيف تغتر عنك من الجنود الذين لا اسم لهم معك ، ولا رزق يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والادارة لك والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير ، والعطاء الجزيل ، —

من خناقك طول هذه المدة إلا أمور، منها استضعاف أمرك واحتقاره،
وقلة الاحتفال به واستصغاره، ومنها أنا جعلنا تركك على ما اخترته
عقوبة لك من إياك إلى أقصى البلاد، مبعداً عن الوطن والأهل والراحة
والمهاد، وقد فارقت بلدك، وحرمت أهلك وولدك، ومنها أنا علمنا
يقيناً أن الوحشة دعتك إلى الانحياز حيث انحزرت، فأهملناك
ليسكن نفارك، وقلنا إنك تحن إلينا حنين الولد ذي الحسب،
ونتوق إلينا توقان ذي الرحم والنسب^(١)، فلم تسمع من وعاظ ولم تعتد
بمحافظ : وأما الآن، وقد اضطررنا إلى الانزعاج فحوك، لاستعمالك
المواربة والمخادعة فيما يجري عليه تدبيرك، فما أنت بموضع للصيانة،
بل حقيق باللعنة والاهانة، فعليك من ولد عاق لعنة الله ولعنة اللاعنين،
والملائكة والناس أجمعين، لا قبل الله لك صرفاً ولا عدلاً، وحاط
بك حيث كنت ولا حاطك حيث توجهت^(٢)، وستعلم أيها المخالف

— عندنا لا يبعد عنك وإنهم لا حرى بمثل ذلك، والميل إلينا دونك، ولو كانوا جميعاً معك ومعينين على
نصرتك، لرجونا أن يمكن الله منك ومنهم، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم، ويجري ناسن عاده في
النصر، وإعزاز الأمر، على ما لم يزل يتفضل علينا بأمثاله، ويطول بأشبهه، فادعاني إلى . .
(١) زادني صبح الأعشى : فإذ في وقتنا بك ما يعطفك إلباء، وفي تأخينا إياك ما يردك علينا،
ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملائمة انتقاصاً بك، ولا غضاً منك، ولا قدحاً منك، رقة عليك،
واسقاماً لأبد عندك، وتأميلاً لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك، والموفق بذلك لرشدك وحظك .
(٢) وهنا جاء في الأصل الذي نقله القلشندي في صبح الأعشى ما يأتي : فوالله لا تستعملن
لنك في دبر كل صلاة، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار، والدنو والآصال، ولا كتبت
إلى مصر وأجناد الشامات والتنوير وقنسرين والمواسم والجزيرة والحجاز ومكة والدينة كتباً تقرأ
على منابرها فيك، بالإن لك والبراءة منك، والدلالة على عقوقك وقطيعتك، يتناقلها آخر عن
أول، ويأثرها غابر عن ماض، وتخذل في بطون الصحائف، وتحملها الركبان، ويتحدث بها
في الآفاق، وتلتعن بك وبأعقابك عاراً ما اطرد الليل والنهار، واختلاف الظلام والأنوار .

القاطع رحمه العاصي ربه ، أي جنابة على نفسك جنيت ، وأي كبيرة أنبت ، فتندم إن كانت لك روية ، وفيك فضل إنسانية ، وتود أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ، إلا أن ترجع ^(١) رغباً ، وتسرع خاضعاً إلى ما قبلنا ، فنقيم الاستغفار لك مقام اللعن ، والرقعة مقام الغلظة والوهن ، والسلام على من سمع الوعظ فوعاه ، وذُكر بالله فائقاه .

فشل عصيان
العباس

وسير من الإسكندرية إليه العساكر ، وهم بالنفوذ إليه بعدهم ، حتى وافاه الواسطي ، لأنه تهيأت له الحيلة عند انهزام العباس من النفوس فتخلص بذلك ، وعمل الحيلة حتى هرب منه إلى أبيه ، فوافاه وقد تم عزمه على الاحقوق بالعسكر ، فمنعه وقال له : حاله أصغر من ذلك ، وأنا أكفيك أمره مع بعض قوادك ، والصواب أن ترجع إلى بلدك ، ومقر عزك ، قبل منه ، وأنفذ الواسطي مع طبارجي وجماعة من وجوه أصحابه ، وطبارجي مؤثر على الجيش ، وعاد أحمد بن طولون إلى مصر ، فلما قرب طبارجي من العباس خرج إليه مدلاً بنفسه ، ونسي هزيمته في أمسه . فلما التقى العسكران استأمن إلى طبارجي جماعة من وجوه أصحاب العباس قبلهم ، وخلع عليهم ، وقامت الحرب بينهم على ساق ، وتعارك الفريقان ، فصبر أصحاب العباس الباقون هنية ،

(١) مي صبح الأعتى : إلا أن ترجع من طاعتنا والإسراع إلى ما قبلنا خاضعاً ذليلاً كما يلزمك منقيم

حتى دهمهم مالا طاقة لهم به ، ثم ولّوا منهزمين ، لا يَلُؤُون على شيء
فذكرت قول البحري :

لَمَّا رَأَوْكَ تَبَدَّدَتْ آرَاؤُهُمْ وَغَدَا مُصَارِعُ حَدِّهِمْ مَصْرُوعَا
فَدَعَوْهُمْ بِظُبَا الصَفِيحِ^(١) إِلَى الرَّدَى فَأَتَوْكَ طُرًّا مُهْطَعِينَ خُشُوعَا
حَتَّى ظَفِرْتَ بِعِزِّهِمْ^(٢) فَتَرَكْتَهُ لِلذِّلِّ جَانِبُهُ وَكَانَ مَنِيعَا
فقتل منهم وأسّر خلقاً كثيراً ، وولى العباس منهزماً في شرذمة من
غلمانة ، وسرّب طبارجي خلفه الرجال ، وبادر فكتب إلى أبيه كتاب
الفتح ، وكتب بذلك الواسطي نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت غروب الشمس ، من
يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وقد وضعت الحرب أوزارها ،
وأظفر الله جلّ اسمه عبد الأمير ، وجمع أوليائه ، وأيدهم ونصرهم ،
وأحسن معونتهم ، ودمر على الملعون العاق الشاق الغادر العباس ،
وضرب وجهه ، وقتل أكثر الفجرة الذين كانوا معه ، وأمکن من
خلق كثير منهم ، والحمد لله الذي أجرى الأمير أيده الله على عوائده
عنده ، وجعل أوليائه المنصورين ، وحزبه الغالبين ، وأعداءه ومن
عدل عن أمره المقهورين ، حمداً يكون قضاء لحقه ، وكفاً لإحسانه ،
وامتراءً للمزيد من فضله ، تبارك اسمه وجل ثناؤه .

(١) في ديوان البحري : فدعوتهم بطي السيوف إلى الردى .

(٢) في الديوان بدم بدل بعزم ودم مدينة بملك الحرّمي الذي أسره الاثنين وقتله المعتصم
وبعني أن تكون يدهم واليد الصم

و كنت عند نزولنا المنزل المعروف بدي حى (?) قد أكلتُ أمر
 المقدمة والساقة والميمنة والميسرة ، وسرنا على تعبئة ، حتى وافينا المنزل
 المعروف بدينار الذي كتبت كتابي هذا منه ، وكان اللعين قد وافى
 هذا المنزل من أول النهار ، مستعداً بجموعه وحشوده . فلما توافقت
 القشتان تسرع إلينا مُدِلّاً بنفسه ، متمادياً في غيّه ، فحملت ميمنته على
 ميسرتنا ، فأعان الله ، جل اسمه وله الحمد ، الأولياء على فلّها ، وحملت
 ميسرتنا على ميمنته ، وحملت أنا في أثرها من القلب ، محتسبين واثقين
 بنصر الله عز وجل ، متوكلين عليه ، فولى انقوم منهزمين ، قد ضرب
 الله وجوههم ، ومنح أكتافهم ، وقذف الرّعب في قلوبهم ، وأتبعهم
 الأولياء يقتلون فيهم ، ويأسرون منهم ، وقبل ذلك ما استأمن إلينا
 جماعة من مشهورهم ، كتابي يرد على الأمير أيده الله بأسمائهم ، ولم
 يُصِبْ أحداً من الأولياء بحمد الله شيءٌ يكرهه ، ومضى اللعين
 على وجهه في نفر يسير من غلّانه ، فأتبعته بصيراً وانعج وكنجوراً ،
 وهم مدرّكوه بمشيئة الله وعونه ، وفي غدٍ نكتب إلى الأمير أيده
 الله بشرح انقصة ، وبأدرك كتابي بهذه الجملة ليتعجل الله عز وجل إليه
 السرور بما منّ الله جل اسمه ، ويحمده على ما أولى من إنعامه .»

قال مؤلف هذا الكتاب . وورد الخبر بأن الطائفة التي أنفذها
 طبارجي خاف العباس لحقته ، قتل من غلّانه جماعة ، وقبضوا عليه

أسر العباس وحمله
 إلى أبيه مقيداً

أسيراً فأتوا به طبارجي ، فقيده وحمله من وقته إلى أبيه ، وأمر
بصيراً وانعج وكنجوراً أن يتقدموا به إليه ، وأنفذ كتاباً بالشرح ،
فلما وصل إليه الكتاب ، حمد الله كثيراً وتمثل ، وما تمثل بشعر قط :
وَبَعَثَ^(١) مَنْ وَلَدَ الْأَغْرَمَ مَعْتَبَ^(٢) صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَوْسِجِ^(٣)
فَإِذَا طَبَخَتْ بِنَارِهِ أَلْضَجَّتْهَا وَإِذَا طَبَخَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تُنْضِجْ
وَهُوَ الْهَزَبُ^(٤) إِذَا أَرَادَ فَرِيَسَةً^(٥) لَمْ يَنْجِهَا مِنْهُ صِيَاخُ الْمَجْجِجِ^(٥)
ومد طبارجي إلى برقة ، فدخلها وأصلح من حالها ما كان فسد ،
واستخلف فيها خليفة ورجع إلى مصر ، وحمل بين يديه الأسرى
والرؤوس ، ودخل إلى البلد على تعبئة حسنة وترتيب . فلما وافوا
بالعباس إلى الجيزة أخرج إليه جميع الجيش ، وذلك في سنة سبع
وستين ومائتين ، فلما لقوه زفوه^(٥) بين أيديهم وأدخلوه البلد في قبة

(١) هذه الآيات لسران بن عصام أوردها في العقد الفريد وقال : إن عبد الملك سأل عن عمران
ابن عصام قتل له : قتله الحجاج قال : ولم ؟ قال : لخروجه مع ابن الأئمت قال : ما كان ينبغي
له أن يقتله بسن قوله ، وبعث الآيات ، وفي البيان والتبيين أن عمران بن عصام العنزي كان من الشعراء
الخطباء وهو الذي أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته
المشهورة وقصيدة المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال : ولم
قتله وله ؟ هلا رعى قوله فيه ، وذكر الآيات الثلاثة والآيات في الأصل كثيرة التعريف
فأصلها من البيان والتبيين والعقد الفريد (٢) معتب هو أحد أجداد الحجاج فهو أبو محمد
الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب وفي الأصل :
معتباً صقراً يكون الخ (٣) في البيان والتبيين : العرفج بدل العوسج

(٤) قال في البيان والتبيين : صياح الهجج صياح لطرذ الأسد وزجره . وفي الأصل :

وهو الهمام إذا يريد فريسة لم ينجها منه محي — وهج

(٥) زفوه : أسرعوا به

مكشوفة وهو مقيد ، وعليه قرطق ملحم^(١) ، وعلى رأسه عمامة^(٢) فشقوا به البلد ، حتى إذا وافوا به الثلاثة الأبواب ، أمر أبوه بإنزاله عن القبة ، وأركب بغلاً بكاف ، وساروا به كذلك حتى إذا بلغ إلى باب الميدان أوقف موضعه في الشمس .

وأدخل بصير وانعج وكنجور وأصحابهم فخلع أبوه عليهم ، وأحسن إليهم ، وأخرجوا بين يديه ، وهو يرى ما فعل بهم من الجمل ، وهم مسرورون فرحون ، وأمر به إلى حجرة فاعتقل فيها ، ولم يزل معتقلاً حتى وافى طبارجي .

عودة الحملة إلى
مصر وقتل
العباس ورجاله
بيده وعفو الأمير
عن اثنين

فلما وافى أمر أحمد بن طولون بإخراج الجيش لتلقيه فخرج بأسره وتلقي ، ودخل ودخلوا بين يديه في أحسن زي وأجل نعية ، والأسرى بين يديه والرؤوس ، فشق البلد حتى وصل إلى الميدان ، فلما دخل إلى أحمد بن طولون خلع عليه خلعاً حسناً ، وحمل بين يديه أكياساً كثيرة دنانير ودراهم ، وحمله على فرس نادر بسرجه ولجامه ، وخيل تُقاد بين يديه ، وانصرف إلى داره في أجلّ حال

وأمر أحمد بن طولون بالأسرى إلى الحبس ، وبالرؤوس أن تنصب على انقيسي ليراها من لم يرها ويشاهدها ، ويُشاهد منها كل معروف ، فيأيس منه من أهله ممن خفي عنهم أمره . وأمر بأن تبني

(١) القرطق : القباء ، والملحم : ضرب من الثياب ليست لحمتها من حرير ، وبذلك يتميز عن الثياب الدياج (دوزي) (٢) كنفها في ابن الداية ، وفي الاصل : مام ،

دكة عظيمة السمك عالية خارج الميدان فبنيت ، فلما فرغ منها ركب إليها ، وصعد من سلم عمل لها [من] حجارة عظيمة ، ففرش له عليها ، وجلس عليها وحده ، منفرداً من سائر أصحابه ، إلا خواص غلمانه فأول من دعا به فقدم أبو معشر فضربه ثلاثمائة سوط ، وأمر بالعباس فأحضر ، وأوقف بين يديه ، فأمره بأن يقطع يدي أبي معشر ورجليه ، فدفع إليه سيفاً فتقدم فقطع يديه ورجليه ، وألقي من أعلى الدكة إلى الأرض ، فمأ وصل إلى القرار حتى مات ، ثم قدم إليه المعروف بالمتوف فأمره أيضاً فقطع يديه ورجليه ، ورمى به من أعلى الدكة إلى الأرض ، ثم قدم ابن حدار^(١) الكاتب ، وكان غيظه عليه أشد ، وحققه عليه أعظم ، لأن كتب العباس إليه كانت بإنشائه ، فأمره فقطع يديه ورجليه ورمى به إلى الأرض .

وكان أحمد بن طولون إذا قرأ كتاباً من العباس إليه ، تمر به اللفظة البشعة فيقول : هذا من كلام أبي معشر ، وهذه اللفظة من كلام الشيخ السوء ابن حدار^(٢) ، وهذا من كلام فلان ، وهذا من كلام فلان ، لأنه كان يعرف كلام كل واحد منهم ومذاهبهم . ثم ضرب أعناق الباقين من الأسرى ، أعادنا الله من البلاء كله ، إلا رجلين من عليهما بالعفو لحرمة كانت لهما به . أحدهما جعفر بن يار جوخ لأنه كان زوج ابنته ، ولأن أباه كان صاحبه ، فأمر بحبسه ، ثم أطلقه على أن يطلق ابنته ،

(١) في بعض المصادر : ابن جدار بالجيم بدل الحاء .

ويخرج عن بلده فطلقها ، وخرج فمات بنواحي الموصل ، ورجل يعرف
بابن عبيد ، ذُكر لأحمد بن طولون أنه خلص ابنه العباس من النفوسي
بالغرب في وقت محاربتة له ، وأنه لولاه ، ودفعه عنه ، وبذله مجبودة
في محاربتة عنه ، لكان قد أسر وقتل ، فحفظ له أحمد بن طولون ذلك
في العباس ، فعفا عنه وأطلقه ، وأحسن إليه واصطنعه .

فلما فرغ العباس من قطع أيدي أصحابه^(١) دعا به أبوه فقال له :
قبح الله هذا من رأي وعقل ، ويل لك بهذا العقل وبهذا الرأي
قد رت الرياسة ؟ يا ويلك لم لم تجعل العوض من مبادرتك وتسرعك
إلى قطع أيدي أصحابك هؤلاء ، استلقاءك بين يدي ، وتضرعك
إلي ، ومسألتك إياي الصفح عنهم وعنك ، والعفو عن جميعكم ؟

تقريع ابن طولون
لابنه وضربه بيده
مالة مقرعة

(١) كان العباس من اسخف الناس ، ورث من أبيه استبداده وقسوته ، ولم يرث إدارته
وسياسته . روى ابن الداية قال : حدثني أحمد بن يعقوب ، وكان يتولى خراج برقة من قبل أحمد
ابن طولون في الوقت الذي خرج فيه العباس فأقره عليه . قال : ما عاشرت رئيساً قط أجراً على
نفس وثقة من العباس ، ولا أقسى قلباً عند استرحام منه . ولقد انصرف إلينا من هزيمته ، وقد
تضاعف سوء ظنه ، وتندم على تقريبه فيما كان بذله أبوه بيرة فأبكي العيون . ولاحظ ثلاثة خدم
صغار يشاورون ، فأمر بالثقرة : يا بزم ، سأل كل واحد منهم عما حاوره أصحابه ، فاختلفت
أقوالهم لصغرهم ، وضعفهم عن الإحاطة بما جرى بينهم ، فأمر بأن تحفر لهم حفيرة ، وألقوا
فيها ، وألقى التراب عليهم وهم أحياء وطم الأرض عليهم . وقال لي : لم يكن في داره إلا خادم
يعرف بأبي نصر ، ذهب عني اسمه ، وإني معه ، لجالس إذ خرج خادم معه فطن مندوف فقال
للخادم : خذ ، فنجي بالتطن مثل اللحاف ، وقام ثابداً حتى رجع إلي فقال : والله لا تأخرت عنه
المقوبة على هذه الأعمال السيئة . قلت : وماذا ؟ قال : أنكر على حظي له ما لا يبالي به ،
فلنه في هذا القطر ، وأخذ الشمعة بيده فلم يزل يشعلها في جوانبه حتى احترق الخادم واحترق القطر

فكان ذلك أجل لك ، وأعظم لمهلك ، وأكبر انزلتك ؟ ونقضي
بذلك حقاً من حمل نفسه في طلب مرضاتك ، ومساعدتك على خُطةِ
الهلاكِ فيها ، وقد فارق وطنه وأهله وولده ، وتبعك في هواك ،
فجعلت ، يا ويلك ، مجازاته على ما تحمله فيك من المكروه ، قطع
يديه ورجليه بيدك ، ثم إبتام ولده وإرمال غياله ، ولكن ما وفقت
لما تأتيه فتصونهم عما حلَّ بهم منك منةً عليك ، وعزيز عليّ أن
يكون هذا وزنك ، ومقدار عقلك .

فلما تفرق الجمع أمر به فبطح ، وضربه يده مائة مفرقة ، فكان
يضربه ودموعه تنحدر ، كأنه [هو] المضروب ، وأمر باعتقاله في داره !

النقل طبع ابن
طولون من البدل
إلى البخل

قال مؤلف هذا الكتاب : وغلب الحسن بن مهاجر على أحمد بن
طولون ، فحسن له جمع الأموال ، ومنعه من سمأحته ، وجُريه على
عادات كانت له جميلة ، فقبل رأيه ، وتغيرت سمأحته ، واستقصى ابن
مهاجر على الناس ، ومنع كل من كان يبسط عليه عائدته ، ويشمله
معروفه وفائدته ، وظهر ذلك فأنحرفت عنه القلوب ، وتغيرت له النفوس
كما قالت الحكماء : ترك العادات ذنب محسوب .

حدث أحمد بن محمد الواسطي أحمد بن إبراهيم الأُطروش بعد وفاة
أحمد بن طولون ، وقد اجتمعا فتنافوا أخباره فقال : فارقت أحمد بن
طولون رحمه الله وقت رجوعه إلى مصر من الإسكندرية ، ورجوعي

إلى بَرَقَة مع طبارجي للقاء العباس ، وهو أمير نبيل سمح ، واسع الصدر
في العطاء والبذل في أبواب الخير ، على حسب ما رأيت منه ، وعدت
من بَرَقَة مع طبارجي إليه ، وهو أمير ممسك ، ضيق الصدر بخيل ،
مُطَرَّح لما جرت به عاداته ، فتطيرت يشهد الله له بذلك ، لأنني مارأيت
سمحاً قط ولا تُحدِّث به انتقل عن سماحته ، ودق نظره في توفير
ماله ، إلا عند حضور منيته .

ولما انقضى أمر العباس ابنه ، وهو كان ابتداء انحلال أمره ، تنكَّر
عليه لولؤ غلامه ، وكان عُمدته ، وعليه كان معوَّله ، لتتم مشيئة الله
عز وجل فيه بانقضاء عمره ، وزوال ملكه ، كما يجري حكمه جل
اسمه على سائر خلقه ، عند انقضاء المدة ، وتكدير المحنة ، وتنغيص
العيش . وإذا أراد الله أمراً أتى بعضه يتلو بعضاً ليؤدب بذلك
المؤمنين . وينبه به الاعتبارين ، ويخفف به عن قلوب المتقللين ، كما
قال بعضهم ^(١) :

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ سِرْبًا لَصَحَّةً وَلَمْ تَخُلْ مِنْ قَوْتٍ يَجِلُّ وَيَعْدُبُ ^(٢)
فَلَا تَغْبُطَنَّ الْمُكْثَرِينَ ^(٣) فَإِنَّهُ عَلَى قَدَرٍ مَا يَكْسُوهُمْ الدَّهْرُ يَسْلُبُ
فلما خلا قلبه من ابنه العباس ، واطمأن بالظفر ، وأمن مما كان
يتخوفه ، تحدرت عليه الغير من جهة أخرى ، فتذكر عليه لولؤ غلامه

تنكر غلام ابن
طولون لمولاه

(١) البيت لابن الرومي (٢) في رواية : ويقرب

(٣) في رواية : فلا تبطن أهل الكثير ، وفي الديوان المترفين

الذي كان أقربهم إلى قلبه محلاً ، وأشدّهم مكرّاً وزُلفى ! رباه صغيراً ، ومدّه كبيراً وكهلاً ، وعلى حسب ذلك سدّه به الثُّلمة التي خاف منها ، وجعله المحامي والذاب عنها ، فكان دخول الخلل عليه من أوكد احتياطه ، وانحلال مبرّمه من أوثق رباطه .

كيس الذهب
وطمع صاحبه

حدث أسامة بن حباب ، وكان مضموماً إلى لؤلؤ ، قال : حمل أحمد بن طولون غلامه لؤلؤاً في خرجته إلى أعماله بديار مصر ^(١) ، بما لا يتسمح به لأحد من أولاده ، ولا غيرهم من خاصة أصحابه المخصوصين به ، من مال ومتاع ، وكراع وآلة ، وكل ما يحتاج إليه وما لا يحتاج ، ثم أمر أن ينادى ، ونحن يومئذ معسكر بمنية ^(٢) مال الله ببراءة الزمة من أي رجل من رجال الأمير أبي محمد لؤلؤ دخل إلى المدينة ، وليست معه حجة منه إلا حلّ به غليظ المكروه . قال :

نفقت لي دابة ، فاستأذنت لؤلؤاً في الدخول إلى القسطنطينية لأعتاض منها ، فأذن لي ، فأخذت كتابه إلى أحمد بن طولون مولاه ، ودخلت ليلاً ، فأني لسائر إذ تعثّر فرسي بشيء ، فنزلت أنظر .

(١) في تقييد البلدان لابي الفداء ان الجزيرة تشتمل على ديار ربيعة وديار مصر وديار بكر وحران مدينة الصائين تعد من ديار مصر والروقة المدينة التي على الفرات تدعى كالأهنة من ديار مصر أيضاً ، وكذلك الرها وسروج ، وقال البكري في معجم ما استعجم : ان الجزيرة هي الكور التي تلي الشام وهي المعروفة بديار مصر وربيعة وبالجزيرة وهي كورة الرقة وكورة الرها وكورة سروج وكورة حران وكورة شمشاط وكورة حصن منصور وسميت الجزيرة لانها بين الفرات ودجلة مثل الجزيرة وقال : ان ديار ربيعة تقسم عدة كور الخ
(٢) لم تعرف هذه البلدة وقد تقدم ذكرها في ص ١٥١ من هذا الكتاب

فأصببت كيساً فأخذته وركبت ، ووافيت منزلي فنظرت الكيس
 فإذا به مملوءً دنانير ، وكانت لي امرأةٌ سالحة ، فحدثتها بخبره ،
 فأحضرت الميزان فوزنت الدنانير ، فكانت سبعمائة دينار ، فقالت لي :
 يا هذا لا تشتره نفسك إليه ، فلعلَّه لمن لا يملك غيره ، ولكن عرفت
 به ، وخذ جعلك منه حلالاً موفراً ، يجعل الله لك فيه البركة ،
 فسكنت إلى قولها ، فلما أصبحت ، أخفيت شخصي من أن يراني
 أحد ، فيعرف أحمد بن طولون خبري ، فأحتاج أن أقيم الحجة في
 دخولي ، فوجهت إلى صديق لي في ابتياع دابة عوضاً من دابتي .

فبينما أنا كذلك إذ سمعت النداء : « من دلَّنا على كيس فيه دنانير ،
 نجعله مائة دينار حلالاً طيباً ، وأجره على الله . » فقالت لي زوجتي :
 كيف ترى ؟ مائة دينار حلال خير من سبعمائة حرام ، فقلت للغلام :
 أدخل المنادي ، فدخل ومعه إنسان من التجار ، سيماه تدل على أنه
 خشن الطبع ، فقلت للمنادي : أين صاحب الكيس ؟ فقال : هذا
 هو . فقال لي : الكيس عندك ؟ قلت : نعم ، وجدته في الطريق بموضع
 كذا وكذا . قال : هاته ، فأخرجته إليه ، فلما رآه لطم وجهه وقال : ذهب
 مالي ، وصاح : أنا بالله وبالأمر . ثم قال لي : الأمير بيني وبينك ، فخشيت
 أن يسمع أصحاب الأخبار ، فيذهبوا بي إلى أحمد بن طولون . فبادرت
 بالخروج معه اضطراراً وقلت لزوجتي : رضيت ؟ هذا رأيك الحسن ،

ومشورتك الجميلة ، ولكن ليس العجب إلا مني حيث قبلت منك .
فقلت لي : لا تخف فإن الله عز وجل معك .

فحملت الكيس معي ، وأخذت كتاب لؤلؤ إلى أحمد بن طولون
حجة في دخولي . فلما توسطنا الطريق قام إلي أصحاب الأرباع^(١) ،
فأربتهم كتاب لؤلؤ وعرفتهم ذهابي به إلى الأمير . ومضينا حتى
دخلنا إلى أحمد بن طولون فقال لي : ألم تخرج مع لؤلؤ ؟ قلت : نعم
أيد الله الأمير قال : فلم دخلت ؟ فعرفته خبري في دابتي ودفعت
إليه كتاب لؤلؤ فلما قرأه قصصت عليه خبري وخبر الكيس ، وما
كان من الرجل ، فأحضره فقال له : كم كان في كيسك ؟ قال : ألف
دينار . فأمر بإحضار الميزان ووزن الدنانير بين يديه ، فوزنت ،
وكان مبلغها سبعمائة دينار . فأمر بردّها إلى الكيس فقال لي : اقْبِضْ
أنت الكيس إليك ، إلى أن يميئك صاحبه . وقال للرجل : اطلب
أنت كيسك جمع الله عليك . فقال : أيها الأمير الله الله فيّ ، هو
والله كبسي ، فقال له : لو كان كيسك لما ادعيت أكثر منه ، وأمر
بإخراجه فأخرج . وقال لي : امض لشأنك ، فأنصرفت بالكيس ،
وابتعت منه الدابة واتسعت . فقالت لي زوجتي : كيف رأيت مشورتني ؟
لو استحقته اتاجر لما حرمه الله إياه ، وجعله رزقاً لك . فتركت باقيه
عند زوجتي ، ورجعت إلى لؤلؤ فحدثته بما جرى ، فضحك وأمر لي

بفرس . وكانت هذه الخرجة العظيمة التي بلغ أحمد بن طولون بلؤلؤ فيها كل مبلغ جليل ، هي التي خفر به فيها واستأمن إلى الموفق .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان أحمد بن طولون إذا أنكر على لؤلؤ شيئاً أوقع بكتابه محمد بن سليمان ، وقال : هذا منك ليس منه ، فحمل محمد بن سليمان الخوف من أحمد بن طولون على أن حسن للؤلؤ حمل جملة من المال في الأعمال ، والاستئمان إلى الموفق ، فمنع عامل الخراج لؤلؤاً من المال ، واستخف برأي محمد بن سليمان ، حتى أخذ جميع ما أراد من أموال الأعمال ، فلما حصل له المال قال له محمد بن سليمان : قد علمت ما فعل بابنه العباس ، وهو أعز الناس عليه ، وقد تخلصنا منه ، فإن لم تبادر وإلا لم نأمنه ، فأجابه إلى ما أشار به عليه . فكتب محمد بن سليمان إلى الموفق عن لؤلؤ كتاباً يعرفه رغبته في المصير إليه ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، والدخول في طاعته ، فاستبشر الموفق لذلك ، لما في نفسه من مولاة أحمد بن طولون ، وابتهج له ، ورأى أن ذلك إحدى الفرص التي ينتهزها ويبادر إليها ، فأجابه بأحسن جواب ، وأنفذ إليه خلعاً ومُحلاًناً .

استئمان لؤلؤ
للموفق وضبط
ابن طولون على
كاتب لؤلؤ

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد بن طولون ، فقدّر فيهم أنهم يساعدونه على ما اختاره ، فلما تبينوا حاله أنكروا ذلك ولم يساعدوه . فكان أكثر ما قدروا عليه ، لما خرج الأمر عن أيديهم ، أن تركوه

وانصرفوا عنه إلى مولاه بجملة خبره . فلما وردوا عليه وشرحوا له حاله ، وما هو عليه ، تكدر عليه مشربه الذي كان يشربه فيه ، ومر مذاقه الذي كان يستحليه ، لنكد الدنيا وأيامها ، كما قال ابن الرومي :

تَذَكَّرْ سَاعَةً أَلَعِقْتَ فِيهَا وَأَنْتَ وَلَيْدُهَا عَسَلًا وَصَبْرًا
لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُمِسي وَيُصْبِحُ طَعْمُهُ حُلُوءًا وَمَرًّا
وظن أحمد بن طولون أن المخادعة تمكنه من لؤلؤ ، والملاطفة تنثيه ، ولم يعلم أن سبب زوال ملكه يكون على يدي محمد بن سليمان لما حققه عليه من أفعاله به وحققه منه .

كتاب ابن طولون
للؤلؤ بعده
ويذكره

فكتاب أحمد بن طولون لؤلؤاً [وأرسل اليه] كتاباً يلأينه فيه ، ويذكره تربيته له ، وما يجب من حقه ، وكان من بعض ألفاظه في مكاتبتة له قوله : «وققتك الله لطاعته ، وراجع بك إلى ما هو أعود عليك ديناً ودنيا برحمته ، إنه ليس شيء يبلغه والد شفيق ، ومستصلح رفيق ، من مواصلة وعظ ، وتنبيه على حظ ، أو دلالة على رشد ، وحض على سلوك قصد ، إلا وقد بلغنا أقصى نهايته [معك] ، وأبعد غايته فيك ، ضناً بك وشحاً عليك ، وتأميلاً لمراجعتك ، وما تركنا شيئاً ظنناه يؤنس وحشتك ، ويرفع محلك ، ويتجاوز به حق حرمتك ، إلا وقد أتينا منه ، على ما نرجو أن يكون لروعتك مسكناً ، وانفسك مؤنساً ومطيباً ، ولك من كل خوف موقباً .

«وليس يمنعنا ذلك من تكرير القول عليك ، رجاء أن تصادف
مواظنا إياك إصغاءً إليها وإصاخة لها ، لينفعك الله عز وجل بها نفعاً
كبيراً ، ويصرف بها عنك شيئاً كثيراً ، وقد تبينت بما كان من
مفارقتك لنا ما قارفته من معصية الله جل اسمه فينا ، وتعرضك لما
تعرضته من سخطه بانحرافك عن طاعتنا ، واختيارك لنفسك ما كنت
عنه غنياً ، وعليه ثقة أميناً ، فانظر هل نلت بذلك فيما بلغت عاجل
دنيا ؟ أو آجل صلاح وجزيل [أجر] ؟ بل قدسعت في فسادهما ،
ثم تأمل الحال التي أنت عليها ، والحال التي انتقلت عنها ، في أيهما
كنت أرخى بالاً ، وآمن سرباً ، وأروح بدنّاً وقلباً ، لتعلم أنك
لم تُوفق في ذلك ، ولم تُسدّد في اختيارك ، لأن الله عز وجل وكلّك
إلى نفسك ، فاستفزك الشيطان وأضلك .

«لقد تبين لك غرور ما أتيت به ، بتبديد ثملك بعد اجتماعه ، وانصداع
شعبك بعد انتقامه ، واتضح لك ما كنت أحذرك وقوعه ، من قلة
رضا جماعة الأولياء والموالي بك ، واستنكافهم من رياستك ، إذ
زالت عنك شمسنا ، فحرمت هيبتك التي ألبسك الله عز وجل بنا ،
من تنكر [هم] لك وانصرفهم عنك ، وما تنتظر الشريعة الباقية معك
إلا إمكان انفرصة بثل ذلك ، محاماة منهم على أديانهم ، ووفاء بآيمانهم ،
فكيف بك إذا صرت إلى العراق بحال مع من لا يدفع عنك
عدوّاً ، ولا يصرف عنك سوءاً ، وقد فارقت العش الذي فيه

درجت ، وموطنك الذي منه خرجت ، ومولاك الذي في حجره ربيت ،
وفي نعمته غذيت ، وصرت إلى من لا يرعى فيك إلا^(١) ولا ذمة ،
ولا يوجب لك حقاً ولا حرمة ، بل يجعلك مغنماً ، وفيئاً^(٢) مقتسماً ،
يدنيك ويمنيك ، لا حرصاً عليك بل ليحتوي على مامعك ويستصفيك .
« وقد كتبت إلى أمير المؤمنين وإلى من لعلك تقصده ، أعلمهم أن
المال الذي اختزله من أعمالنا ، هو مما أمرتك بحمله إلى باب السلطان
أعزه الله ، ومبلغه ألف ألف دينار . فأني حجة أبلغ لهم من كتابنا إليهم
أن المال لهم ، ومحمول إليهم ، فهل تكون بعد استنصاف ما معك إلا
بين أمرين ؟ إما أن يردوك علينا ، متقربين بك إلينا ، أو نبذل لهم في
ردك إلينا ما لا يروذك عوضاً منه ، فيكون مصيرك إلينا على جهة
اتمهر والأسر ما أوت أيسر منه ، أفهذه المنزلة خير لك ، أو مراجعتك
الواجب عليك ؟ وإنابتك إلى ما هو أولى بك ، مما تختاره ويرجع إلى
محصول ، ويؤول إلى معقول ، فيكون مصيرك إلينا بوجه مسفر غير
كاسف ، وقلب مطمئن خير خالف . »

والرسالة طويلة وإنما اقتصرنا على هذا منها .

وكان أحمد بن طولون بإقباله [يصيب] فيما يتخوفه في ظن يظنه
وحس يحدسه مما قد من ذكره بالمعنى فيه ، المنبه على صلاحه ، حتى
إذا بلغ الكتاب أجله انقلبت العين ، وتتابعت المحن .

حدث نسيم الخادم قال : كان مولاي إذا خرج إلى نزهة يحب
الولع بقوس البندق^(١) وكانت نزهته حول الجب لا يبعده . فخرج يوماً
إلى النزهة ونزل في مرج حسن ، وكان قوس البندق يده ، فمر
به حمام طائر فضربه فسقط ، وأخذناه فإذا في أصل جناحه رقعة
كالكتاب فإذا فيها : « قد استراح مولاي محمد فخذوا حذركم ،
وارفعوا كل شيء فقد عصا الأمير لؤلؤ . » فأمر مولاي من وقته
بإحضار خادم كان على مخلفي لؤلؤ فأحضر [وقال له] : من منكم له حمام
هدي ؟ ومن لكم عليل في عسكر لؤلؤ ؟ فقال له : ليس في دارنا
يا مولاي حمام هدي ، ولكن لعبيد الله بن سليمان أخي كاتبنا محمد
طيور تسرح ، وقد كان مغموماً بعلّة أخيه محمد بن سليمان . فأمر
مولاي بالقبض على عبيد الله بن سليمان من ساعته

كشفه الأسرار
من حمام الزاجل

وَأَسْرَ وَجَدَهُ بِلَوْلُؤٍ ، وَأَظْهَرَ التَّهَوْنَ بِأَمْرِهِ ، وَفِي قَلْبِهِ مِنْهُ أَحْرٌ مِنْ
الْجَمْرِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّ غَمَّهُ بِالْعَتَمَةِ ، لَأَنَّ بَانَ لِلنَّاسِ مِنْ غَمِّهِ ، بِمَا يَلْحَقُ
الْعَتَمَةَ مِنَ الْمَوْفِقِ مِنَ انْتِقَاصِ فِي أَمْرِهِ وَالْمَهَانَةِ ، وَمَا يَخَافُهُ عَلَيْهِ مِنَ
الْإِقْتِلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ فِي أَثِمَانِهِ الْمَوْكِدَةَ عَلَيْهِ فِي عُنُقِهِ بِالْبَيْعَةِ أَنَّ
يَغْمُضُ فِي أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْخُرُوجَ لِنَصْرَتِهِ ، وَلِيَفْكَ مِنْ تَلَاْعِبِ
أَخِيهِ بِهِ ، وَاسْتِيلَاَتِهِ عَلَى الْأُمُورِ دُونَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ فِي خُرُوجِهِ

سعى ابن طولون
لاقتناع الخليفة أن
يقصد مصر
وكتابه إليه

(١) البندق : واحدها بندقة والجمل بنادق وهي ما يرمى به (معرّب)

أن يبلغ كل مبلغ يصل به إلى القبض على لؤلؤ ، فأنفذ إلى المعتمد بالله رسولا خفي الشخص ، رث الهيئة إلا أنه كامل محصل ، وأنفذ إليه معه سفتجة بمائة ألف دينار ، وكتب معه إليه كتابا هذا منه ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين :

« قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفا على أمير المؤمنين من مكروه بلحقه ، مع ماله في عنقي من الأيمان المؤكدة ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد ، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الامتحان إلى نهاية العز . ولا يتهاى لأخيه فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة . فإن رأى أمير المؤمنين ، أيده الله ذلك صوابا قدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصة »

استصاح ابن
طولون رجلا
عظيما كان في
حبسه

فحدث أحمد بن محمد الواسطي قال : قال لي أحمد بن طولون : أليس الرأي عندك أن أخرج بجميع جيشي وعدتي كلها حتى أنتاش أمير المؤمنين من تلاعب أخيه الموفق به وأنقل كرسي الخلافة إلى مبصر ؟ فإن بيعته التي في عنقي تقتضي هذا له مني . فقلت له : ما تبلغ معرفتي وفهمي الكلام في هذا الباب ، ولكن في محبتك من إن أحضرته واستشرته أشار ، لفهمه ورجحان عقله ، عليك بالصواب ، فقال : ومن هو هذا ؟ فقلت : محمد^(١) بن إسماعيل بن عمار . فقال لي : صدقت إنه كذلك ، ولولا تفوري منه لخوفي من غوائله ودهائه ، لما كان بجيت هو ، وكان معي في أجل حال ، فأحضرني ، فوجهت من وقتي

(١) في ابن الداية : أحمد .

فأحضرتة ، فأدخل إليه وهو بحاله التي هو عليها من المطبق ، وعليه قميص غليظ ؛ ولم يكن يلبسه أحد سواه ، وقد اسودَّ من طول دُخان السراج ، وشعره قد طال ، حتى سقط على وجهه ، لمكثه في المطبق ، فاستدناه فدنا قليلاً ، ثم استدناه ثانية فدنا ، وقال : ما أَرْضَى رَأْيِي لِلأَمِيرِ أَبَدَهُ اللهُ

فقال له : « دعوتك لأستشيرك في أمر أردت أن أفعله ، لعلمي بجودة رأيك ، وصحة فهمك . فقال له : أين الرأي مني اليوم ، أيها الأمير ، وهذه حالي ؟ فقال له : أنت أوفى رأياً ، وأذكر قلباً ، من أن يختل عليك ما التمسته منك ، أو يعتريك ما يعتري ذوي النقص فقال : يقول الأمير أبده الله ما شاء ، والله جلَّ اسمه الموفق ، فقال له : إن أبا أحمد الموفق قد احتوى على أخيه أمير المؤمنين العتمد بالله ، ونفذ أمره في كل ما يريد ، وتمكن من إعنائه بن ضم إليه أمير المؤمنين من الرجال والجيش الذي استدناه منه لقتال البصري . فلما حصل ذلك له صارت له عدة على أمير المؤمنين ، وقد خفت حثي في يميني التي له في عنقي ، إن قعدت عنه ، وقد عزمتم على الخروج إليه بنفسي وجميع جيشي ، حتى أنصردعوته ، وأنتقله اليّ ، فما ترى ؟ » فقال : « إن من الخطر العظيم أولاً خروج الأمير بنفسه ، وجميع جيشه وعدته ، لأن الحرب سجلال ، ^(١) والظفر بحسب التوفيق ،

(١) الحرب بينهم سجلال ككتاب أي سجل منهم على هؤلاء وآخر على هؤلاء . وأصله ان المستعين بسجلين من البشر يكون لكل واحد منهما سجل أي دلو ملآن ماء . (التايج)

فأخاف أن يلحق الأمير ، وأعيذه بالله ، هزيمة فلا تكون له بعدها
قائمة . ولأن يكون الأمير أيده الله من وراء من يبعث به إلى هذا
الوجه ، وهو مادة له ، أولى من أن ينفذ بنفسه . وبعدها فأرى كلام
الأمير كلام من قد لهج من نصرة المعتمد ، وما يريد من رد أمره
إليه ، مما لا يراه له المعتمد ، ولا يعتد به له ، لأنه رجل مشغول
بلهوه ، منهك في لذاته ، بمعزل عن حسن تدبير ، وأن يكافئ
على فعل جميل .

« رأيت أيها الأمير لو انتقل إليك ، وتمت للأمير حمايته من
أخيه ، وأجابك إلى ما دعوته إليه ، أكان له في قصرك دار يسكنها
غير دارك ؟ فأول ما يستعجل الأمير أن ينتقل عن هذه الدار إلى
مالا يقاربها ولا يدانيها ، بل يضيق بن يحوطه ، بل لا يسع بعضهم ،
ثم يكون الأمير إذا دخلها كبعض الزوار .

« ثم أنت أيها الأمير الآن المتبوع الأمر ، فلا تلبث أن تصير
التابع المأمور ، ولعله أن يكون عنده أثر الناس مله أو مفن أو
نديم ، لا يعشُر^(١) غلام الأمير ، وليس له منه منفعة في أمر ، ولا
يحمل عنه شيئاً من ثقل ، ولا يزيد على أن يُلْهِيه ، ويسهل موارد أموره
ومصادرها عليه .

« وأقل ما في هذا الباب اثني أنه إذا دخل الأمير للسلام يكون

(١) لا يبلغ مثاره .

قائماً ، وذلك النديم أو الملهي جالساً ، اوضعه منه ، ومنبسطاً إليه .
ولعل هذا إذا شاهده الأمير أخرجه إلى أكثر مما خرج إليه أخوه
الموفق فيه ، ثم لا يأمن الأمير أن يسأله بعض غلمانه في ضيعة من
ضياعه ، أو عمل فيه أخص غلمان الأمير ، فلا تمكثه مخالفته في كل
ما يستدعي منه ، ثم اعتراضات حاشيته في البلد وأصحابه ، وكذلك في
الأعمال ، وطلبهم ما يشق على الأمير ويعظم ، فلا يتيأ له منهم ، فإن
منع أغضب أمير المؤمنين . ثم الأمير بعد هذا غير آمن من أن تحمله
الحفاظة أن يسأله استنزالك عن موضعك ، فيجيبه ليكلفه على حال
قد تقدمت له عنده إلى محبته ، ولا يخالف إرادته .

« وحسبك أيها الأمير ، أن تستدعي رجلاً إلى بلدك ومملكك ،
فإذا بلغته الغاية القصوى ، وسوغته كل ما كدحت فيه دهرك ،
رأى أن ذلك كله له ومن حاله ، وأن الذي قد بقي معك مما نتجمل
به بين يديه ، له دونك ، وأن إبقاءه لك تفضل عليك .

« إن من إقبال الأمير ما يلحق المعتمد من أخيه ، لأنه يجد بذلك
الحجة على خلافه ، وترك الائتمار له ، وإسقاط اسمه والدعوة له
وتأليب "" الأولياء عليه ، وفي هذا ما يتيأ له بلوغه من معونة أمير
المؤمنين ، وما يثني أخاه عليه فيعود له إلى إرادته ويزول عنه ما يكرهه ،
وما أحب أيها الأمير إظهار هذا الاجتهاد العظيم في قهر الموفق ،

(١) التأليب : التحريض والإسعاد وهم عليه ألأب وإلأب واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة

ونصرته لأخيه عليه ، لما يتخوف من مثله لقوة يده وكبر أمره
 وتمكنه ، والذي أرى ، ولرأى الأمير أبيده الله فضله ، ألا يفعل
 ما إذا فعله جرى الأمر فيه بينه وبين أمير المؤمنين على ما شرحت له ،
 مما يخرج الأمير معه إلى أكثر مما خرج أخوه إليه .
 فقال له أحمد بن طولون : حسبك حسبك ، وأمر برده إلى محبسه .

غمط ابن طولون
 حقوق الكتاب
 واحترامهم

قال أحمد بن محمد الواسطي لأحمد بن طولون : أيها الأمير أكان جزاء
 هذا الرجل على هذا الرأي السديد الصحيح الذي قال فيه الحق ومحض
 النصيحة ، أن يُردَّ إلى محبسه ؟ قال : نعم ، إني تأملت أمره ، فوجدته
 قد نصحتني في دنيائي ، وغشني في ديني وآخرتي . ثم تأملت رأيه وجودته
 وصحته ، وما حضره منه بغير فكر ولا استعداد ، وهو على هذه الحال
 الصعبة القبيحة المفضية للحس ، فضلاً عن غيره ، فكيف لو رأى
 نفسه مطلقة ، وهو نافذ الأمر والنهي ، يأكل طيباً ويلبس ليناً ، ويشم
 عطرأ ، [إذا] لاستد رأيه ، ولبعد غوره ، وتمكن من عدوه ، بقوة
 حيلته ، وحزم رأيه . إن أجهل الأمراء من أعطى مقادته للكتاب
 العقلاء ، لأنهم آسد الناس رأياً وأقلهم ديناً ، بل يقبل رأيهم من غير
 أن يظهر لهم فيه استصابه !

قال أحمد بن محمد الواسطي : فعجبت من قوله ، وازددت حذراً
 له وخوفاً منه ، وكان ابن عمار البائس قد ظن بإخراجه إياه إليه ،
 ومشاورته له وما محضه من النصيحة في مشورته ، أن في ذلك فرجه

وخلاصه ، وانحلال عقدته . فلما رَدَّه إلى الحبس أيس مما كان يتوقعه من الفرج ، وصدع قلبه الغمُّ فمات .

قال مؤلف هذا الكتاب : فورد كتاب طيفور خليفة أحمد بن طولون من الحضرة ؛ يذكر وصول رسول أحمد بن طولون ، وكتابه إلى المعتمد ، والمال المسفتج^(١) ، وأنه خارج إليه مع المعتمد ، ويذكر في كتابه أن يتأهب لموافاته إليه كما استدعاه ، فقد تمَّ عزمه على المسير إليه ، وأنا بين يديه أخدمه إلى أن يصل إليك إن شاء الله . فلما قرأ أحمد بن طولون كتابه بذلك ، أحضر شيوخ كتابه وقواده وشيوخ البلد ، وأحضر ابنه أبا الجيش فاستخلفه على البلد ، وخلف معه جماعة من شيوخ قواده منهم محمد بن أبا وغيره ، ووصاه باتباع أمرهم ووصاهم به ، وأكد على الجماعة في مراعاة البلد والرعية ، والمحافظة على ما يكون منه تمام السياسة واستقامة الحال ، وحسن الأحذوثة ، وحذر ابنه من التشاغل بلمو أو بشيء غير ما قلده إياه ، وخرج إلى الشام ، وحمل معه ابنه العباس مقيداً في قُبَّة ، وهو يُظهِر في قوله وفعله أن خروجه لنصرة المعتمد ، والكامن في صدره لؤلؤ غلامه ، وهو يود أن الأرض طويت له إليه ، أو قذفته بين يديه ، وهو على غاية من الكآبة والغمُّ بأمره ، وكان قد استقر عنده أن الموفق

الصراف ابن
طولون إلى الشام
لللقاء الخليفة

(١) السفتجة كسرطقة ان تعطى مالا لآخر ولآخر مال في بلد المظلي ميوفيه إمامهم ، تستنيد أمن الطريق ، وفله السفتجة بالفتح والمال المسفتج المرسل إلى بلد آخر سفتاج

قد أنفذ إليه الخلع ، وأنها قد وصلت إليه ، ولم يتحقق وصوله هو إليه ، فلما بلغ الرملة صبحَّ عنده دخول لؤلؤ العراق ، وذلك في آخر سنة ثمان وستين ومائتين .

وكان محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ من أحذر الناس من أحمد بن طولون ، وأشدهم فرعاً منه ، لمقدمات كان يعرفها منه . منها أن أحمد بن طولون كان يؤدب الكاتب كثيراً على ذنب الصاحب ، ومنها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه يكنس قصره داخله وخارجه بمكنسة في يده ، فلما انتبه طلبه ليبدأ به ، فاحفوف لؤلؤ عليه من حال لعلها تأتبه ولم يعلم بالرويا أخفاه وقال : وجهت به في مهم لي وأنا أوجه أحضره ، وأمره بالخروج إلى الشام يتقدمه ^(١) .

(١) روى القاضي التنوخي في الفرج بعد الشدة بإسناد ذكره قال : خرج يوماً محمد بن سليمان إلى ظاهر القسطنطينية فالتقى به السير إلى قبة كانت لأحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء مظلة على النيل وعلى البر ، فجلس فيها ومعه الحسين بن حمدان وجماعة من القواد . ثم قال : الحمد لله الذي بيده الأمر كله يفعل كما يشاء . فقال له الحسين بن حمدان : لا شك أن تجد يدك الحمد لأمره قال : نعم وهو عجيب طريف ، ذكرته الساعة ، وهو أتي زرعته إلي مصر وأنا في حال رثة في زي صغار الاتباع ، فضايق علي الماش بها ، فاتصلت بلؤلؤ الطولوني ، فأجرت علي دينارين في كل شهر ، وصبرني مشرفاً في اصطبله على كراعه ، فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيداً ، ولا أقدم على الوقوف بين يديه . فلما كان بعض الأيام أحضرني فقال : ويحك من أين جرفك الأمير ؟ يعني أحمد بن طولون . فقلت : والله ما رأي قط ، ولا وقت عينه علي إلا في الطريق ، ولا محلي محل من يتصدى للقائه . فقال : دعاني الساعة وهو في قبة الهواء فقال : معك رجل أشقر أشبل يقال له محمد بن سليمان فقلت : ما اعرفه ، قال : بل هو في جنبك ، فأجده عنك ، فإني رأيته البارحة وفي يده مكنسة يكس داري بها ، فتوق ويحك ، ولا تعرف إلى أحد من حاشيته ، وأقرني على أمري ، فامثلك امره . ومضت لهذا الحديث شهر . ثم دعاني ثانية فقال : ويحك ، ماذا بليت به منك ، وبلت انت به من هذا الأمير ؟ دعاني جدة من اصحاب الرسائل فوافيته ، وأنا في غاية الوجل ، فقال : اليس أمرتك بمصر محمد بن سليمان الأزرق —

قصة الصنم الذى
اجتبه العامة
يعتقدون فيه

وإنما أراد أحمد بن طولون أن يعمل في أمر محمد بن سليمان ، كما
صنع في أمر صنم كان في عين شمس^(١) ، وذلك أنه كان بعين شمس صنم

— الأشر؟ قلت: قد عرفتك يا سيدي اني ما استخدمت من هذه سيلة ، ولا وقت لي عليه
عين ، قال لي : كذبت ، وهو منك في اصطبك ، فأخرجه عن البلد الساعة ، فاني رأيت في
اليوم ايضاً ، وفي يده مكسة وهو يكلم بها سائر دوري وحجري ، ونسأل الله الكفاية . قلت
للؤلؤ : اي ذنب لي يا سيدي في الأحلام ؟ فقال لي : صدقت ، واستر إلى ان يتناسى الأمير
ذكرك . وكان يجري عليّ رزقي في كل شهر ، وانا لا اعمل شيئاً .

فلما تمّ أمر إغاذ لؤلؤ إلى الشام ما تمّياً نهضت معه ، ونخّلت عنه كتابه ، لما علموا من تغير حاله
عند صاحبه ، وأذناني وقرّني واجري عليّ عشرة دنائير في كل شهر ، وحملتني على دابة ، فلوّمت
خدمته ولفيته واستخدمت إليه فرادتي من بره . ولم يقبّه أحمد بن طولون من استيعاش لؤلؤ ،
فكتب له بالرجوع إلى مصر ، فشاوري نأشرت عليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر ، وأخذ كل
ما استحقّ قله من المال ، ولم أترك غاية إلا أيتها في تضرّبه وتأليه ، حتى أوردته مدينة السلام .
ثم تقلّيت بي الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول ، وتوفي أحمد بن طولون وحبس ابنه
وقتل أبو الجيش وتولى بده هارون بن خوارويه بن أحمد ، وضمّ إليّ القواد والرجال ، وكان فيهم
لؤلؤ صاحبي ، وكان اصغرهم حالاً ، فلم أقصر في صلاح حاله والاحسان إليه ، ومعرفة حقه .
فلم ادن من الشام حتى تلقاني بدر الجمالي مطيعاً ، وتلاه طنجس جف مرشداً ، وصرت إلى مصر
فلما شارفها وثب شيان بن أحمد بن طولون ومن معه من جند مصر ، وقتلوا هارون ، وتولى شيان
الأمر أياماً ، واتّال إليّ القواد في الأمان ، ولحق بهم شيان ، ونخّلت الرجال وقطعة من
الفرسان ، واطّروا الخلاف ، فأوقعت بهم واقيتهم قتلاً واسراً ، ودخلت القسطنطينة وحوت
الدم والمهيج ، واشخصت الطولونية من البلد إلى الحضرة ، حتى لم يبق فيها منهم احد . وصحّ بذلك
منام أحمد بن طولون ، فسبحان الذي ما شاء فعل ، وإياه نسأل خير ما تجري به أقداره ، وان
يختم لنا بخير رحمة ١٠ هـ

قلنا: وقد كان لمحمد بن سليمان الكاتب هذا اثر عظيم في القضاء على الدولة الطولونية ذكر
القلع شدي انه سار بالساكر من العراق من قبل المستنكفي بالله ودخل إلى مصر في سنة اثنتين
وتسعين ومائتين وقد ولي الطولونية عليهم ربيعة بن أحمد بن طولون فسلم البلد منه وخرب القطناع
وهدم القصر قصر بني طولون وقلم اساسه ، وخرب موضعه حتى لم يبق له اثر .

(١) يقول العلامة أحمد زكي باشا في قاموس الجغرافية القديمة : الطرية وعين شمس جمرتان قربتان
من مصر القاهرة ترفان عند الفراغة باسم اون وعند اليونان باسم هيلوبوليس (Héliopolis) .
قلنا : وهما لهدنا حاسرتان زاهرتان .

على مقدار الرجل المعتدل الخلق ، من كَذَّان^(١) أبيض حسن الصورة ، يُخَيَّلُ لِمَن استعرضه أنه ينطق . فحدث إبراهيم بن كامل المصور^(٢) أنه وُصف لأحمد بن طولون فأحب رؤيته ، فقال له خادم له نصراني ثقة عنده في جميع أحواله في داره ، يقال له ندوسة . ما أختار [أن] يراه الأمير أيده الله ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنه ما رآه وال قط إلا عزل . فركب إليه في سنة ثمان وخمسين ومائتين فتأمله ، فلما رآه أحضر القطاعين ، وأمرهم أن يجتثوه من الأرض ، فوضعوا الفؤوس عليه ، فلم يتركوا منه عضواً صحيحاً على الأرض ، حتى درس وعفا خياله ، وذرى ما بقي حياله في الصحراء . ثم دعا بندوسة خادمه فقال له : يا ندوسة من صرف [منّا] صاحبه ؟ فقال : أنت أيها الأمير ، صرف الله عنك كل محذور . وعاش أحمد بن طولون بعده اثنتي عشرة سنة [أميراً] ، وإنما حمل محمد بن سليمان الخوف منه والحذر على أن حسن لصاحبه لؤلؤ الذهاب عنه إلى الموفق ، لتسلم منه نفسه ، ويأمن عليها من مكروهه .

مواثقة ابن
طولون دمشق
لانتظار الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ أحمد بن طولون إلى دمشق ، وشاع الخبر بحركة المعتمد إلى مصر ، أقام أحمد بن طولون بدمشق مترقباً له ، حتى وافاه خبر المعتمد مع رسوله النافذ كان إليه بالمال ، يخبره بحركته إليه ، وقد فصل من الحضرة ، وأنه يسلك على طريق

(١) الكذبان : -جارة رخوة كلدّر . - (٢) في ابن الداية : الصري .

البرية إلى مصر ، بن خفّ معه من ثقاته ، فاضطرب أحمد بن طولون لذلك ، وتندم على مكاتبتة بما حركه على المسير إليه ، وتبين كل ما ذكره له ابن عمار أنه يكون كله ، فقلق لذلك وتصبّر له ، حتى أتى من إقباله ما لم يكن في حسابه ، وبما جرت به عادة الله جل اسمه عنده .

ورد عليه كتاب طيفور خليفته يقول : قد كنت على المسير إليك مع أمير المؤمنين المعتمد حتى جرى ما أوجب تأخره ، فتأخرت بتأخره ، وأرجو أن تكون الخيرة للأمر أيده الله في ذلك إن شاء الله . وذلك أنه لما قرأ كتابك ، ووقف على ما دعوته إليه من المسير إلى ناحيتك ، سره ذلك وشكره لك ، وأظهر الخروج إلى النزهة ، وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم بن مدبر وأحمد بن خاقان وخطارمش وتينك^(١) ، وسار على كتابة يريد مصر ، فبلغ أخاه أبا أحمد الموفق خبره ، فكتب إلى إسحاق بن كنداج الحزري يعرفه أن أخاه قد خرج قاصداً إلى أحمد بن طولون ، ومتى تم هذا الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره ، فلم يكن لكم ولا لأحد منكم مقدار ، ولم يلتق اثنان في عسكر الموالي ، إن صح ذهابه وتمّ إلى ابن طولون يتجنب عن وجه العدو ويتمكن^(٢) من الدخول إلى السلطان ، فيكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس . ويناشده الله جل وعزّ في كتابه في تجديد العناية في رده ، ووعدته إن ردّ المعتمد أقطاعاً

ارجاع المعتمد
من شخص إلى
السام

(١) كذا في الطبري وفي الأصل بلا نقط ، وفي ابن الأثير : نيزك .

(٢) في الأصل : وكنته وفي الجملة تشوبش

واسعاً ، ووصله بالمال الجزيل ، وزاد في رياسته وعلمه . وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين .

فلما قرأ إسحاق بن كنداج الكتاب حرّكه على ما استدعاه منه الموفق الحسدُ لك أيها الأمير ، والطمع فيما وعده به ، ورحل إليه راغباً راهباً في خيل جريدة في أربعة آلاف غلام ، من نصيبين^(١) إلى الموصل ، فسأل عن المعتمد ، فقيل له إنه قد رحل عنها في أمس ذلك اليوم . ووجد له مراكب وحرّاقات وسفيلتين . فيها متاعه وحرمه بموضع يعرف بالدواليب ، ووكل بهم ومنع من سيرهم ، وأمر الموكلين ألا يطلقوا لأحد من أسباب المعتمد أن يتجاوز الموصل ، وسار حتى لحق المعتمد بين الموصل والحديثة ، فضرب مضربه دون مضارب أصحاب المعتمد ، وسار إليه فلم يلقه أحد من أصحاب المعتمد ، حتى وقف بباب مضربه ، فخرج إليه فحرّير الخادم فسلم عليه ، ودخل فاستأذن له ، وأمره بإدخاله إليه ، فدخل إليه ومعه محمد ابنه وحبشي ووصيف ابناً أخيه وطيب بن صفوان وجماعة من وجوه قواده ، فسلم على المعتمد ، ووقف بين يديه . فقال له المعتمد : يا إسحاق ، لم منعت الحشم من دخول الموصل ؟ — لأن الخبر بلغه ، وكان بين يديه يومئذ أحمد بن خاقان وخطار مش وتبنك — فقال : يا أمير المؤمنين ، وما دخول الحشم الموصل ؟ قال : لأنني آثرت دخولها . قال : لا والله أيد الله أمير المؤمنين ما إلى ذلك

(١) قال ياقوت : إنها مدينة عارة من بلاد الجزيرة على جادة التوانل من الموصل إلى الشام . وهي

اليوم شبه بقرية كبيرة .

سبيل: أخوك في وجه العدو ، عدوك وعدو دولتك ، يقف على زوالك عن مستقرك ، ومدينة آبائك ، فينصرف عن مقاومته ، ويخلي بينه وبين دار ملكك ، وبهذا جاءني كتابه . فقال له المعتمد : أفغلامي أنت أم غلامه ؟ فقال : كلنا يا أمير المؤمنين غلمانك ، ما أطعت الله ، فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا ، فقال له : وما معصيته ؟ فقال : تخليك عن دار ملكك ودار آبائك ، وتركك أخاك ، وهو مجاهد عنك وعن دولتك ، لعدوك ، فتظعن عن مستقرك . وفي هذا عصيان الله عز وجل ، ثم خرج من المضرب ، وخلف أصحابه معه بين يديه .

ووجه إلى المعتمد بقول : إن رأي مولاي أن يبعث إلى أحمد بن خاقان وخطار مش ودينك لتتشاور فيما نحن فيه فعل ، فوجه بهم إليه ، ومعهم إبراهيم بن مدبر ، وسار معهم إلى مضربه ، فلما حصلوا فيه قال لهم : علمتم أنه ما جنى أحسلى الإسلام جناية أعظم من جنائيتكم ، قالوا : وكيف ؟ وما هذه الجناية ؟ فقال : أولها إخراجكم الخليفة في عدة يسيرة ، وهذا هارون الشاري ^(١) في جمع عظيم ما رآه ، فلو علم به لأسره ، فكان قد حصل الخليفة مأسوراً في يدي الشاري ، فكانت تكون فضيحة ليس أعظم منها ، فلولا تحصنكم الساعة في عسكري لكان هذا ، ولقتلتم وذهب الخليفة . وأحضر القيود وقيد الجماعة ، ووجه فقبض على مضاربهم ، بجميع ما كان لهم فيها .

فلما أمسى الليل بعث ابنه محمداً وبابني أخيه في جماعة ليحفظوا المعتمد .
 فلما أصبح دخل على المعتمد فسلم عليه وقال له : يا أمير المؤمنين الأمر
 مضطرب بناحية أخيك لانزعاجك عن مستقرك ، وما مقام مولاي
 ها هنا معنا ؟ فقال له : احلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني .
 فحلف له وانحدر به إلى سر من رأى ، فقال المعتمد في ذلك :
 أصبحت يملكني من كنت أملكه وصار بأمرني جبراً وينهاني
 وصرت في حجره طفلاً يروني أخشاه حقاً كما قد كان يخشاني
 فالحمد لله شكراً لا شريك له على الذي خصني منه وأولاني^(١)
 فلما بلغوا سر من رأى تلقاه أبو العباس بن الموفق وصاعد بن مخلد ،
 فسلمه إسحاق إليهما ، وانصرف إلى دار الخليفة ينتظر عودتهم ، فأنزلا
 المعتمد دار أبي أحمد بن الحبيب التي في طرف الجسر ، ومنع من
 نزول الجوسق والمعشوق^(٢) . ووكلا به قائداً في خمسمائة رجل ،
 يمنعون أن يدخل إليه أحد . فقال المعتمد للموكل به : ما أنت ؟
 قال : أخدم أمير المؤمنين . قال : هذا توكيل مليح .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : وكان (أي المعتمد) في خلافته محكوماً عليه قد تحكم
 عليه أخوه أبو أحمد الموفق وضيق عليه حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلثائة دينار فلم يجدها
 ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتمناً عليه .
 وتؤخذ بآسائه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
 إليه تحصل الأموال طراً ويمنع بعض ما يجبي إليه

وكان أول الخلفاء انتقل من سر من رأى . بنيت ثم لم يعد إليها أحد منهم

(٢) الجوسق : القصر وهي فارسية وهو اسم أحد قصور الخلافة ، والمعشوق : اسم لقصر عظيم كان
 بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامرا . عمره المتعدد على الله وعمر قصر آخر يقال له الأحمدي

وعاد أبو العباس بن الموفق ، وصاعد كاتب الموفق إلى إسحاق بن كنداج ، فخلعاً عليه خلعة حسناً ، وركب من دار الخليفة وعليه تاج ووشاح وسيفان ، ولقب بذي السيفين ، و [كل ذلك غرق بالجوهر^(١) ، وعقد له على مصر مكان أحمد بن طولون ، وأقطع ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ، ومبلغ ماله عشرة آلاف دينار في السنة ، وسلمت إليه نعمهم .

فلما وقف أحمد بن طولون على هذا كله من كتاب صاحبه إليه وتواترت الأخبار أيضاً به ، والكتب إلى سائر الناس ، أقام بدمشق ووجه فأحضر قضاة أعماله ، وفيهم العمري وأبو حازم وبكار بن قتيبة فاستفتاهم في خلع أبي أحمد الموفق ، فكل أفتاه بخلعه إلا بكار^(٢) بن

خلع الموفق في
مدينة دمشق
ووثيقة خلعه

(١) في الطبري : كل ذلك . ومنس بالجوهر ، يقال : غرق اللجام بالفضه وأغرق : سلاه .
(٢) قال القاضي في تاريخه : كان المعتمد قد سار في جمادى الآخرة سنة تسع وستين وماهين يريد مصر ، بمكاتبة جرت بينه وبين أحمد بن طولون في ذلك ، وكان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك ، وهو في قتال صاحب الزنج ، أخذ إسحاق بن كنداج ورد المعتمد وسلمه إلى صالح بن محمد فأنزله دار ابن الحبيب برسم رأي وحج عليه ، ولقب الموفق إسحاق ذا السيفين ، وولاه أعمال ابن طولون ولقب صاعد بن مخلد ذا الوزاريين ، وكتب ابن طولون من دمشق أن الموفق نكث يمين المعتمد ، وأمر بجميع القضاة والفقهاء والأشراف ، وسار إلى دمشق فاجتمعوا وخلع الموفق ، وكان الفقهاء أفتوا بخلعه إلا بكار بن قتيبة فإنه قال : أنت أوردت علي كتاباً من المعتمد بأن الموفق وليّ عهده ، فأورد علي كتاباً منه بخلعه . فقال : هو الآن مطلوب مقهور ، وأنا أيضاً أحب إليك حتى يرد كتابه بإعلانك تقيده ومنه ، واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائز ، ووجدتها في منزله بخواتيمها ستة عشر كيساً . فيها ستة عشر ألف دينار . وسلم ابن طولون القضاء إلى محمد بن ناذان الجوهري وجعله كالخليفة لكار ، وكن يكار يحدث في السجن من طلاق ، ولم يزل يكار محبوساً ، وابن طولون يخرجها كلما خرج للظالم وبأسر . بأن يقام بين يديه إلى أن مرض ابن طولون فأخرجه إلى دار عند . صلى الجنازة القديم اه . وقال ابن

قتيبة فإنه تلكا في ذلك ، فتغافل عنه أحمد بن طولون ، وحقدها له في نفسه ، وكتب كتاب الخلع على نسخ ، وأنفذ إلى كل عمل من أعماله نسخة تقرأ على المنبر في جميع أمصاره وتُخلد ، فمن جوامع ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوه أهل الأمصار ، حين أحضرهم أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين مجلسه بمسكركه في مدينة دمشق سنة تسع وستين ومائتين ، وسألمهم عما يوجب ما أقدم عليه التناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله ، من إيقاع الحيل على فض جيوشه ، وتشريد حماته ، بحملهم على السيف مرة وقتلهم بالسهم أخرى ، ثم تخطى ذلك إلى إخافة سيربه ، وحمله على الائتثار له في كثير مما يوثره ، مما يضع به من منزلته ، وينقص من محله ، فلما كثُرَ هذا عليه ، وخافه على نفسه ، أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون للاعتصام به ، إذ هو ثقته وعمدته ، ومن خلص له على التجربة ، بتوقفه عن مكاره الخلفاء قبله ، وأن أبا أحمد لما رأى ذلك خاف أن يظل مأموراً بعد أن كان آمراً ، وكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده ورده ، فشخص إليه في جمع كثيف ، حتى وافاه بين الموصل والحديثة فردّه ، وأمير المؤمنين يناشده الله ، ويذكره به ، ويخوفه مروقته عن الدين ، وتقضيه ما أكدته عليه

— عما ذكره قال الطحاوي : وكان الأمير أحمد بن طولون من المرفة بحقه (بحق بكار برنتية) والميل إليه والتعظيم لقدمه على نهاية ، وكان أتى إليه بحضورنا وهو يلي على الناس الحديث ، على كثره من كان يحضر مجلسه وأمر حاجبه أن لا يقطع مستعليه عن الاستملاء . تاليه ثم يصعد إليه إلى المجلس الذي كان يحدث فيه فيقدم مع الناس فيه ويستمع بكار مجلسه وهو حاضر لا يقطعه بحضوره إياه .

البيعة ، وإنما قدم عليه وقد فارق الطاعة ، وبرئ من الذمة ، ووجب جهادُه على الأمة ، فلم يُصنع إلى ذلك ، ولا اكترث به ، لما يُجعل له على ما يأتيه من أمره من الخطام ، فشرهت نفسه إليه ، وإلى ما استباحه من مال من أقام على الطاعة ، ووفى بالعهد والذمة ، حتى أدخله سرٌّ من رأى مأسوراً ، وسلمه إلى صاعد بن مخلد فحبسه ووكل به ، ومنع من جميع أهله وولده وشملته ، فأصبح مقبوض اليد ، بعيد الناصر ، يخاف على نفسه آتاء ليله ونهاره ، عرضة لسوء القول وقبيح الفعل . فالأمة في حرج من القعود عن نصرته ، والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن دائرة ، والأحكام ضائعة ، والحق منتبذ ، والعدل شارد ، وغير الله عز وجل تنتظر . فرأى كل من حضر خلعه مما كان أمير المؤمنين بته له من ولاية عهده ، والتبري منه ، والجهاد له ، إذ كان قد منع حقوقاً ثلاثة : أولها حق الإمامة ، والثاني حق الأخوة ، والثالث حق النعمة عليه . وأوقع من حضر من الحكم شهادته عليه وفتياه به ، فكتب بذلك عشر نسخ نسقاً واحداً لا يفاير بعضها بعضاً ، وفيها خطوط القضاة ، بما نسخته :

يقول عبيد الله بن محمد العمري القاضي بجندي قنسرين والعوامم
والثغور الشامية ، وجندي حمص ^(١) [وأنطاكية] : قد قرئ عليّ

شهادة القضاة
على كتاب الخلع

(١) في تاريخ ابن عساكر : عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو بكر العمري القاضي من أهل المدينة ولي القضاة بحمص وقنسرين وأنطاكية والتنوير الزايمية وقدم دمشق أيام ابن طولون وكان من خلع أبا أحمد الموفق بدمشق

هذا الكتاب ، وهو قولي ، والحق عندي ، والذي أفتيت به ، لما
صحّ عندي من غدر الناكث المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه
عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه ، مما
سمي ، ووصف في هذا الكتاب إسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له ،
وأنه غير مستحق لإمامة المسلمين ، ولا مأمون عليهم ، ولا موثوق
به في ذلك ، وأشهدت عليّ وعلى فتياي من أثبت شهادته في هذا
الكتاب . وكتب عبيد الله بن محمد القاضي بخطه ، في يوم الخميس
لأحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .
وكتب عبد الحميد : يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي
بدمشق والأردن وفلسطين : قد قرئ عليّ هذا الكتاب وهو قولي ،
والحق عندي ، وهو الذي أفتيت به ، وقد صحّ عندي غدر الناكث
المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده
الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه ، وكتب بخطه .
وكتب أحمد بن أبي العلاء قاضي ديار مصر بمثل ما كتب به
صاحبه حرقاً بحرف .

وتوقف بكار بن قتيبة في شهادته ، فغضب أحمد بن طولون لأنه
لم يشرح كما شرحوا ، ولا شهد كما شهدوا ، وتوقفه كان موضعه من
الورع والدين ، فكتب : شهد بكار بن قتيبة القاضي بمصر والاسكندرية
ونواحيهما على ما سمي ووصف في الكتاب من أولها إلى آخرها من

إحسان أمير المؤمنين أیده الله إلى الناکث أبي أحمد بن جعفر المتوکل
على الله وتفضله علیه ، وبما کان من تعديه على أمير المؤمنين ، وأن
الناکث أبا أحمد قد استحق بما کان منه خلعه وترك الدماء له .
وكتب بکار بن قتیبة ییده .

وأنفذت النسخ ، فكان الخاطب إذا دعا للمعتد في أعمال أحمد
ابن طولون قال بعد ذلك : اللهم استنقذه من أسره وجار علیه
وقصده ، يريد الموفق ، ثم يدعو للمفوض ثم لأحمد بن طولون .
وكتب إلى ابنه أبي الجیش يأمره أن یبعث إلى مكة قائداً جلدأ
في عسکر كثیف ، یمتنع من أن یدعی لأبي أحمد على منابر مكة
أو بالموقف أو عرفات ، فأخرج لذلك المعروف بالغنوي وابن السراج
في جيش ضخم ، وأقبل من العراق مع الحاج قائد يعرف بابن
الناعمودي^(١) ، وكان على مكة يومئذ هارون بن محمد العباسي ، فعاون
أهل مكة أهل العراق ، فكانت الهزيمة على المصريين ، فجرى من
ابن السراج كلام كتب به أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون
فأنكره ، فلما قدم أمر به إلى المأبوق^(٢) .

تلاعن الموفق
وأحمد بن طولون
من المنابر

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ الموفق ما عمله أحمد بن طولون

(١) كذا في ابن الأثير ، وفي الطبري الناعمودي ، وفي الأصل : ماردی
(٢) يقول المؤرخون إن جعفر بن الناعمودي قتل من أصحاب ابن طولون مائتي رجل وانهمز
الباقون وسلوا وأخذت أموالهم ، وأخذ جعفر من قائدي ابن طولون نحو مائتي ألف دينار وامن
المصريين — والمزاريين والمناطيين — وكان المصريون فرقوا في هؤلاء ما لا يلبثونهم — وفري
كتاب في المسجد الجامع بطن ابن طولون وسلم الناس وأموال التجار

من إسقاط اسمه وترك الداء له ، أمر بلعنه على المنابر وخرجت براءة
بلعنه إلى سائر الأمصار جميعاً فكانت نسختها :

« إن الله عز وجل قرن بطاعته طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعة أولي الأمر ، انتخبهم لأعزاز دينه ، وإقامة معاليه . فقال جل
من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فَإِنْ عَدَوْا اللَّهَ فَمَا بَالُ الْمُتَّبِعِينَ الْمُسْلِمِينَ ، المعروف
بأحمد بن طولون ، أظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، فيما بين
أقاصي المغرب إلى أكناف العراق ^(١) ، ومرق من الدين ، وخالف
أمير المؤمنين ، وأخرب ثغور المسلمين ، وقاتل فيها المجاهدين ، بأهل
الفسق الملحدين ، واستباح حريمهم ، وسفك دماءهم ، فلما تبين أمير
المؤمنين أمره ، وعرف كفره ، تبرأ منه إلى الله عز وجل ، ولعنه
لعناً ظاهراً وأمر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص الأولياء وعوام الرعية ،
اللهم فالعنه لعناً يفله حده ، ويقل جنده ، ويتعس جده ، واجعله
مثلاً للغابرين ، إنك لا تصلح عمل المفسدين ، يا رب العالمين . »
وكان أحمد بن طولون لما أسقط اسمه والدعوة له على المنابر ،
أمر أن يمحو اسمه عن الطرُز التي قد كتبت قبل ذلك ، ولا تُكتب

(١) روى السيوطي أنه كان لأن طولون ما بين رجة مالک بن طوق إلى قسى المغرب .
ورجة مالک بن طوق كانت بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات بينهما وبين بغداد مائة فرسخ
وبينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام

فما يستأنف ، فلم يبق بمصر ولا بنواحيها ثوب على طرازه اسم الموفق
إلا نقض ، فلحق الناس في ذلك مشقة .

وعمل شعراء الشام في حضرة الخليفة أشعاراً كثيرة ، فمن ذلك
ما قاله إسحق بن طريف الخزومي في شعر له طويل .

شعراء الشام
يحمسون لإنقاذ
الخليفة من أخيه

كيف برّجى للعهد من نقض العلم دَ ولم يرع حرمة الأجداد
ناكث قد أضلّ قوماً أطاعوا هُ على نكث يبعة وفساد
أي صوم لنا وأي صلاة وإمام الهدى أسير الأعادي
أي عذر لكم بخذل إمام لا بس ثوب خيفة وأضطهاد

وقال عبد الرحمن بن سلامة الشيباني :

هذا الخليفة في فئنا أعدائه متذلّ لهم أخو أستسلام
متوقع للقتل كلّ عشية وصباح يوم غدٍ من الأيام
يبكي على أولاده وعياله كبكاء ذات الثكل والأيتام
غدروا به غدر الجحود لكلّ ما قد كان أولاهم من الإنعام

وقال منصف بن خليفة الهذلي في شعر طويل له :

أمسى الخليفة بعد العزّ مأسوراً وأصبح اليوم مقهوراً ومحزونا
لم يرع ذمته أهل العراق ولا حموه حين غدوا لله عاصينا
سلّوا عليه سيوف الغدر [مشرعة] لقتله] وأبانوا ما يسروننا
يكلفون وليّ الله داهية والله يكره فيها ما يحبوننا

خليفة الله مأسورٌ ومضطهدٌ والناسُ في دارٍ لهموما [يبالونا]
وقال النابلسي الضرير من شعر له طويل يخاطب فيه أحمد
ابن طولون :

يا سميَّ النبيِّ لا نسيَّ اللهُ لك الذَّبُّ عن حريمِ النبيِّ
دولة الدينِ والخِلافةِ عزَّتْ بك لا بالطريدِ عنها البغيُّ
يعني أبا أحمد الموفق لما فقه المتهدي فردّه المعتمد

أُيزالُ اسمه على الرغمِ من كـ ل مقامِ أمرئِ كريمٍ سنيِّ
رامَ ما لن يناله فلقد خا فَ وخاب اعتصامه بالخِصيِّ
يعني اعتصامه بيازمان الخادم

ولبعداً له و[سحقاً] لإسحا قَ اليهوديِّ دينه الخَزَريِّ
يعني إسحق بن كنداج في معاضدته له على المعتمد

وقال محمد بن بشر العنسي :

يا بني الدينِ من مرادٍ وقحطاً نَ وأَ كفائهم من الأقوامِ
ضاربوا عن خليفة الله باليِّ ضرٍ وقوموا به قيامَ الكرامِ
حسبكم سبّةٌ عليكم وعاراً دائماً عيبه مدى الأيامِ
ما أصاب الإمامَ يومَ ابنِ كندا جَ وقد [جدّ] أمر أهل الشامِ

قال مؤلف هذا الكتاب وتواترت الأخبار من الحضرة إلى
أحمد بن طولون ظهور أبي أحمد الموفق على الناجم البصري وأنه
الصفاق لؤلؤ غلاه
ابن طولون
بالموفق

— ٣٠٢ —

قد شارف انقبض عليه في آخر سنة تسع وستين ومائتين ، فخره
ذلك وأقلقه ، وكان الموفق قد أراد لما كان فيه من الفضل
والعقل ، وجودة التحصيل ، أن يستشف أمر لؤلؤ في مولاه أحمد
ابن طولون ، فقال له : تخرج إليه لتقاتله ، فأسرع الإجابة إلى
ذلك ، فنقصه ذلك عنده ، ووضعه من عينه ، لأن جميع ما
كان يفعله الموفق بأحمد بن طولون ، إنما كان غيرة عليه ألا يكون
له كما هو لأخيه . وكان يقف على فضله ومجده فيتأسف ألا يكون
له ومعه .

فتقدم الموفق بأن يكتب جريدة بأسماء من شَخَصَ مع لؤلؤ ،
وأن تكون عدتهم مائة ألف رجل فارس وراجل . وتقدم سرّاً
إلى الكتاب بأن يدافعوا عن ذلك ، فظن لؤلؤ أن الأمر حقاً ،
فجدد آله ، واستبدل بدوابه ، وزاد منها في عدتها ، وشمر ذيله
لحاربة مولاه ، والموفق يتأمل من حاله في كل وقت ما قد عمي لؤلؤ
عنه ، ويقدر أنه لا ينتقد عليه قُبَحَ ما قد عمل على أن يحمل
نفسه عليه .

حدثنا عبد الله بن الفتح عن ابن الداية ، وكانت له من أبي
أحمد الموفق منزلة ، قال : لما تأمل الموفق أمر لؤلؤ ، وما عزم عليه
في أمر مولاه ، نغصه بعد سروره كان لمجيئه إليه ، فتوقف عن

الرجوع عن
اللعن في بلاد
الشرق وبلاد ابن
طولون

إنفاذه ، وأمر كاتبه صاعد بن مَخْلَد وجماعة من خاصته بمكاتبة أحمد بن طولون ، وتوبيخه على المبادرة بخلعه ، وإسقاط اسمه ، ويقولون : إنه إنما كان يجب أن تفعل ذلك لو رأيت بالخليفة حادثاً ، فأما ولم يجر إلا منع أمير المؤمنين من فعل شيء آثره ، لو بلغه لعاد عليه وعلى مملكته ضرر ، فذلك غير منكر يوجب ما تسرعت إليه ، لأنه ليس قادحاً في يمين ، ولا مُخْرِجاً عن بيعه ، ولا عادلاً عن طاعة ، وأنت تعلم أن خواص الملوك يردون أمرهم في كثير مما يحبونه احتياطاً لهم وعليهم ، ولا يخرجون به عن طاعة ، ولا يبحثون في بيعه ، وأنه قد كان يجب عليك أن تصون نفسك عن سوء الظن بنا ، في أننا نستجيز أن نحدث في أمير المؤمنين حادثة ، نبرأ إلى الله الكريم منها ، ويحلفون أن اللعن الذي خرج عن غير إرادة مني ولا منجبة ولا اختيار ، وأني لكاره لما جرى من ذلك ويشيرون عليه بأن يكاتبني بما يزيل به ما قد وقع بيننا وبينه .

قال : وكتب بما أمرهم به إليه عن أنفسهم ، وحلفوا له على كراهية الموفق لما جرى من اللعن وغيره ، ويقولون في كتبهم إليه إن الأحسن بك والأجمل ، لما خصك الله به من الفضل ، والمحل الجليل ، والمروءة المقرونة بالدين ، أن تكتب إليه تذكر فيه ما أنت مؤثر له من طاعته ، وما توجبه من حقه ورعايته ، وما يشاكل ذلك مما أنت بمجمل فعلك ووافر تحصيلك ، أهدى إليه إن شاء الله .

وَضَمِنْتُ الْكُتُبَ مَا لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِعْطَافِهِ ، وَمَا يَبْعَثُهُ عَلَى
 إِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا حَبَّوهُ ، وَأَنْفَذْتُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى
 أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ الْكُتُبَ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكْتُبُوا إِلَّا بِمَا اخْتَارَهُ الْمَوْفُقُ
 وَأَمَرَهُمْ بِهِ ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ وَأَجَابَ جَمَاعَتَهُمْ يَقُولُ : إِنَّ الْمَوْفُقَ أَحَدُ
 مَوَالِيهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا انْحَرَفَ عَنْهُ لِحَصْرِهِ الْخَلِيفَةَ ، وَأَسْرَهُ إِيَّاهُ ،
 وَأَنَّهُ لَوْ خَلَّاهُ مَعَ اخْتِيَارِهِ ، وَأَزَالَ عَنْهُ الْمَوَانِعَ الَّتِي أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا ،
 وَلَمْ يَخْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ عَلَى رِسْمِهِ كَانَ ، وَلَمْ
 يَنْحَرَفْ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَا عَدَلَ عَنْ مَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، لَكَانَ كَبَعْضِ
 خَدَمِهِ ، وَأَنْ جَمِيعَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَالٍ عَمَلُهُ مَحْفُوظٌ لِلْخَلِيفَةِ ، وَإِنْ أَقَامَ
 عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَصْرِهِ إِيَّاهُ فِي يَدِهِ وَتَوَكَّلَ بِهِ ، حَارَبَتْ عَنْهُ وَلَوْ لَمْ
 يَبْقَ مَعِيَ أَحَدٌ ، فَأَيُّ أَرْجُو أَنْ أُرْزَقَ الشَّهَادَةَ عَلَى حَسَنِ الطَّاعَةِ .

وَكَانَتْ الْكُتُبُ قَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ سِرًّا فَأَنْفَذَ الْجَوَابَ عَنْهَا سِرًّا .
 فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الْمَوْفُقِ ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا سِرًّا مَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَاسْتَحْسَنَ
 هَذَا الْفِعْلَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَأَنْ ذَلِكَ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِرَادَةِ
 قُوَّةٍ فِي طَاعَتِهِمْ ، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ فِي مَوَالِيَتِهِمْ ، وَكَانَ الْمَوْفُقُ كَامِلُ
 الْعَقْلِ ، مَتَمَكِّنًا مِنْ نَفْسِهِ ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ ، ذَكِيَّ الرُّوحِ ، فَسَكَّنَ
 ذَلِكَ مِنْهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَأَمَالَ قَلْبَهُ إِلَيْهِ ،
 فِي كَلِيَّتِهِ ، وَأَيْسَ مِنْ أَنْ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ يَتَخَلَّى عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ
 الْمُعْتَمَدِ ، فَقَعَلَ لِلْمُعْتَمَدِ كُلِّ مَا اخْتَارَهُ ، وَنَقَلَ إِلَى قَصْرِهِ ، وَبَلَغَ لَهُ كُلَّ

ما يحبه ، وأزال الموكلين عنه والتشديد عليه ، فأضرب عن كل
 ما قد عزم عليه في أمره ، كل ذلك [رعاية] لأحمد بن طولون ،
 ولكبره في نفسه وحاله وقوة يده ، وفضله في قلبه ، وامثل كل
 ما رسمه في كتبه وزيادة عليه رضا له ، وراسل الموفق المعتمد يقول له
 ما اختار لعنه وإنه لنادم عليه ، وعلى كل ما جرى في أمره ،
 وشكر له حسن محافظته عليه ، وحسن طاعته له ، وسأله مكاتبته
 بما يزول به ما بينهما . فسر المعتمد هذا من أخيه الموفق

وكتب إلى أحمد بن طولون كتاباً بخطه يسأله الرجوع عما
 هو عليه لأبي أحمد الموفق ، ويعرفه ما جرى في أمره ، وما فعله
 ورجع عنه ، ويشكره على ما كان منه ، حتى عاد له الأمر كما أحب .
 ويسأله أن يرد الدعوة له على المنابر ، وإعادة اسمه إلى الطرز ،
 ويعود إلى ما كان عليه من استقامة الحال ، وأنفذ الكتاب إليه
 مع الحسن بن عطف ، وأنفذ معه كتاب الموفق بخطه ، بإسقاط
 اللعن عن أحمد بن طولون ، فلما بلغ الحسن بن عطف الرقة بلغته وفاة
 أحمد بن طولون فرجع إلى الحضرة .

خيانة لؤلؤ
 وتفضيل الخارجى
 والربيع عليه

وكان قد اتصل بلؤلؤ غلامه أن مولاه قد باع نساءه وأولاده
 في سوق الرقيق بمصر ، وقبض على جميع ما كان له في داره ، فبلغ ذلك
 منه كل مبلغ ، وأقبل إلى الموفق فبكى بين يديه وقبل الأرض ،

وعرفه ما بلغه عن حرمة وأولاده ، وسأله إنفاذ الجيوش معه على ما كان عزم عليه ، وضمن له أنه المجهود في طاعته ، حتى يأخذ له البلد ، وبسط أسانه في مولاه ، ولم يدع شيئاً يغري به الموفق ويوحش به قلبه على مولاه حتى نقله ، فوعده الموفق بإنفاذ الجيوش معه ، وخلع عليه ، وحمل على دابة من دوابه ، وتقدم ، إلى الكتاب بتجريد الجيوش معه . كل ذلك سخرية به ومدافعة ، إلى أن يرد الجواب مع الحسن بن عطاء ، فيقبض حينئذ على لؤلؤ رضاء أحمد بن طولون لما شاهده من انحرافه عن مولاه ، وقبح فعله بمن رباه وأحسن إليه ، وكان هذا الفعل من الموفق لما فيه من العقل والرياسة والمروءة ، وعمل على أن يوكل به ويرده إلى أحمد بن طولون عند ورود جوابه عليه .

قال مؤلف هذا الكتاب : و [ما] كان فعل لؤلؤ في أمر مولاه كفعل الخارجي في الحجاج بن يوسف ، على أن رأي الخوارج في الحجاج وغيره من الولاة معروف . حدث مروان بن الحكم الأردني قال : أتني الحجاج بن يوسف بخارجي خرج عليه فقال : اضربوا عنق ابن الفاعلة ^(١) ، فقال له الخارجي : بئسما أدبك أهلك يا حجاج ، أبعد الموت منزلة أصانعك لها ؟ ما كان يؤمنك أن ألقاك بمثل ما لقيتني به ؟ فقال له الحجاج : صدقت لله درك ، وأطلقه . فرجع الخارجي إلى [أهله] ، فلما كان بعد وقت من الزمان ، عزم الخوارج على قتال

(١) في ذكر الآداب : اس الفاعلة

الحجاج ، فقالوا لذلك الخارجي : ارجع معنا إلى قتال الحجاج ابن
 القاعة ، فوالله ما أطلقك هو بل الله عز وجل الذي أطلقك ، فقال
 لهم : هيهات غلّ يداً مُطْلَقُها ، واسترقّ نفساً معتقها ^(١) وأنشأ يقول ^(٢) :
 أأقنلُ الحجاجَ عن مأكوته ^(٣) بيدٍ تُقِرُّ بأنها مولاته
 [إني إذا لأخو الدناءة والذي عفت على عرفانه جهلته]
 ماذا أقول إذا وقفت حباله في الصفِّ واحتجبت له فعَلاته
 وتحدثت الأقوامُ أن صنيعه غرست لديّ فحفظت فخلاته
 أأقول جارعاً عليّ ؟ إني فيكم لأحقُّ من جارت عليه ولاته
 والله لا خنتُ الأميرَ بآله وجوّارحي وسلاحها آلاته
 أجد الخزاية أن أكون مُصْعِراً خديّ أو مكفورة حسناته ^(٤)

فهذا على أنه خارجي لا عهد له ولا عقد ، شكر الحجاج على ما
 فعله في أمره ، وما من به عليه ، فمنعه ذلك من الإساءة إليه والعودة
 إلى ما يكره ، ولولئلا كفر أيادي مولاه ، وإحسانه إليه ،
 وإنعامه عنده ، ولم يشكر شيئاً منها ولا رعاه ، وقد منّ عليه
 بالأموال ، وصير له الجاه العظيم ، بعد أن رباه صغيراً في حجره
 كأحد ولده ، وأوطأ عقبه ^(٥) الرجال كثيراً . وأمره على من هو خير

(١) في أمثال المبدائي : واسترقّ رقبةً ممتهاً ، قال : وهو مثل يضرب لمن يستعبد بالاحسان إليه .
 (٢) صححت هذه الآيات على تاريخ ابن عساكر وعلى زهر الآداب للعصري . وفي ابن
 عساكر زيادة بيت غير مفهوم . وقيل إن هذه الآيات لعمران بن حطان أحد رؤساء الخوارج البلاء .
 (٣) في ابن عساكر وزهر الآداب : من سلطانه
 (٤) ليس هذا البيت في ابن عساكر ولا الزهر وهو في الأصل :
 احب الحرامه أن أكون مصعراً خدي أو لعناء كراماً حسابه
 (٥) أي كثر أتباعه

منه أماً وأباً وجالاً ومحلاً ، لشتان بين الرجلين ، والحديث شجون .
قال المنصور للربيع حاجبه ومولاه ، وإنما ملكه كبيراً ، وقدمه
واصطفاه رجلاً : يا ربيع ، سل حاجتك ، فلقد سكت حتى نطقت ،
وخففت حتى ثقلت ، وقللت حتى كثرت . فقال : والله يا أمير
المؤمنين ما أُرهب بخلق ، ولا أستقصر عمرك ، ولا أغتنم مالك ،
وإن يومي بفضلك عليّ لأحسن من أمسي ، وغدي في تأمليك
أحسن من يومي ، فلو جاز أن يشكرك شاكر بعين الخدمة والمناصحة
لما سبقني إلى ذلك أحد . فقال له : صدقت عليّ بذلك أحلك مني
هذا المحل ، فسل حاجتك ، فأني أقسم عليك لتفعلن ، فسأله أشياء
فوقع له بها وبجائزة حسنة .

وما يشك في أن لؤلؤاً قد وصل إليه من مال صاحبه أكثر
مما وصل إلى الربيع ، لأن المنصور كان رجلاً متقللاً قنوعاً ، فكان
في عطائه على قدر ذلك . ثم ازدادت حال الربيع حتى قلده وزارته
بلزومه مناصحته .

مسير لؤلؤ

قال : ونزلت حال لؤلؤ عند الموفق ببغية الوبي ، وأصله الدني ،
وفعله الردي ، حتى قبض عليه ، وأخذ جميع ما كان في يديه ،
فلما صيره ظرفاً فارغاً ، أطلقه كلباً والنغا^(١) ، كل ذلك كان

(١) ولغ الكلب في الاناء وفي الشراب ومنه وبه يبلغ كيهب ويبلغ وولغ كودث وويل
ولنا ويضم وولوغاً وولغاناً بحركة شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل لسانه فيه فحركه .

من الموفق غيظاً عليه ، لما شاهده منه في أمر مولاه .
 ولعمّدي بلؤلؤ في آخر أيام هارون بن أبي الجيش خمارويه ،
 وقد دخل إلى القُسطاط فما رأوه إنساناً ، ولا أولوّه إحساناً ، ومنعوه
 أن يلبس سيفاً ومنطقةً ، فكان يركب بدراًعةً ، وغلام واحد
 بين يديه ، كأنه من بعض وكلاء الريف ، فكان ما نزل به ثمرة
 العقل السخيف ، والفعل القبيح



سبب موت احمد بن طولون ولكل أجل كتاب

ما جرى لابن
لون مع يازمان
رجوعه مغيظاً
عنفاً

قال مؤلف هذا الكتاب : أول ذلك أن يازمان الخادم ، لما خلا ذرّعه بوفاة موسى أخي أحمد بن طولون وإبراهيم بن عبد الوهاب اليتيم ، تمكن من طرسوس وختل له ، [فتأربه خلف] ^(١) وكان قد استمال طائفة من مطوّعيها ، فوثّبهم على خليفة طخشي الذي استخلفه موسى عليها ، لما حضرته الوفاة فأخرجوه عنها ، واتصل خبره بأحمد ابن طولون ، وهو يومئذ بدمشق ، وخاف التدبير عليه ، فسلك طريقاً متجانفة ، ووجه إلى المخايض والقناطر بن يمنع منها أن تقع عليه حيلة فيها ، حتى بلغ المصيصة ^(٢) فأقام بها ، وكاتب يازمان وراسله بالشيوخ يدعوّه إلى الطاعة وترك المشاقّة ، والالتقياد إلى أمره ،

(١) تتجلى هذه المأذنة بما أورده الطبري في حوادث سنة ٢٦٩ قال : وفيها كان وثوب خلف صاحب أحمد ابن طولون في شهر ربيع الاول منها بالثغور الشامية وهو عامله عليها يازمان الخادم مولى الفتح (مفلح) ابن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثغر بخلف وخلصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدماء لابن طولون ولعنوه على المنابر ، فبلغ ذلك ابن طولون فخرج من مصر حتى صار إلى الشام ، ثم صار إلى الثغور الشامية فنزل أذنة ، وسدّ يازمان وأهل طرسوس أبوابها ، خلا باب الجهاد وباب البحر ، وبتقوا الماء فجري إلى قرب أذنة وماحولها ، فتحصنوا بها ، فأقام ابن طولون بأذنة ثم انصرف ، فرجع إلى انطاكية ثم مضى إلى حمص ثم إلى دمشق فأقام بها

(٢) المصيصة : من بلاد الثغور تسميها الترك اليوم سيس والافرنج (Mopsueste) ويقول البكري في معجم ما استعجم : المصيصة بكسر أوله وتشديد ثانيه بده ياء ثم صاد أخرى همزة : نمر من ثغور الشام معروف . قال أبو حاتم قال الأصمعي : ولا قل مصيصة بفتح أوله

ويبذل له الأمان ، ويُخيره بين الخروج منها سالماً مسلماً مرفوراً ،
 ويميت أسباب الشر والمحاربة ، أو يقيم عليها غلاماً من غلمانه من قبله ،
 فلم يجبه إلى واحد منهما . فدخل إلى أذنة ^(١) ، وكتبه أيضاً منها
 فلم يجبه ، فزحف إليه فوجده قد تحصن بها ، ونصب منجنيقانه
 وعزادته ^(٢) على سورها ، فنزل أحمد بن طولون بمرجها ، وأحاطت
 عساكره بحيطانها ، ففجر يازمان عليهم نهر البردان ^(٣) ، وكان ذلك
 في كانون الأول ، وأوان شدة البرد والمطر . فكاد أن يفرق أكثر
 عسكر أحمد بن طولون ، فرحل عنها ليلاً بعد أن غرق المرج وما
 حول مدينة طرسوس ، وغرقت المضارب والخيم ، وكل ما كان في
 العسكر ، فلم يتهيا له مقام ساعة واحدة ، ووافى إلى أذنة فكتب
 إليه كتاباً يقول فيه :

أما والله أيها الناقص الأنذل ^(٤) ، لولا [إرادة] إبقائي على ثغور
 المسلمين ، وكراحتي أن أفتح عليها للعدو معرفة تكون سبباً
 لهلاكها ، لعلمت أن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلماني ولا يعشُرُه ، فلما
 انتصرت بما فتحتة ففرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر

(١) بوزن حسنة بلد من الثغور قرب المصيصة ويقال لها اليوم أطله وهي حاضرة كيليكيا
 (Cilicie) من الكور الكبرى في آسيا الصغرى

(٢) الرادة بالشديد : شيء أصغر من المنجنيق شبيه بالجمع الرادات والمنجنيق ومكسر الميم :
 آلة ترمى بها الحجارة كاللتجوق والجمع منجنيقات ومجائق ومجانيق

(٣) اسم هذا النهر اليوم قره صو أي النهر الأسود وبالأفريقية Cydnus

(٤) التذل والتذيل الخسيس من الناس والمهتر في جميع أحواله والجمع أنذال ونذول ونذلاء ونذال

- ٣١٢ -

انصرفت كافاً يدي ، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر ،
لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلاح .
وأصبح أحداث طرسوس في حوا (?) إلى ما غرق من الآلات
التي زرّعها أهلها لما غرقت بالماء فنهبوها

وانصرف أحمد بن طولون عن يازمان ، بغيظ عظيم ، قد تمكن
في قلبه منه ، إن شفاه أهلك ثغور المسلمين وبلغ منبته ، فرأى أن
كظمه ، وتحمل غيظه لما كان فيه من الدين والخير ، أعوذُ عليه في آخرته .
وطال مقامه بأذنة ، وكان ذلك في عنفوان اشتداد البرد كما
ذكرنا متقدماً ، فمات من سودانه خلق كثير ، لأنهم بقوا بطول
مقامهم عراة في البرد . وتساقط من الدواب مثل ذلك من كثرة
الثلوج ، فلما زاد الأمر عليه رحل إلى المصيصة ، فاجتمع إليه
وجوه قواده وكبار أصحابه فقالوا له : لا تبرح أوزيرول هذا البرد ،
وتعود إلى يازمان ويمكنك الله جل اسمه منه . فقال لهم : والله لا يراني
الله عز وجل وأنا أجهز جيشاً لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام .

فأقام بالمصيصة ثلاثة أيام ، وقد نالته علة من البرد ، فلم يبلغ
أنطاكية حتى زادت علته ، وكان بدوؤها هيضة : أكل لبن جواميس
فاعتراه بعد الهيضة قذف فأعقبه في كثير ، فكان بدوؤه سبباً صغيراً
كما قال ابن الربيع :

بدء علة ابن
طولون ورحيله
إلى مصر وما وقع
له مع طبيبه

لا تَحْقِرَنَّ سِبباً كَمْ جَرٌّ شَرّاً سَبَبُ
وتزايدت علة الدَّرَبِ ^(١) . وكان طيبه سعيد بن توفيل ^(٢) ،
فوجده قد خرج إلى بعض الديارات هناك ، فاغتاض لذلك عليه ،
وضاق له صدره ، فزاده الغيظ هيفاً ، فلما وافاه طيبه سعيد
أغلظ له القول ، ومنعته عزة نفسه أن يشكو إليه أمره وما ناله ،
والعلة تزيد قليلاً قليلاً وتستحكم . ثم دخل إليه طيبه في الليلة
الثانية فاشتم منه رائحة نبيذ ، والنبيذ عند النصارى فهو والله دينهم
وعادتهم ، وقال له : لي بومان في هذه العلة وأنت لأم شارب
وتأثيتني متنبذاً فقال له : طلبني الأمير أيده الله بالأمس وكنت في
بيعة ^(٣) يتبرك مثلي بالصلاة فيها ، ويسافر إليها من البلدان البعيدة ^(٤) ،
فلما قربت منها استغنمت ذلك ، فلما جئت لم يخبرني سيدي الأمير بما
جرى بعدي ، فقال له : أما كان يجب أن تسألني عن حالي ؟ فقال له :
خفت سوء ظن سيدي الأمير ، ولم يجوز أن أسأل أحداً من الحاشية
عمالاً يعلمون صحته ، وشربي النبيذ فإنما آخذ منه الشيء اليسير ،

(١) الدَّرَب : فساد المعدة

(٢) ذكر ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء أن الحسن بن زيرك كان طبيباً بمصر في أيام
أحمد بن طولون يصحبه في الإقامة فإذا سافر صحبه سعيد بن توفيل

(٣) الغالب أن هذه البيعة هي بيعة القسيان في انطاكية وصنها ابن بطران في القرن الخامس
وصفاً دقيقة وتال كلامه ياقوت في مادة انطاكية

(٤) في طبقات الأطباء : فقال : يا سيدي طلبني أمس وأنا في بيعتي على ما جرت عادتي ،
وحضرت فلم تخبرني

لأننا نأخذه في قرباننا ديناً ، لا أشربه كما يشربه الناس ، وأنا مشغول
بخدمة الأمير . فقال له الأمير : فما الحيلة الآن ؟ قال : تمتنع من الغذاء
الليلة ، فلا تذوق شيئاً قل ولا جل ، بوجه ولا سبب ، ولو قرمت^(١)
إليه بكل نوع من الشهوة له ، وتتحمل ذلك على كل حال . فقال له :
ويحك فأنا والله الساعة جائع شديد الجوع وما أصبر . فقال له :
الله الله أيها الأمير ، فإن هذا جوع كاذب لبرد معدنك تجده .
فلما كان في نصف الليل اشتد به الجوع فلم يصبر ، وعاد ذلك الحزم
فيه نقصاً ، فدعا بشيء فأكله ، وأتى بطبق فيه فراريج [حارة] مشوية
وخروف وجدي بارد ، فأكل من كل ما رآه ، فلما حصل في معدته
انقطع عنه الإسهال .

قال نسيم الخادم : فلما وقفت على ذلك خرجت إلى سعيد بن
توفيل وهو قائم في الدار فقلت له : قد أكل مولاي الساعة من خروف
وجدي وفراريج وبز ماورد^(٢) ودجاج ، فخفف عنه القيام وامتلئ .

(١) القرم محرقة : شدة شهوة اللحم وكثرة حتى قيل في الشوق إلى الحبيب

(٢) الزماورد : طعام من البيض واللحم وقول العامة بزماورد أصوب لأن فارسيته بزماورد
(الألفاظ الفارسية المربة لادي شير) وفي كتاب الطبخ ل محمد بن الحسن الكاتب البغدادي أن
صنعت أن يؤخذ الشواء الحار الذي قتر وجهه ويقطع ويجعل عليه ورق النعم ويسير من خل خمر
وليمون مملوح ولب جوز ويرش عليه يسير ماء ورد ويدق بالساطور دقاً ناعماً ولا يزال يستمر
خلال إلى أن يشربه جيداً ويؤخذ الحبز السعيد الفائق اللب فيخرج لبايه ثم يحمى من ذلك الشواء
حشواً جيداً ويقطع ويل بالاء ويغشغش ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش فيه ناعم طري ويبى فيه بعضه
فوق بعض ويغشى أيضاً بشيء من النعم ويترك ساعة ويستعمل

فقال : الله المستعان ، والله أمر هو بالغه . ثم قال لي : ضعفت القوة المدافعة بقهر الغذاء لها قليلاً ، وستتحرك حركة شديدة قال : فوالله ما جاء السحر حتى قام أكثر من عشرة مجالس . ورحل عن أنطاكية وعلته نثزايد ، إلا أن في قوته احتمالاً لها . ووافى إلى دمشق فأقام بها لتسكن علته .

وكان ابن أبي الساج قد كاتبه ، وعزم على أن يوجه إليه ابنه يكون عنده رهينة بالوفاء ، وإظهار الدعاء له في أعماله بالجزيرة ، فظن أحمد بن طولون أن رأيه فيما أظهره صحيح ، فأنفذ إليه عبد الله ابن الفتح وطبارجي ومعهما الخلع والجوائز والخيل ، على أنه إن وفى بما ذكره ، ودخل في طاعته ، سلم إليه المال والخلع وما حمل إليه ، وثبتنا اسم أحمد بن طولون على الجزيرة وأعمالها .

ولما قرب طبارجي من ابن أبي الساج خشي أن يكون ذلك حيلة عليه ، وكان أحمد بن طولون قد تقدم إليهما بالقبض عليه ، فولى هارباً ، فرجع طبارجي وابن الفتح إليه فعرفاه بما فعل فعجب من ذلك . وخاف سعيد بن توفيل عليه من تزايد العلة ، فأشار عليه بالرحيل إلى مصر ، فاستخلف على دمشق ابن دغباش ، وقلد عبد الله بن الفتح الرقعة ، وجعل أنعج على السيارة بينهما ، ورحل على عجلة عملت له موطأة ، يجرها الرجال قليلاً قليلاً ، لأنه لم يتهياً له ركوب بغل ولا قبة ، لئلا نتحرك على ذلك [علته] ، فسار بهذه الحال حتى بلغ

الفرما^(١) ، فشكبا إزعاج العجلة أيضاً له ، فركب الماء في المركب
ينخب قليلاً قليلاً حتى وافي إلى الفسطاط ، وركب من ساحل
الفسطاط قبة إلى الميدان .

تويخه للقاضي
بكار لامتناعه عن
خلع الموفق

فلم يستقر في داره حيناً حتى أحضر بكار بن قتيبة القاضي
فسأله عن امتناعه من التصريح كما صنع غيره في أمر الموفق ، وقال
له : لم توقفت عن خلعه ، وقد حصر الخليفة وأسره وقهره واستبد
بالأمر دونه ، أمثل هذا لا يخلع ؟ ويؤمر على المسلمين لمخالفته رب
العالمين ، فقال له بكار : أنت أوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد
بتوليته العهد ، فلو أوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد أنه قد
خلعته ، وأما بخلعك أنت له أخاه أنا لا يجوز لي غير ما عملته ، إذ لم يجوز
لي أن أقبل الأمر بنصه . فقال له : صدقت ، أثبتك لعمري بكتاب
منه بتقليده العهد وهو مطاع القول ، وهو اليوم محصور مأسور
مضيق عليه ، قد نكث عهده من قلده إياه ، ولم يُجازِه على جميل
فعله به ، واستبد بالأمر دونه ، وحصره وقهره ، فوجب بذلك على المسلمين
خلعه . فقال له بكار : ما أقول في هذا شيئاً إلا بحجة أثبتها . فقال
له أحمد بن طولون : أنت شيخ قد خرفت ، وتقص عقلك ، وأعجبك

(١) الفرما : على ساحل بحر الروم وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر حاضرة آهلة عليها
حصن ولها أسواق حسنة (قاله المقدسي) وهي اليوم خراب . وفي معجم ما استعجم : الفرما بفتح
اوله وثانيه ممدود على وزن فَعْلَاء وقد تقصر مدينة مروفة تقاء مصر . والجفار واحد الجفر
الذي بفتح الجيم وإسكان الفاء) البئر ليست بمطوية .

قول الناس « بكار وبكار » فدعاك ذلك إلى أن خرجت عن جملة من شهد بأنه مستحق للخلع ، وخارج عن طاعة أمير المؤمنين من فيه الخير والدين ، ثم أقامه للناس في الميدان ، وأمر بتحريق سواده فحرق ، وحبسه في داره . فكان بكار في كل جمعة يلبس ثيابه وطويلته ^(١) ويخرج إلى باب الدار التي هو معتقل فيها ، يريد الجامع الجامع لصلاة الجمعة ، فيقول له الموكلون : ما إلى الخروج ، أيها القاضي ، سبيل ، إلا أن نؤمر . فيقول لهم : الله شهيد على أنني أرجع إليكم ، فيقولون له : ما إلى ذلك سبيل . فيقول : اللهم اشهد ، اللهم اشهد . ويرجع . ورفع ذلك إلى أحمد بن طولون فأرسل إليه يقول : زعمت أن المحجور عليه يأمر وينهي ويكتب ويكتب ، فكيف حال المنوع ؟ فما تريد أنت أيضاً ؟ أوردت علي كتاباً من الخليفة بتقليدك القضاء فأنفذت ذلك لك ، والآن فقد منعتك ، فتورد علي كتابه برديك حتي أردك . فأقام في الحبس مذ قدمته الأولى من الشام إلى عودته الثانية منها .

وتفرغ [أحمد بن طولون] لأشياء كانت في نفسه ، فمنها هرثمة صاحب دار هرثمة ، أوقع به واصطفاه جميع ما ملكه وحبسه ، لأنه كان رُفع إليه أنه قال : توهمنا أننا نخدم إمارة ، ولم ندر أنها خلافة ، إلا إنها خلافة وسخة مخوفة العاقبة .

عقوبة من
استصغر أمره
وزهد في تجارة
كانوا حسنها له

(١) أي قلنسوته الطويلة كما صرح بذلك الطبري في حوادث أول سنة ٢٣٩ حيث وصف دخول العلوي عسكر الموق فقال : وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة . وقال الملاحظ في البيان : فلون كانت القلائس مكشوفة زادوا في طولها وحدثة رؤوسها . وقال في أخلاق الملوك : كان المحتاج إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترأ أحد من خلق الله أن يدنل على رأسه شئاً .

وإنه اجتاز ببيكار بن قتيبة وقد أقيم للناس فقال له : عز علي ، كفانا الله وإياك ، فما هذا مقامك ، فحبسه في المطبق حتى مات فيه .
وأوقع بزياد المعدني لأنه بلغه عنه أنه سمع حسن بن مهاجر كاتبه ^(١) ، وقد لحن في لفظة ، فضحك منها . وكان أيضاً القواد كلهم يبغيضونه ويسبونونه لفصاحته وعجمتهم ، ولأن أحمد بن طولون تقدم إليه أن ينتسب إلى ولائه فقال له : أيها الأمير ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **مَلْعُونٌ مَنْ أُنْتَبِىَ إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ** . وجماعة من بالمغرب يشهدون بعنق أشهب لي ، فأمسك عنه . وبلغه أيضاً أنه كان يعيب ألفاظ أحمد بن طولون ويقول : كان أشهب مولاي أسد رابياً ، وأحق بالرياسة منه ، فحبسه حتى مات في حبسه .

وقبض على أبي الضحاك محبوب بن رجاء وأخذ جميع ما كان له وحبسه في المطبق ، وقال له : أنت كنت السبب في خروج ابني العباس إلى الغرب بالتضريب ^(٢) بينه وبين الواسطي ، وإنفاذك كتب الواسطي إلى ابني العباس بما كان يطالعني به من أمره ، وأغرته به ، وملأت صدره عليه ، لتقتل الواسطي وتنفرد بموضعه

وكان معمر الجوهري قد حسن له التجارة ، فحمل إليه مالا على أن يشغله له في كتان . فرأى فيما يرى النائم كأنه تمشش ^(٣)

(١) في الاصل: كتابه

(٢) التضريب بين التوم : الإغراء

(٣) التمشش: مس اطراف النظام

عظماً ، فدعا بالعسال المفسر ، وكان حاذقاً بالعبارة ^(١) ، فقص عليه
 ما رآه فقال له : أسفت نفس الأمير إلى مكسب لا يشبه خطره ومجمله ،
 فدعا بإبراهيم بن قراطغان ، وكان من أحد ثقاته ، ويتقلا صدقاته ،
 فقال له : امض إلى أبي الحسن معمر ، فخذ منه ثمن الكتان وتصدق
 بجميعه ، ففعل ذلك ، وكان مالا واسعا .

شكوى طيبه من
 استبداده وعدم
 سماعه نصائحه

حدث إسحاق بن إبراهيم قال : قلت لسعيد بن نوفيل طبيب
 أحمد بن طولون ، وقد صار إليّ بعد قدومه يوم يسلم عليّ ، ويشكو
 إليّ ما عاناه من علة أحمد بن طولون ، وكان يخدم أبي وعمي قبله :
 ويحك ، أنت حاذق في صناعتك فإره ^(٢) فيها ، وليس لك عيب
 إلا أنك مدلّ بها ، غير خاضع لمن تخدمه بها ، والأمير وإن كان
 فصيح اللسان ، هو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أسباب الطب ، ومقدار
 صناعته ، فتدل فيها عليه ^(٣) فيحتمل ذلك لمقدار محل الطبّ والحاذق
 فيه ، وقد أفسده أيضاً عليك إقباله ، فالطف له وارفق به وداره ،
 وخاطبه من حيث يشاء ، واخدمه كما يختار ، وواظب على أمره ،
 واحتمل شيئاً إن جرى منه ، فإن احتمالك يثنيه عما لعلك تنكره .
 فقال لي : والله ما خدمتي له إلا كخدمة النّار للسنور ، والسّخلة

(١) تمييز الرويا يقال عبر الرويا عبراً وعبارة وعبّر بها فسرّها وأخبر بآخر ما يؤل إليه أمرها
 والعسال هو أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد المصري كان في تفسير الرويا عجباً من العجائب وسبع الحديث
 توفي سنة ٣٠٢ هـ (أنساب السطاني) (٢) حاذق . (٣) وفي رواية : يدبر نفسه بها وينقادك

للذنب ، وحذري منه كحذرهن ، وإن قتلي لأحب الي من
صحبته ، لأنه يُنكر عليّ مسالا ينكر ، ويخالف من علاجه
ما ينفعه ، ويسارع إلى ما أحذره منه ، وأنها عنه ، فإذا حدث
ما يكرهه نسبني إلى أفي قصرت في علاجه ، وجعل الذنب لي . فقلت
له : فأنت علي هذا مرحوم ، أعانك الله بلطفه .

فلما اشتدت علة أحمد بن طولون أرجف إسحاق بن كنداج
وابن أبي الساج بموته وأذاعا [ذلك] ، وطعما في الوثوب علي أعماله
التي تقرب منها . وبلغ ذلك أحمد بن طولون فكتب إلى أنعج يأمره
بالمصير إلى عبد الله بن الفتح ليعاضده ، وكتب إلى ابن دعباش يأمره
بعضدتهما ، إن احتاجا إليه ، ووصاهم بأن تكون كلمتهم واحدة ،
وقلوبهم متفقة ، وأمر بمضاربه فأخرجت إلى منية الأصبح^(١) ،
وأنفذ إلى الشام جيشا فيه خاقان ويلبق ، وأقام في مضاربه نحواً من
شهر ، ونفذت بذلك الأخبار إلى ابن كنداج وابن أبي الساج
فكف ذلك منها طمعها ، ومنعها مما كانا قد عزموا عليه .

محاولة قائد
الاعتداء على بلاد
تعد من عمل ابن
طولون

وكان أحمد بن طولون إذا جرى ذكر إسحاق بن كنداج يقول :
قال اليهودي كذا ، وفعل اليهودي كذا ، لأن الحزر^(٢) كلهم يهود .

(١) في ياقوت أنها شرقي مصر ، مسوبة إلى الأصبح س عبد العزيز بن مروان أخي عمر بن
عبد العزيز س مروان . ولم يذكر صاحب المخطط التوفيقية هذه البلدة في حاضرها بشي وأتبع فقط
في الكلام على غابرها .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة : أن بحر الحزر تسميه العرب بحر الحزر (بضمه فتحة) —

مخاطرة ابن
طولون مع أطبائه
وإهلاكه طبيبه
الخاص

وأضرَّ بأحمد بن طولون مقامه في مَضْرِبِهِ لكَثْرَةِ المَوَاءِ ، فدخل إلى داره وعلته تزيده ، فأحضر الحسن بن زيرك الطبيب ، فشكا إليه سعيد ابن توفيل طبيبه . وكان ابن زيرك هذا حاذقاً أيضاً في صناعته مقدماً فيها ، وذكر له توانيبه في علاجه ، فَسَهَّلَ عليه عاتيه ، ووعدته بالسلامة منها عن قرب ، فأنس إلى هذا القول منه وفرح به ، وخفَّ عليه بالراحة في داره والطمانينة ، وبلاطفة النساء له بالغمر مرة ، وبالهدوء أخرى . ورفقُ النساء بالعليل يحدث راحة ، وكذلك محادثة الصديق المحب ، أو صاحب المخلص ، واستماع الأخبار والأحاديث ، من جدِّ وهزل ، تحدث سلامة وراحة قوية ، ومرحاً في القلب . فهذا أجلُّ ما استعمله العليل .

فلما حصل لأحمد بن طولون هدوؤه في داره ، واجتماع شمله وسكونه ، تبرَّك [بقول الحسن] بن زيرك ، فجعل يخلط فيما يأكله مع الحرمة ثقة بقول ابن زيرك ، ويسرَّ عن طبيبه وغيره ما يخلط به على نفسه ، ولا يتنعم من شهوة يوشترها ، لقوة قلبه بقول ابن زيرك الطبيب وما أطعمه فيه . وإنما قصد بذلك أن يكسره عن شكواه إليه طبيبه سعيداً ، فكانت راحته التي وجدها لا أصل لها ، فازدادت عاتيه بتخليطه . وكان قد انتهى على أمِّ أبي العشائر ابنه سمكاً قريضاً^(١) فأحضرته

— باسم من العشائر : توطئة على ساحله وهي تسمى الخرج بزيادة جيم في آخرها كما هو الشأن في الكلمات الفارسية المعربة . مثل ساذج وفالودج ولوزنج إلى آخره . والمشهور أنهم يهلون الجيم في النطق والكتابة (١) السمك القريس : لغة في القريس وهو الذي طبخ وعمل فيه صباغ (كالخل والزيت) وترك حتى يجف

إياه فأكل منه ، فتمكن في معدته حيناً حتى تدافع الإسهال عليه ، وزاد أمره ، فأحضر أطباء البلد كلهم ، وجعل الذنب لهم ، وقال لهم : أخطأتم في علاجي ، وأرهبهم وأخافهم . وقال للحسن بن زيرك الطبيب ، وكان قد سقاه دواءً ممسكاً : أحسب أن الذي سقيتني إياه أمس كان غير صواب ، وكذلك ما أسقيتني اليوم أيضاً . فقال : والله ما أسقي الأمير إلا ما أجتهد في الصواب فيه ، وأتولى عجنه وعمله بيدي ، وأعلم أنه علاجه وموافق له ، وكل ما تناوله الأمير أيده الله أمس واليوم فحمود ، زائد في القوة المسككة ، يُنهضها ويقويها في معدتك وكبدك .

وضاق صدر ابن زيرك من خطابه له ، فقال : يحتاج الأمير أيده الله ، إلى إحضار جماعة أطباء البلد كلهم ، في غداة كل يوم ، حتى يجتمعوا على المشاورة ، ويتفقوا في أمره على ما يستقونه ، فلا يتناول إلا ما أشارت به الجماعة ، واتفقت فيه آراؤهم . فضيق هذا القول صدر أحمد بن طولون فقال : والله لئن لم ينجع في دواؤكم وتديبيركم لأضربن أعناقكم بأسركم ، فما أنتم إلا ممخرقون ، وعلى الأعلاء متجئون ، لا يحصل العليل منكم على شيء في الحقيقة .

فانصرف الحسن بن زيرك من بين يديه وهو قلق بكلامه ، [قد فعل] الخوف منه في قلبه ، وعمل فيه الفكر ، وكان شيخاً كبيراً فحميت كبده عليه من انغم الشديد ، وقوي عليه الفكر فاختلف

عقله ، فبقي يومه وليلته يهذي بعلّة أحمد بن طولون ، ويورد كلامه له ، وما توتّعده به الجماعة ، فمات من الغد ، وطلبه أحمد بن طولون فعرف موته فازداد غمه وقلقه ، وأمر بجمع الأطباء فجمع له أطباء البلد الموصوفون في التقدم في الصناعة والحذق ، وكانوا إذ ذاك متوافرين ، فكانوا يحضرون في كل يوم بين يديه ، ويحضر طبيبه سعيد بن توفيل خشية ما جعله ابن زيرك في نفسه ، فيتشاورون في أمره ، فإذا انفقوا على صفة لا يشكّون فيها جميعاً ، عملت شربة فيها شربتان ، فيشرب أحدهم نصفها بين يديه ، ويسقى النصف الآخر . كل هذا حتى يزول الشك عنده فيهم ، فكان من يشرب منهم ما لا يحتاج إليه جسمه ضره وأعقبه علّة ، فكانوا يحتملون من ذلك أمراً عظيماً طول علته .

الطيب المقيح
الذي اختير
للحرم

قال : وكان أحمد بن طولون قد قال لسعيد بن توفيل طبيبه قبل علته : أريد طبيباً يصلح لخدمة الحرم ، ويكون بين أيديهم في غيبتني وحضوري . وكان له ابنٌ بارع في صناعته ، قد حذق الطب ، وكان ذكي الروح ، حسن الوجه . فقال له : لعبد الأمير ابن كُبّس ، قد برع في الطب ، فإن أمرني بإحضاره أحضرته . قال : أحضره ، فلما أحضره نظر إلى حسنه فقال له : وبلك ! أقول لك طبيب يصلح للحرم ، تجيئني بمن يفتنهن ويفسدهن ، أنظر لي واحداً مقبلاً ،

لا يهش إليه أحد . فحملت سعيد بن توفيل النفاسة واغيرة على موضعه
أن يدخل معه فيه غيره ، على أن [أخذ] هاشماً - وكان شاكريه^(١) -
فألبسه درّاعة^(٢) وخفياً وعمامة ، وقلع ثيابه الوسخة التي كان
يخدم فيها ، وكان مقبّحاً جداً ، فأدخله إليه . فلما رآه قال له :
نعم هذا يصلح لمن ، وقد جوّدت فيه ، فألزمه خدمتهن ، وكان
هاشم هذا إقبال قد أزف ونجوم قد طلعت ، لم يعلم بها سعيد بن توفيل ،
ولا أن هلاكه يجري على يديه ، فأدخل إلى الحرم فسأله عن أشياء
تنفق عندهن : من دواء الشحم وعلاج سواد الشعر وعلاج الحيض
وأشباه ذلك . وكان هاشم خباً ملعوناً ، فاجراً ردي الطبع ، فجرى
معهن في ميدانهن كما أردن ، فقال لهن : أنا أعمل لك كذا وكذا .
وقال لأخرى لما تطلبه منه : أنا أعمل لك في هذا ما لا يعرفه أحد
ولا يحسنه . وعمل لكل واحدة منهن ما أرادت ، فحظي بذلك
عندهن ، حتى ضرب بعضهن بعض المثل ، وكسب منهن كسباً كثيراً
ما كسب صاحبه مثله مع أحمد بن طولون . ولم يكن يحسن غير دق
العقاقير ، وعجن الأدوية بين يدي سعيد ، ونفخ النار تحت الأدوية
المطبوخة ، ولم يكن يمكنه من عمل شيء من الطب ، لأنه لم يكن
وزنه ذلك ولا صمّله عنده ، وإنسا كان يمسك حمّاره إذا دخل دار
الأمير أو بغله ، وينام في الاصطبل .

(١) الشاكري : الأجير والمستخدم مررب جاكر .

(٢) الدراعة : جة من صوف مشقوفة المقدم

وكان جماعة الأطباء قالوا لسعيد لما اصطنع هاشماً وأدخله إلى
الأمير والحرم : يا سعيد نَفِستَ^(١) على غيرك أن تدخله دار الأمير ،
وفيه من لا يشك فيه أنه يصلح لذلك ، حذقاً بالصناعة وفهماً لها ،
ثم مع هذا كنت تكون آمناً منه عليك وعلى حالك ، والله ليكون
لك من هاشم الذي اخترته يوم يرد إليه طبعه الردي ، وأصله الذي
حدث جرّيج بن الطباخ المتطبب قال : لقي سعيد بن نوفيل
[عمر] بن صخر الطبيب فقال له [عمر] : ما الذي نصبت هاشماً له ؟
فقال : لخدمة الحرم ، لأن الأمير طلب مني طبيباً مَبْجَاحاً . فقال
له : قد كارت في أبناء الأطباء قبيح قد حسنت تربيته ، وطاب
مَغْرَسُهُ ، يصلح لهذه الحال ، ولكنك استرخصت الصنعة ، والله
يا أبا عثمان ، لئن قويت يد هاشم ليرجمن فيك إلى دناءة مَنْصِبِهِ
وخساسة مَحْتَدِهِ . فتضاحك سعيد من قوله ، وقد رَأَى ذلك لا يكون

فلما جمع أحمد بن طولون الأطباء ، واتفقوا على ما يعالجه به ،
دخلت إليه أم أبي العسائر ابنة فقالت له : قد أدخل مولاي إليه
اليوم جميع الأطباء ووقفوا على علاجه ، وعمل كل واحد منهم بما
عنده من الصواب بما سقوك إياه ، وأرجو أن يكون فيه الشفاء
بمشيئة الله . ولم يُحْضِرْ مولاي هاشماً طبيباً فيمن حضر ، والله
يا مولاي ما فيهم مثله ، لأننا قد شاهدنا منه في خدمته لنا ما حمدناه

(١) نفس به كفرح : ض وعليه بخير حسد وعليه التي تناسة لم يره اهلاً له

تقعة ابن طولون
بدجال وزهده في
إشارة الأطباء

وتبر كنا بصفاته . فقال لها :- طلباً للفرج ، ولما هو عليه من العلة التي
يطمع العليل فيها بكل شيء ، وتعلق نفسه بما توعد به فيها من العافية :-
أحضّر يديه سرّاً حتى أخاطبه ، وأسمع ما عنده في مشاهدته حالي .
فأدخلته إليه سرّاً ، بعد أن شجعتة على كلامه ، وسهلت عليه هيئته ،
لأنه جبن من دخوله إليه ، مما لم يقدر أنه يراه أبداً . فلما دخل إليه ،
ومثل بين يديه ، وأخذ بحبسه ، وتأمل له قليلاً ، لطم وجهه وقال : أغفل أمر
الأمير أيده الله حتى بلغ إلى هذه الحال ؟ لا أحسن الله جزاء من تولى أمره .
فكان لطم هاشم وجهه بين يدي الأمير ، وما تكلم به في أستاذه تصديقاً
لقول من أذكر على [سعيد] تقديمه وإدخاله إياه إلى الحرم ، وتركه
بحيث لا يستحق ، وكان ما خاطبوه فيه حقاً . فقال له أحمد بن طولون : يا مبارك
فما الصواب الآن ؟ قال : يتناول الأمير أيده الله قريحة صفتها كذا
وكذا ، وعدّد فيها قريباً من مائة عقار ، ولم يعلم أن سبيل هذه
القبايح تمسك [عندما] تتناول ثم تعقب ضرراً كبيراً ، لأنها تتعب
القوى الماسكة ، وكان استعماله ما اتفق عليه الأطباء مع سعيد وسقوه
إياه لو دام عليه أحمد عاقبة وأنفع ، فامتنع من شرب ذلك يومه ،
وتناول القميحة التي أشار بها هاشم ، وعملها له بين يديه ، فلما
تناولها أمسكت وحبست قيامه وقوي قلبه لذلك ، وحسن موقع
هاشم من قلبه ، وظن أن البرء قد تمّ له ، فقال له : ويحك يا هاشم
إن سعيد بن توفيل قد حماني منذ شهر من لقمة عصيدة ^(١) اشتيتها

(١) العصيدة : دقيق 'بكت' بالسم وبطيخ

ومنعني منها لعنه الله ، وأنا والله أشتها . فقال له : أيها الأمير قد
أخطأ سعيد ، العصيدة مقوية ، ولها أثر حميد . فأمر أحمد بن طولون
بإصلاحها فأصلحت ، وحي منها إليه بجام^(١) واسع ، فأكل منه أكثره ،
وطابت نفسه ببلوغ شهوته ونام ، وكان يشتهي النوم فيتعدّر عليه ،
فأثقلت معدته ووجد خفاً في انقطاع الإسهال ، وطاب له النوم بعد
الأكل ، وظن أن ذلك صلاحه وعافيته ، وطوى ذلك عن طبيبه
سعيد ، ولم يوقفه على شيء منه .

فتبارك الله الخالق الباري المتفرد بالكمال والبقاء ، بينما كان له
العقل الصحيح ، والرأي السديد ، والفراسة المضيفة ، والحدس الصادق
الذي ما كان يخطئ في أيام إقباله ، وما كان يُلزمه نفسه ويتفقد
منها ومن غيرها ؛ وشدة حذره وتوقيه . . . حتى انقلبت العين في
هذا كله دفعة واحدة ، وصار هو عدو نفسه يطعمها سرّاً من طبيبه
السمك القريض ، مع ما يعلمه الناس كلهم فيه ، والعصيدة الثقيلة المتخمة
المؤذية في حال الصحة فكيف مع العلة ؟ ثم يخادع نفسه ويسخر منها ،
ويكتم طبيبه وغيره حاله في ذلك ، حتى [كان] له في معدته بسوء فعله
عدوّاً قاتلاً ، ويفضل مثل هاشم على مثل طبيبه سعيد بن توفيل وغيره
من حذّاق الأطباء ، إلا أنه إذا أراد الله عز وجل أمراً سلب كل
ذي لبّ له ، حتى تتم مشيئته .

(١) الجام : كلمة فارسية وفي القاموس : إناء من فضة وجمعه اجزء بالهمز وأجوام وجامات وجموع

محاورته مع ابن
توفيل وضربه إياه
وقلته

فلما أكل العصيدة وثام انتبه من نومه ، فأحضر سعيد بن توفيل فقال له : يا سعيد ما تقول في العصيدة ؟ قال : ثقلية على الأعضاء ، وأعضاء الأمير تحتاج إلى التخفيف لا التثقل . فقال له : دعنا من مخاريقك ، قد آكلتها بحمد الله ، ولم أرَ إلا خيراً . فأمسك سعيد حيزه في أمره . وجاءوه في الوقت بسفرجل من الشام وفاكهة ، فقال لسعيد : ما تقول في السفرجل ؟ فقال : مصّ منه شيئاً يسيراً على خلوة من المعدة فإنه صالح . فلما خرج سعيد من عنده أكل سفرجلتين كبيرتين ، فعصر السفرجل العصيدة فتدافع الأسهال جدّاً ، فدعا بسعيد بن توفيل فقال له : يا ابن الفاعلة ، ألم تزعم أن السفرجل صالح ؟ ما صلاحه وقد عاودني الأسهال ؟ فقام سعيد ينظر إلى النجوة^(١) فرجع إليه فقال : هذه العصيدة التي أحمد الأمير أمرها وذكر أنني ممخوق ، وأني غاطت في منعه منها ، لم تنزل قائمة متحيرة في الأحشاء لا تطيق عبوراً ، ولا تطيق المعدة هضمها لضعف قوتها حتى عصرها السفرجل ، ولم أطلق [لك أن تأكل] السفرجل ، إنما قلت تمصّ منه يسيراً ، وكان سعيد قد أخبره الغلمان أنه أكل سفرجلتين ، فقال له في خطابه : أكل الأمير السفرجل للشبع ، لم يأكله للعلاج . فقال له : يا ابن الفاعلة أخذت تهازني وأنت صحيح سوي ، وأنا عليل مدنف^(٢) . السوط ! فأحضر ، فضرب بهن يديه مائتي سوط ،

(١) النجوة : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط

(٢) دنف الرجل : ثقل من المرض ودنا من الموت .

وحمل على جبل وطيف به البلد ، ونودي عليه : هذا جزاء من ائتمن .
فخان . ونهب داره فمات بعد يومين .

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان أحمد بن طولون يجذر سعيداً قديماً من قتله له ، وكان قد وقع له لثم المشيئة في سعيد أيضاً أنه قد أغفل علاجه في بدء العلة ، حتى تزايدت عليه وعظم أمرها ، ولم يكن الأمر كما ظنه أحمد بن طولون به ، ولا كان الخطأ إلا منه على نفسه ، والذنب له دون غيره . وكان سعيد بن توفيل من يوم أكل السمك قد أيس منه ، وعرف نسيم الخادم بذلك ، وكان غلاماً عاقلاً محصلاً . حدث نسيم الخادم أن مولاه أحمد بن طولون طلب سعيد بن توفيل يوماً من الأيام فقبل له : مضى يستعرض ضيعة ذكرت له يشتريها ، فأمسك ، فلما حضر قال له : ويلك يا سعيد ، اجعل صحبتي ضيعتك التي تشتريها لتستغلها ، وواصل مراعاة خدمتي ، واحرص على صحي ولا تغفل ذلك ، واعلم أنك تسبقني إلى الموت ، إن كان موتي على فراشي ، وأني لا أمسكك من الاستمتاع بالحياة بعدي . فقال بعض العلماء حين سمع هذا القول : ما سمعت حثاً لمطبيب على مبالغة في نصيح أشد من هذا .

قال مؤلف هذا الكتاب : وفي إفاقته من عاته ، أطلق محبوب بن
رجاء من محبسه ، ورد إليه جميع ما كان أخذ منه ، فوجد محبوب
' اطلاق ابن رجاء
من محبسه ورد
ماله عليه

ماله مختوماً بخاتمه بجماله . . . دنانير ، ما عرض له ولا نظر إليه .

فلما رأى أحمد بن طولون اشتداد العلة أحضر خواصه من وجوه قواده وابن مهاجر والواسطي ، وقال لهم : استهدوا لنا الدعاء من الناس كدقة ، وسلوهم الخروج إلى الجبل ، والتضرع إلى الله جل اسمه بالمسألة له في عافيته لنا ، فشاع هذا القول منه في الناس ، فخرج المسلمون بالمصاحف إلى سفح الجبل ، وتضرعوا إلى الله في أمره بنيات خالصة لمحبته له ، وشكروهم لجليل أفعاله ، وكثرة معرفته وإحسانه ، وصيانتهم عن كل حال يكرهونها منه ، أو من أحد من حاشيته ، مع أمتهم ورخص أسعارهم ، بمراعاة ذلك وحرصه عليه ومحبته له .

طلب ابن طولون .
دعاء الرعية له

فلما رأى اليهود والنصارى ذلك من المسلمين خرج الفريقان ، النصارى معهم الإنجيل ، واليهود معهم التوراة ، وفي أيديهم حزم الآس ، وفي أيدي شمامستهم البخور ، يبغرون ببخورهم الذي يتبركون به ، واجتمعت الجماعة كلها في سفح الجبل ، واعتزل كل فريق منهم على حدة ، يدعون الله عز وجل ، ويتضرعون إليه في أن يمنَّ عليه بعافيته . فكان يوماً عظيماً ، وارتفعت لهم ضجة عظيمة هائلة حتى سمها في قصره ، فبكى لذلك ، وتضرع معهم إلى الله جل اسمه ، والمنية قد قربت ، كما قال بعضهم :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

قال : ومن شيم النصارى أن يتضرعوا بمثل هذا الفعل في الاجتماع والخروج ، إذا قدم البلد والجديد ، وكذلك رأيانهم قد عملوا في قدوم بولس إلى البلد ، خرج النصارى إليه ، وفي أيدي شمامستهم الزبور وغيره . . . ومعهم المجامر يبخرون من باب المدينة إلى أن دخل إلى داره وخرجت إليه أيضاً اليهود ، وفي أيدي أحبارهم وشيوخهم الآس ، وفي أيدي بعضهم كتبهم يقرءونها بين يديه ، فكان لهم ذلك اليوم ضجيج في البلد .

رسوله إلى
القاضي بكار وما
كان منه

وحدث نسيم الخادم قال : دعاني مولاي ، وقد مضت قطعة من الليل ، قبل وفاته بشهر واحد ، فقال لي : ادخل إلى بكار بن قتيبة فإن أصبته يصلي ، فانتظر فراغه من ركوعه وسجوده ، فإذا سلم فقل له عني : أنت تعلم ميلي إليك قديماً ، وإكرامي لك مبتدئاً ، وأنه لم يفسد مملك عندي إلا أمر الخلع ، وأن شهادتك فيه كانت مباحنة لشهادة غيرك ، مخالفة لها . وقد شاع في عسكري أنك نقت هذا الخلع عليّ ، ووالله ما انحرفت عن الناكث لاسيما كانت منه إليّ اعتدتها له ، ولا أردت بخاله إلا الله عز وجل ، لأنه أسر الخليفة ، ومنعه ما يجري له . والصواب أن تحضر مجلسي في جمع من أوليائي وأولياء أمير المؤمنين ، فتتبرأ من الناكث براءة ندل على صدق نيتك لأمر المؤمنين ، وترجع إلى عملك ، وترجع لك

إلى ما كنا عليه من الإكرام والموالاة ، والحال التي كانت بيننا ،
وإن امتنعت من هذا فلا لوم علينا فيما أتينا في أمرك ، مما لم نؤثره
ولا نختاره والله فيك .

قال نسيم الخادم : ففتحت باب الحجرة التي كان فيها بكار
معتقلاً ، ودخلت فوجدته قائماً يصلي ، فقلت من حيث يسمع :
رسول الأمير ، لأنه كان ثقیل السمع ، فوالله ما حركه ذلك
ولا فكرفيه ، ولا أوجز من صلاته ، ولم يزل يقرأ حتى فرغ من
حزبه ، ثم ركع وسجد وجلس قليلاً ، وقام وقرأ طويلاً ، ثم
ركع وسجد وجلس يسيراً ، ثم سَلَّمَ ، فقلت له : ر [سول الأمير] ،
فقال : وما يريد الأمير ؟ فقصصت عليه الرسالة فقال : قل
له : يعزُّ عليَّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك
إلى ما لا بدَّ لك منه ، وقد أعنَّني وآدبني ، لأنك تكلفني الشهادة
بالبلاغات التي لا يُعزُّ لها الحكم ، فخفف الله في أمري فأني شيخ
فاني ، وأنت عليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل
قريب ، وقد والله نصحت لك والسلام . وقام إلى صلاته .

قال نسيم : فخرجت من عنده وقد أبكى قلبي ، وأبكى عيني ،
فدخلت إلى مولاي فأعدت عليه قوله ، فبكى وبقي يقول : شيخ
فاني ، وعليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب .
وأقبل يكرر ذلك ثم قال لي : انظر أعرف المضمومين إليك ،

فوكله به في دار تكثرها له ، وأطلق له دخول ابني أخته إليه ومن أحب . فاكثريت له داراً في نواحي الموقف ، ووكلت به رشيقاً أخا سعد الفرغاني ، لأنه كان شيخاً فيه دين وخير ، فلم يزل معتقلاً فيها إلى أن مات مولاي ، فأطلقه أبو الجيش يوم موته واستحله لآتيه ، فكانت هذه الفعلة من أبي الجيش أحد أفعاله الحسان ، فأقام بعد مولاي عشرين يوماً ومات فلحق به .

جاسوس الموفق
على اس طولون

حدث شعيب بن صالح قال : أُرْجِفُ الناس بوفاة أحمد بن طولون قبل أن يموت بشهور ، وعلّلُ الخوفُ أبدأً طول على أصحابها . فدخل إليه يوماً جماعة من أصحاب أخباره ، ومعهم رجل من أهل المدائن فقالوا له : هذا صاحب خبر الموفق . فقال له أحمد بن طولون ليس [ينجيك] مني ولا يخلصك غير صدقك إياي ، فاصدقني تنج فقال له : نعم أنا صاحب الموفق ، أنفذني إليك قاصداً لآعرف له صحة أمرك في علتك لاغير ، لما أُرْجِفُ بك عنده . فقال : [لقد سلم] الله روحي وجسمي ، وأنا صحيح العقل والتمييز لم أمت ، بمن الله وطوّله ، وأوليائي متمسكون بطاعتي ، والدليل على ذلك إتيانهم إياي بك ، ارجع إليه فقد أمّنك الله جل اسمه وعرفه ذلك ، وقل له : إني لم أنحرف عنك وأخلمك وأخالف عليك كرهاً لك ، ولا كان ذلك مني إلا طاعة لأمير المؤمنين وما أكدته عليّ ببعته .

فإن رجعت عما أتيت في أمره كنت لك كما أنا له متصرفاً بين أمركما ونهيكما وطاعتكما . واحذر أن تقيم ، ووكل به حتى أخرج عن البلد من وقته .

قال مؤلف هذا الكتاب : فورد علينا الخبر أنه لما وصل إلى الموفق رسوله هذا ، فأدى إليه رسالة أحمد بن طولون ، بكى غماً منه بعلته ، وقال : صدق والله في قوله . ونذر لله عز وجل في عاقبته نذراً من صيام وصدقات .

وحدث شعيب بن صالح قال : دخلت يوماً إلى نسيم الخادم أسلم عليه ، فرأيت عنده شيخاً من أهل الدينور^(١) حسن الظاهر ، وذلك بعد وفاة أحمد بن طولون بمديدة يسيرة ، فرأيت متمسكاً من نفسه حسن الإبانة^(٢) . فقال لي نسيم : تريد أن تقف على أن مولاي قد ختم له بخير ؟ سل هذا الشيخ يحدثك بخبره معه فأني حضرته ، قال : فترحم الشيخ على أحمد بن طولون ، فسألته عن ذلك فقال لي : كنت يوماً جالساً في الموقف ، في دكان بعض أهل سوق الجهاز ، وإلى جانبي رجل حسن الهيئة ، فذكر أحمد بن طولون في علته وغلظها ، فقال رجل من حضر معنا في الدكان : قد مات ، فقلت ، وما أعرف لي غلطة غيرها : (قَمَّا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) ،

كم الألواء عن
التكلم في ابن
طولون إلى آخر
آيامه

(١) الدينور : بادية من أعمال الجبل قرب ترميسين وقرب شهر زور و همذان

(٢) تقرأ إبانة وإبانة وكنائهما لا تصدم للشيء

فقام ذلك الرجل من جانبي ، فما بعدَ حتى عاد ومعه خمسة رجالة وقال لهم
 بيده : خذوه . فطرح ردائي على وجهي [وساقني] سوقاً عنيفاً حتى
 أدخلت الميدان ، فعرضت على حسن بن مهاجر ، فقال لي : يا كلب بطرت
 بعيشك بالأمن ، ولو شُغلت بالخوف لتركك الفضول ، فحسست من
 كلامه قد وشي بي^(١) . ثم كسب رقعة ووجه بها مع خادم إلى الأمير ،
 فما أبطأ حتى خرج ، فخطبته بما لا أقف عليه ، فقام وأدخلني معه ،
 فعجبت في سرِّي إلى الله جل اسمه ، وسألته حسن الدفاع عني ،
 ومثلت بين يدي الأمير ، وقد زاد اضطرابي ، وأنا مستعين بالله على
 ما أتخوفه منه ، فسلمت فردَّ عليَّ السلام باصبعه ، ورأيت عليه
 أثر البكاء . فقال لابن مهاجر : ترفق قليلاً قليلاً ، سل هذا
 الرجل هل سبقت منا إليه إساءة ؟ فردَّ عليَّ ابن مهاجر قوله .
 فقلت : لا والله أيد الله الأمير . فخطبني هو وقال لي : فما أخذك
 ويحك بإطلاق لسانك بما لا يجوز لك في ولائك ؟ فقلت : أعزَّ الله
 الأمير بما لا يُضبط من القمذار الذي يجري بالمحبوب والمكروه ،
 وخور يلحق الطباع الضعيفة فيمنعها من حسن التحرز . فقال لابن
 مهاجر : قد أحسن الاحتجاج لنفسه ، وما يسهل عليَّ إصلاحه في تقويمه
 بفسادي في معادي ، على شدة حاجتي في هذا الوقت إلى عفوري ،
 ثم التفت إليَّ فقال لي : حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه

(١) في الأصل هكذا : « مد راي » بلا قط

فقال : أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : مرُ عامة أمتك ألا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر ، فإن للملوك كبائر من الأفعال الجميلة لا يصل إليها عامتهم ، تمحص بها آثامهم ، ويحسن بها صدرهم^(١) . ثم قال للنسيم : ادفع إليه خمسين ديناراً واصرفه مصوناً . قال الدِّينُورِيُّ : [حفظت الحدِيثَ ونسيت إسناده لفرط ما لحقني من الخوف والهيبه ، فقد بقي في نفسي منه جرح لا يندمل ، وغم لا يزول إلا بعد وجوده ، وقد أحفيت^(٢) الطلب له وأنا كذلك إلى أن أجده بعون الله ، فرحم الله أحمد بن طولون ، فامر لي وقت إلا وأنا أترحم عليه ، وأستغفر الله جل اسمه له .

قال : وكان أحمد بن طولون كثير الاستقصاء في مال الجيش ، فلما اشتدت علته تقدم إلى ابن مهاجر في إطلاق رزق سنة للجيش في بيعة أبي الجيش بعده ، فظن ابن مهاجر أن ذلك من اختلاط العلة ، فأهمل العمل به ، فلما كان من غد يومه سأله عما صنع في ذلك . فقال له : ما خرج الحساب من أيدي الكتاب بعد . فقال له : أظننت ويحك تخليطاً بي من العلة ؟ ما أنا كذلك والحمد لله كثيراً ، بل أنا بضده ، وإنما لمثل هذا الوقت جمعت الأموال ، وإنما أردت أن يعلم الجيش أنه قد حصل لهم مالا يسمح ببعضه من

اطلاقه رزق سنة
لجيشه

(١) في الأصل : وحسوها صدرهم

(٢) أخى السؤال : ردده والإخفاء مثل الإلحاف وهو الإلحاح

يحاربهم ويكاثروهم ، فتكون أيديهم وقلوبهم قوية ، فسكن ابن مهاجر إلى هذا القول ، وأطلق المال للرجال ، فعظمت منته عندهم ، وكثر شكرهم .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما اشتدت بأحمد بن طولون علته دعا بأحمد بن محمد الواسطي وقال له : يا بني مثل هذا اليوم وهذه الحال رببتك واصطفيتك ، وقد علمت حسن موقعك مني ، وأني فضلتك على الولد وكل أحد ، فلا تخف الظن بك ، واعلم أن الوفاء أحسن لباس ، وأفضل معقل ، والله يشكره عز وجل لمن استعمله . حرمي هن أمهاتك وأخواتك قال : والواسطي يلطم وجهه ويبكي ، وأحمد بن طولون يبكي معه ، وهو يحلف له أنه لو تعرض للقتل لما قصر فيما عاد بمصلحة شمله ويقول : وأرجو أن يهب الله للأمر العافية ، ولا يرينا فيه سوءاً أبداً ، ويقدمنا جميعاً بين يديه ، وكل ذلك [وهو] يعجُّ بالبكاء .

فحدث نسيم الخادم ، [قال : فلما خرج] الواسطي من حضرة مولاي قال لي : يا نسيم والله ما أخاف على حرمي إلا منه ، وعلى جميع مُخَلَّفِي ، لأنه قوي الحيلة ، فاسد الدين ، ولولا أنه وقت استكانة إلى الله عز وجل وخضوع ، ما كنت آمن على مُخَلَّفِي منه . قال : فلما كان من غدر الواسطي بأبي الجيش ما كان ، وذهابه

غدر الواسطي
بعد وفاة ولي
لعمته

إلى المعتضد ، ومعاونته إياه على أبي الجيش ، ذكرت قول مولاي رحمه الله ، وفراسته فيه ، فمأزر الله عز وجل أبا الجيش بغدره ، وبقي شريداً طريداً مطرّحاً بأنطاكية ، مذموم الأثر والسيرة ، فذكر إحسان مولاي إليه ، ولم يكافئه على جميل فعله به ، وكل أوزار احتجبها فيه ، فتصوره الناس بالغدر وقلة الوفاء . ومات بعد مولاي ببسبر .

قال نسيم : فلما كان من غد خطاب مولاي للواسطي وما وصاه به ، أحضره وأحضر محمد بن أبا وطبارجي وجماعة من وجوه خاصته وقواده ووجوه دولته وكتابه فأحضر أبا الجيش فقال له : يا بني سإني لم أدفع الحنث في يمين البيعة إلا بما كنت أحمله إلى أمير المؤمنين المعتمد خاصة ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة . ذكر لي فيما كنت بيني به أنها تكفيه ، فكان حملي هذا المسال يقينا الحنث في يمين البيعة بيعته ، فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ، ولو أعتيتك الحروب وواصلتك ، فلا تُغفل حملها وما يقاومها ، فإنك تدفع بها حنث هذا الجيش بأمره في يمين البيعة ، وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ، بمن قهر الخليفة ومنعه أمره وتصرفه في إنفاذ حكمه ، وجميع أمره ، والله بكرمه يكفيه

وصية ابن طولون
لابنه أبي الجيش

[قال أبو جعفر] محمد بن عبد كان : إن أبا الجيش لم يزل يحمل هذا المال إلى المعتمد حتى تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة فأوقع الصلح بينه وبين الموفق .

قال : فلما فرغ أحمد بن طولون من وصية ابنه في حمل المال الى
المعتمد أقبل على وجوه قواده وغلماؤه فقال لهم : قد وطأت لكم المهاد
بهذه الدولة ، وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم ، فاطرحوا الأحقاد
بينكم ، وأسقطوا التحاسد ، واطرخوا الاستئثار ، ولتكن كلمتكم
واحدة ، وجماعتكم كرجل واحد ، ولا تغفروا بمخاريق أهل العراق ،
ومواعيد من يطلب سيئاتكم ، فليس يرأسكم أبداً مثلي ، ولا أخني مني
ومن ولدي عليكم ، فلا تخفروا ذمتي ، واحفظوا صحبتي وتريتي لأكثركم ،
وإيثاري وإحساني وتفضيلي لجماعتكم ، وهم يحلفون له ويكون بأجمعهم

ثم عطف على أبي الجيش فقال له : يا بني لا تعدلن عن مشورتي
عليك ، فلن تجد أبداً أنصح لك مني ، قد خلفت دخل بلدك يزيد
على ما ينوبك بجيشك وسائر مؤونتك ، فلا تطلق فيه يد الجور ، فيختل
أمرك بخرابه ، ولا تقبل بنصيحة من ينصح لك بما يؤول الى خراب
بلدك ، واللاجحاف بمعامليك فيه ، فإنه عدو مبين من حيث لا تعلم ،
فانبذه عنك ، ولا تقر به منك ، وقد خلفت لك رعيتك لا يطلبون منك
إلا لين الجانب ، والأمن من المخاوف ، ولم أكن أمنعهم لين جانبي
بخلا به عليهم ، ولكنني آثرتك على نفسي بمنعني لهم لين جانبي ، والأمن
من مخافتي ، فاستعمل أنت ذلك معهم فتملك قلوبهم ، ويبادروا
الى طاعتك ، ويهشوا الى التصرف بين أمرك ونهيك ، في صغير

وصيته لأبي
الجيش أيضا

أمرك وكبيره ، ولم أترك لك عدوًا أخافه عليك ، واعلم يا بني
أن كل سرف يؤول الى اختلال وتلف ، فاقصد في . . .
مهاتك ، ولا تمد يدك الى المال المهزون عند خير الخادم [واجعله]
ذخيرة لمهلكتك وأفقه مقام جارحة من جوارحك لا تبذلها إلا في
شدة تخاف معها فساد سائر جسدك ، أو عند ما تقدر بإخراجها صلاح
سائر جسدك ، وكان خير الخادم هذا خادم المتوكل
ثم قال له : واسلك يا بني سبيلي واقتف آثاري في سائر من خلفت
يأنسوا بناحيثك ، ويحسنوا طاعتك ، ولا يميلوا الى عدو يخالفك ،
ولا تقبلن مقال السعاة فيما تقوى به سوقهم عندك ، فكل شر وسوء
يؤول الى اضمحلال وزوال ، ويهلك في ذلك من سلكه .

ثروة ابن طولون قال مؤلف هذا الكتاب : وكانت الوديعة التي عند خير الخادم
ألف بدره ،^(١) وكانت عند نسيم فنقلها الى خير ، وكان يكنى بأبي
صالح . وكان أحمد بن طولون قد قرن به أبا الجيش يؤدبه ، وكان
ثقة مأموناً ديناً ، كان يعرف بخير الطويل ، ولما فرغ أحمد بن طولون
من وصيته لأبي الجيش قال له : يا بني وفي حاصلي ألف ألف دينار .
وسبعمائة ألف دينار ، وهو غير الوديعة ، يكون ذلك لعطاء جيشك ،
وما عسى أن يعرض لك عند مقاومة من يقصدك ، ومادة الخراج بعد
ذلك فغير منقطعة عنك ، هذا يا بني ما تملكه الدولة ، والذي أملكه

١٠ (البدره : عشرة آلاف درهم .

أنا خاصة من دخل أقطاعي وابتياعي ، ما يحصل لي منه في كل سنة في بيت مالي مائتا ألف وخمسون ألف دينار ، فاقسمها في ولدي وانظر إليهم بعيني ، وتعمدهم فواتهم ، وسدّ خللهم ، وكفهم عن الفاقة إلى غيرك ، وبصرهم رشدهم ، وامنعهم من سرف الانفاق ، فإنك أبوهم بعدي ، جبر الله جماعتكم ، [وأحسن الخلافة] عليكم ، وأنا أكرر عليك القول يا بنيّ لثلاث تنسى . ليس المال الذي عند خير الخادم لي [فتشتروا] بقسسته بينكم . فلا تظن أن كل ما قويت يدك على أخذه هو لك ، فضنه وامنع نفسك منه ، واستشعر فيه ما وصيتك ، فإن انقادت لك الأمور لم يضرك بقاؤه لك ، وإن عارضتك الحوادث كان عدة لك ، فلا تغرنك وجميع مخالي وحاشيتي السلامة ، فتنسوا ما في نفوس أهل العراق طليكم ، فأنتم شجاعي حلوقهم ، فلا تأمنوهم ، ولا تناموا^(١) عن الحزم فيهم ، فإن أحسستم بضعف عنهم ، فابذلوا جميع ما تملكونه في السلامة منهم ، ولا تضعوا أيديكم في أيديهم ، فإنني أعرف ذنبي لهم ، والله أسأل رعاية جماعتكم . ثم بكى وبكت الجماعة ، حتى ارتجت الدار لبكائهم . فلما اشتغل بهذه الوصية لم انقطع عنه الإسبال ، فأمل أصحابه عافيته وبرّه ، وذو المعرفة أيس منه

عنايته بسور
قصره وهو
مريض

حدث نسيم الخادم قال : لما استحكم إياس مولاي من السلامة كان يُحمل كل ليلة في حَمَّةٍ^(٢) يطوف في الميدان ، فلا يرى فيه ثلثة

(١) في الأصل : فارما ونوم فلا ناسرن

(٢) الحفّة بالسكر : سركب للنساء كالهودج إلا أنها لا تقب أي لا تسل لها قنة .

يخاف أن تفتح ، أو تفتح في هيج ، فيقتحم منها قوم يدخلون منها إلى القصر [إلا] ويأمر بسدها ، حتى سد كل ثلثة كانت فيه ، ثم يدعو بثقائه فينعي إليهم نفسه ، ويسألهم حسن المكافأة بعده بالطاعة لولده ، ويقتضيه ذلك بسالقه عندهم .

فلما دخل ذو القعدة من سنة سبعين ومائتين دعا بابنه العباس ، فأطلقه من قيده وخلع عليه ، وقلده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشامات والشغور . وقال له : أنا أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل ومكافأة أخيك والإمساك عن الاستطالة عليه ، بزيادة سنك على سنه ، فلا تترك أن يقصدك من العراق مدخلا بينكما يتأتى [منه لكما ، ولا] تسمع ممن يطلب صلاح نفسه بفساد ما بينكما ، ولا تضمرن لأخيك غير ما تظهره ، فإن القلوب مجنونة . واعلم أن جوار أخيك لك أصلح من جوار غيره ، ولا تضمرن له خلافا فتبسطا ما بينكما ، ويجد عدوكا بذلك سببا إلى هلاككما ، وقد تقدمت بازاحة علل رجالك ، فاحرص أن يكون خروجك إلى عمالك قبل وفاتي ، فإن الراغب عنك كثير أكثر من المائل إليك ، وأخاف أن تتلوم^(١) على الطمع في موضعي وتترث ، فتذهب نفسك ، بترك الله رشداك ووفقك ، ووقاك ما أخافه عليك وأحاذره فيك بمنه

وصيته لابنه
العباس

(١) تلوم في الأمر : تمكث وانتظر

ثم شكّا بعد ذلك ظلمة في بصره، ثم لم يبصر شيئاً، وجعل يخفت^(١) إشراقه على
الآخرة وموته وتضعف قوته، وينحلّ جسمه، إلا أن عقله ثابت لم يتغير منه
شيء، والدليل على ذلك وصيته هذه، ورأيه فيها الرأي التام الذي
لا يكون بأسدّ منه ولا أقوى ولا أبلغ، إلا ما حرمه الله جل اسمه وإياه
من التوفيق في علته، حتى تنفذ مشيئته تباك وتعالى، فلم يحم نفسه من
مأكول، ولا وقاها ضاراً، كما أراد الله عزّ وجلّ فلم يملك دفعاً.

حدثت نعت أم أبي العشائر ابنه قانت :

كنت جالسة بين يديه، والعصاة في يدي، وقد أبيت
منه، وأنا انتظره أن تقبض روحه فأشدّ لحية، ولسانه ضعيف،
إلا أنه طلق إذا تكلم، ففتح عينيه ثم غلقها ثم فتحها، ونظر إليّ
نظر من رجع بصره إليه، فحدث الله على ذلك. ثم قال بصوت
قوي، ولسان طلق ذرّب^(٢) :

يارب ارحم من مهمل مفرار نفسه، فأبصره ملكه عنه

ثم تشهد أحسن شهادة وأتمها، وقضى في آخر تشهده، وإن ذلك بعد
ذهاب [طائفة] من ليلة الأحد لعشر ليال خلون من ذي القعدة سنة
سبعين ومائتين فحولت وجهه إلى القبلة وأخذنا في أمره

لوتيب جنازة
حمد س طولون

قال مؤلف هذا الكتاب : حدثنا شيخ من صالحى أهل المعافر
قال : جاءني بعض إخواني من كبار المتزهدين الأخيار يعرف بالرماني.

(١) حفت المريس : أقطع كلالته وسكت (٢) لسان درب : صبيح

وكان من أحسن الصوفية فقال: لا تتخلف عن جنازة هذا الرجل .
 فقلت له : وما في ذلك من الفائدة ؟ فقال لي : كل الفائدة . قلت :
 ماهي ؟ قال : ترى انحلال ما عقده الدنيا من الأمور الجسيمة وتبدُّده ،
 فيهن عليك ما عاصاك منها ، ويزول عنك التيب لما انساق منها ، ويصغر
 في عينك ما اكتنزه المغرور ورحل عنه ، وتعلم أن جميع أحوالها إلى
 زوال . فقلت : نعم صدقت .

ومضيت فرأيت جمعا عظيما هائلا ، وحالا كبيرة تعجز الصفة
 عن ذكرها ، حتى ظننت أنه ما بقي في البلد أحد من رجل ولا امرأة ،
 وكل فرق شتى ، كل فرقة على حديثها رجالا ونساء ، فتأملت فإذا كل
 صنف من غلمانهم أيضا فرقا ، وقواده فرقا ، وكتابه فرقا ، وسائر أصحابه
 ومن يلوز به ويخدمه فرقا فرقا ، ومن كان فضله عليه وجراياته وصدقائه
 فرقا فرقا . وقد تميز أيضا النساء من حاشيته وهن أيضا فرق فرق :
 حرمة منفرد في خلق عظيم ، لا يخالطن أحد من حشمن ، وحشمن
 ناحية لا يخالطن غيرهن ، ونساء قواده ، ونساء غلمانهم ، ونساء كتابه ،
 ونساء أصحابه ، كل صنف منهم على حدة لا يخالطن غيرهن ، ونساء
 القطنع فرق فرق ، وكل الجماعة عليهم من الكتابة أمر عظيم ، وكل
 منهم مسلم لا أمر الله عز وجل .

ثم أقبل من النساء السودانيات اللاتي كان فضله عليهن ، وجراياته
 القمح والدرهم في كل شهر ، خلق عظيم لا يحصى [ولا] يقوم بعرفة

مبلغه إلا الله جل اسمه ، صائحات صارخات ، فارتجت الأرض لهن ، وعظمت الحال في قلوب من شاهدين ، ثم أقبل بعدهن [من] صالحي من يسكن المعافر ممن فيه الدين والورع والخير نساء ورجال قد كان له على جماعتهم المعروف الواسع . ولو لم يكن إلا العين الماء التي صارت حياة لهم ، وصيانة ومرفقا إلى اليوم وإلى القيامة ، إن أراد الله جل اسمه ذلك ووقاها من الغير ، فأقبلوا مبتهلين إلى الله جل اسمه يسألونه الرحمة له والمغفرة والتجاوز عنه ، بخشوع وتضرع واستكانة وبكاء .

فشاهدت من ذلك ما هالني وذكر جميع من حضر أنه ما رأى مثله لموت خليفة من الخلفاء ولا غيره ممن عظم قدره . ثم أقبلوا به مفرداً على سرير ، مدرجاً في ثوب وشي سعيدي كافوري ، وأبو الجيش خلفه وحده راكب ، لموضع خلافته والإمارة ، والعالم من صغير وكبير ، وشريف وقاض وعدل ، وكل من في البلد يمشون ، وبين يديه من غلمان ، وخلفه من كل صنف ، ومن قواده وسائر من بقي من أصحابه مالا يحصيه إلا الله جل وعز ، فأتوا به إلى المصلى الذي كان بناه ، فتقدم ابنه أبو الجيش فصلى عليه ، وصلى الناس بأجمعهم ، وعدلوا به إلى قبره وواروه في لحده ، وخلّوه وحيداً فريداً ، أقرب الناس منه وأحبهم إليه من حشا عليه التراب ، وانصرف عنه كل ذلك الجمع العظيم ، وذهبوا حتى كأنه لم يكن منهم أحد . فتبارك الله أحسن الخالقين ، ومالك يوم الدين ، [سبحانه لا يموت ولا يزول و] كل نفس ذائقة الموت .

قال مؤلف هذا الكتاب : لما انصرفت من جنازته ^(١) اجتزت بمنزل الوائقية ، وكانت من عقلاء النساء ، حسنة الدين ، كريمة الطبع ، وكان أحمد بن طولون محسناً إليها عارفاً بحملها ، فاستأذنت عليها فأذنت لي ، فدخلت فوجدتها قد أقامت له مأتماً سرّاً ، هي وجواريسها وخواصها ، يندبونه ويضربون بالعيدان على هذا البيت ، ويرقصن على إيقاعه ، ولا يزدن عليه شيئاً غيره ، وهن يبكين أحراً بكاءً وأحزنة ياعين بكئي خالداً ألفاً ويدعى واحداً فما سمعت والله أحمر منه ، ولا آلم للقلب ، ولا أشجى من أصواتهن به حتى أبكينني بكاءً عظيماً ، وانصرفت من عندها حزينة كئيبة . فلما كان بعد أيام صرت إليها لأعرف خبرها فأصبتها بحال حزن عظيمة ، فسألته وعزبتها ، فجعلت تحدثني بأحاديث أحمد بن طولون ، وتصف لي أحواله ، وتشكو وجدها به إلى أن قالت لي :

مأتم اقامته
الوائقية

إعلم أنه لما جرى على المعتمد من الموفق ماجرى ، من سوء الاعتراض والقدح في السلطان ، بلغ ذلك منه مبلغاً عظيماً فألف كلاماً بالتركية وقال لي : أريد أن ألقيه على [إحدى] جواريك ، وتلحني أنت لها ، وتغنيه حتى أسمع منه . فأحضرت جوارياً فاخترت منهن رويعة فألقاه عليها ، فوالله ما سمعت أرق منه ولا أشجى ، فلحنته لها فكان

شعر ابن طولون
بالتركية

(١) وهنا أيضاً نذك في الملم المؤل بمنزل الوائقية لأنه لا وضع كناه كان قد تم اعتراض الدولة الطولونية ومضى عليها أكثر من ثلاثين سنة فزائر الوائقية وزائر مت هو مما رى ابن الداية مؤرخ الطوليين الأول

صوته عليها إلى أن اعتلّ ، وتعلمه أيضاً جواريه ، فما كان يسمعه أحد إلا أبكاه ، وأوجع قلبه . فسألها أن تسمعني ، وكانت فصيحة بالتركية ، فقالت لي : ليس تفهمه لأنه كلام بالتركية مؤلف ، ولكنني إذا أنت سمعته فسرته لك بالعربية ، ثم أحضرت رويعة جارينها ففتته بلحن شجي ، وإيقاع حسن ، فأبكاني وآلم قلبي ، وما سمعت [صوتاً] من المناحات أحرّق منه للقلوب ، وفسرته لي فكان :

غلب الضبابُ على الشمس حتى صار النهارُ ليلاً
وضعت الشمسُ وانطلقت السماءُ بما لا يحسنُ منها
فبكأ الرأس من قهر البدر وصاح : ما خوفي اقطعوني
وأريحوني بالله من الملعونة ، ياسيد الملوك طراً ،
بالعين تراك تطلع ، ولسان يخاطبك يقطع . إن سيني
قد خرج من غمده ، وليس يرجع حتى ترجع إلى بيتك ،
وقد أوترت قوسي وليس أحطه حتى تكفي أعاديك

ثم قالت لي : قد سمعت حسنه بالتركية ، وهو بالعربية فيه كلام — كما رأيت — غير مستحسن ، إلا عند من يعرفه بالتركية ، فودعتها وانصرفت .

قال مؤلف هذا الكتاب : مات أحمد بن طولون ، وعمره يومئذ يبلغ منه خمسون سنة ، لأنني صرت إلى ^(١) نعت أم ولده يوماً للسلام عليها ،
(١) ما نخل من اجتمع إلى بنت إلا أحمد بن يوسف الكاتب ، والمزاد لم تكن له صلة بالبيت لطولوني ولا أدرك نعتاً

— ٣٤٨ —

فأصبت بين يديها رقاعاً ، قد أخرجتها لشيء تطلبه فيها ، فوجدت
رقعتين فقالت لي : هاتان الرقعتان بخط الماضي رحمه الله ، وبكت ،
فسألتها أن تربني إياهما ففعلت ، فقرأت إحداهما فإذا فيها : دخلت
إلى مصر متقلداً معونتها يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان سنة
أربع وخمسين ومائتين ، وقد مضى من عمري أربع وثلاثون سنة
ويوم واحد .

وقرأت الرقعة الأخرى فإذا فيها رؤوس أربعة أصوات ، كان
يقترحها على من يغنيه ، لا يختار من الأغاني غيرها .

الأصوات التي
كان ابن طولون
يختارها

أحدها

متى تجتمع القلب الذكي وصارماً وأنقاً حمياً تجتذبك المظالم

والصوت الثاني

رب من أنضجت غيظاً صدره فتمني لي موتاً لم يطع

والصوت الثالث

طلعت عليك طوابع الوخط فرضيتن رضاً على سخط

والصوت الرابع

قد حصت البيضة رأسي فما أطمع غمضاً غير تهجاع

أسعى على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساع

فبكيت وبكت ساعة ، وجلست عندها طويلاً ، فلما أردت

الانصراف قالت لي : أنا آنس بمحادثتك ، لعلني بغمك على الماضي

رحمه الله ، فأحب ألا تغيبني . فكنت أصير إليها في كل وقت

أولاد أحمد بن
طولون

قال : وخلف من الولد ثلاثة وثلاثين ولداً منهم سبعة عشر ذكراً
وست عشرة أنثى . فأما الذكور فأبو الفضل العباس ، وهو أكبر
ولده ، وأبو الجيش خُمارويه بعده ، وأبو العشائر مُصر ، وأبو
المكرم ربيعة ، وأبو المقانب شيبان ، وأبو ناهض عياض ، وأبو معدّ
عدنان ، وأبو الكراديس خزرج ، وأبو حبشون عدي ، وأبو
شجاع كندة ، وأبو منصور أغلب ، وأبو لهجة ميسرة ، وأبو البقاء
هدى ، وأبو المفوض غسان ، وأبو الفرج مبارك ، وأبو عبد الله
محمد ، وأبو الفتح مظفر .

والبنات : فاطمة ، وإيس ، وبعلب (؟) ، وصفية . وخديجة ،
وميمونة ، ومریم ، وعائشة ، وأم الهدى ، وموئنة ، وعزيزة ،
وزينب ، وسمانة ، وسارة ، وغريرة .

تركة أحمد بن
طولون

وخلف من المال العين ما قد ذكرناه متقدماً ، ومن الغلمان أربعة
وعشرين ألف غلام ، وأطبقت جريدة موالیه على سبعة آلاف رجل ،
وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال ثلاثة آلاف
جمل ، ومن البغال ألف بغل ، ومن الخيل لركابه ثلاثمائة وخمسين فرساً .
وخلف من المراكب الحربية مائتي مركب حربي كباراً بالتمها .
وكان خراج البلاد يومئذ مع ما ينضاف إليه من مال الضياع التي

كانت للأمرء بالحضرة أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف دينار^(١).
 وخلف من الأمتعة والفرش والآلة والأواني وآلات السفر
 ما لا يحصى كثرة ، ولا يعد ولا يحده ، ولا يدرك كثرة واتساعاً .
 فأما نفقاته المشهورة المعروفة فمارأينا ولا رأى أحد قبلها مثلاً
 لأحد قبله ، ولا يرى بعده ، كل ذلك كان منه طلباً للشواب
 والجزاء من الله جل اسمه .

نفقاته على
 مصانعه وصدقائه

منهما ما أنفق على الجامع^(٢) وهو مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار ،
 وعلى البيمارستان^(٣) ومستغلة ستمون ألف دينار ، وعلى العين التي بالمعافر

(١) قل ابن إلياس عن ابن وصيف شاء أن أحمد بن طولون لما تولى على مصر أخذ في
 أسباب عمارة قراها وعمارة جسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسد زرعها . فاستقامت أحوال
 الديار المصرية في أيامه بعد ما كانت قد تلاشى أمرها إلى الخراب وانحطت خراجها في أيام من
 تقدمه من المال . فلما حصلت العمارة والعدل عم الرضاء سائر أعمال الديار المصرية حتى بيع في أيامه
 كل عشرة أرباب دينار وعلى هذا نفس في جميع البضائع ووصل خراج مصر في أيامه مع وجود هذا
 الرضاء أربعة آلاف الف دينار وثلاثمائة ألف دينار غير المكوس . ونقل القرظي في الخطط أن ابن
 طولون لما تسلم مصر من ابن مديرك كانت قد خربت أوضاعها بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار واستقصى
 أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فارتفع خراجها إلى أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار
 (٢) في تاريخ سعيد بن بطريق أن أحمد بن طولون لما فتح أنطاكية رجع إلى مصر وبنى فيها المسجد
 الجامع المطل على البركة وبنى البيمارستان وبنى مصنعاً يجري فيه الماء من البركة المعروفة بالجيش إلى المعافر
 (٣) في مجموعة الحكم المنسوبة لياقوت المستنصري أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب وثائق
 أحياها التي حبسها على المسجد العتيق والبيمارستان فتولى كتابة ذلك أبو حازم قاضي دمشق
 فلما جاءت الوثائق أحضر علماء الشروط لينظروا هل فيها شيء يفسدها فنظروا فقالوا ليس فيها شيء
 فنظر أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه وهو يومئذ شاب فقال : فيها غلط فطلبوا منه
 بيانها فأبى ، فأحضره أحمد بن طولون وقال له : إن كنت لم تذكر الغلط لرسلني فأذكر لي قال : ما
 أنزل قال : ولم ؟ قال لأن أبا حازم رجل عالم ، وعسى أن يكون الصواب معه وقد خفي على
 فأعجب ذلك ابن طولون وأجازه . وقال له : تخرج إلى أبي حازم وتواقفه على ما يدعي مخرج إليه
 فاعترف أبو حازم بالغلط ، فلما رجع الطحاوي إلى مصر وحضر مجلس ابن طولون سأله فقال :
 كان الصواب مع أبي حازم وقد رجعت إلى قوله وستر ما كان بينهما فزاد في نفس ابن طولون وقربه وشرفه .

مائة ألف وأربعون ألف دينار . وأنفق على حصن الجزيرة مائتي ألف دينار ، وأنفق في بناء الميدان مائة وخمسين ألف دينار ، وأنفق على مَرَمَاتِ الثغور وعلى حصن يافا مائتي ألف دينار ، وكانت قائمة صدقاته في كل شهر ألف دينار ، وكان ما يجريه على جماعة من أهل المسجد وأبناء الستر والمتجملين وأولاد النعم ، سوى ما [يجري من مال] السلطان عليهم من الرزق الراتب في كل شهر ، خمسمائة دينار . وما كان يحملها للصدقات في الثغور في كل شهر خمسمائة دينار . وكان راتب مطبخه وعلوفة دوابه في كل يوم ألف دينار ، وما كان يقيه من الأتزال والوظائف في كل يوم خمسمائة دينار . وكانت له وظائف خبز ولحم على قوم مستورين نساء ورجال في كل شهر ألفا دينار . وكانت لذته وشهوته كلها فيما يصنع في كل جمعة من الأطعمة الواسعة العظيمة لكل صنف من الحلواء ، وتنصب الموائد ، ويحضر الناس من كل نوع من فقير ومستور ومتجمل ومحتاج ، ومن يتقرب إليه بأن يراه وقد أكل طعامه ، فيقربه ذلك من قلبه ، وهو جالس في مستشرف له ينظر إليهم ، ويفرح بما يراه منهم ، فساعة يسجد شكراً لله ، وساعة يقف فيصلي ركعتين ، وساعة يدعو الله ، وساعة يبكي ، ويطلب الناس بأن يزلوا ، ولا يخرج أحد إلا ومعه الزلة الكبيرة العظيمة ، فإذا انصرفوا حمد الله وشكروه .

ووجه بابن قراطغان ، وهو كان صاحب صدقاته إلى المعافى ، ومعه جمال الخبز والقدر اللحم المطبوخة والقالودج والحبيص ، وخبزه المعروف

في كل رغيـف رطلان يسمـى أبو الوفا والـدراهم^(١) حتى يفرق ذلك
بالمعاقر على المستورات ، ومن لم يكن في طاقته الحضور لطعامه .

قال : حدثنا محمد بن الحسن البجلي ، وكان من الصالحين ، شديد
التقشف ، وقد جرى ذكر أحمد بن طولون بعد وفاته قال : رأيت
أحمد بن طولون في منامي ، وكأنه في روضة خضراء وعليه لبسة حسنة
رائعة ، وقد حسنت صورته وهو جالس يده تحت خده ، وعليه
[حلة] عظيمة . فقلت [ما فعل الله] بك ؟ فقال : غفر لي وأمرني
إلى الجنة . فقلت له : بماذا ؟ فقال لي : إنه لما فارقت روحي جسدي
ساقني سائق عنيف في موضع لا أعرفه فاجتزت بجهنم ، وقد فغرت
فاها وخرج لسانها ، فعدلت عن الطريق التي يسوقني السائق فيها ،
خوفاً أن تحرقني ، فابتدرت إلي امرأة حسنة الوجه ، عظيمة الخلق
فقلت : لا بأس عليك يا أحمد ، قد وهبك ربك لي ، ثم مشت بيني
وبين النار ، فكنت أخاف من عظيم النار أن تسليني وإياها فتحرقنا
جميعاً ، إلا أنني قد أمنت على نفسي بها ، ثم بدرت إلي امرأة أخرى
مثلها في حسنها وعظم خلقها ، فقلت لي : أبشر يا أحمد برضا ربك
عنك ، وصاحت هي وصاحبته على النار فخذت وانقطع لسانها
وبعدت عنا ، فقلت للمرأة الأولى : من أنت ؟ فقلت لي : أنا أم
الجهاد بطرسوس ، الشاكرة لمبرتك لنا في الشدائد ، وعفوك عن أهل

منايات رويت
لابن طولون تبشر
بنجاته

(١) كذا ، وكتب « يسمي » بالالف ، ولعل العبارة هكذا : سيم ألف الدراهم .

الثغور في الجرائم ، فقلت للآخرى : من أنت ؟ فقالت : أنا الصدقات التي كنت تبذلها يميناً وشمالاً وصباحاً ومساءً ، وانصرفتا عني ، وهما تقولان لي : لا تنس شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بودي بالسائق : أدخله من باب المغفرة فأدخلت إلى هذا الموضع . فقلت له : فما هذه الكتابة التي أراها بك ، فقال : استحياء من الله ربي عز وجل لما اقترفته من الآثام ، وارتكبته من الأمور العظام . . فانتبهت من نومي وأنا أترحم عليه ، ولكأنه بين يدي يخاطبني ، لما شاهدته منه وما تداخل قلبي من خطابه .

قال مؤلف هذا الكتاب : وحدثنا الحسن بن علي العبّاداني ^(١) ، وكان من أهل عبّادان ، وهو من أهل التبعيد والزهد والورع ، دخل إلى مصر وسكن المعافر ، وله هناك مسجد معروف ، قال : رأيت في منامي كأنني في الرحبة التي فيها العين التي بناها أحمد بن طولون بالمعافر ، وكانت قائلاً يقول لي : الأمير في المسجد - وأومأ بيده إلى مسجد الأقدام - فسلم عليه ، فقلت له : نعم . فدخلت المسجد فإذا أنا بأحمد بن طولون ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام ، فبينما أنا كذلك إذا بنار من وراء المسجد عظيمة . فقال لي : ألا ترى هذه النار ؟ فقلت : نعم . فقال لي - وأومأ بيده إلى العين التي بناها - : لولا هذه لأكلتني هذه النار . فانتبهت وقد سررت بهذه الرؤيا له .

وحدث محبوب بن رجاء قال : رأيت أحمد بن طولون في منامي بجال حسنة . فسألته عما لقي ، فقال لي : غفر لي . فقلت له : مع عظيم

(١) في الاصل : العبّاد

ما ارتكبت ؟ فقال : خفف ذلك عني أن أكثر من أسأت إليه
كان مستحقاً من ربه ما نزل به مني ، فكنت عقوبة بعثها الله عز وجل
مني عليه . ثم قال : إنا البلاء ظلم من لا ذنب له ولا ناصر . فقلت له :
فستترك في الجنة ؟ فقال : ما استقر بعد أحد في جنة ولا نار ، ولكنه
تلوح لنا دلائل المغفرة من طيب النفس ، وأمن السرّب .

قال : ومن الدليل على أنه خفف عنه كما ذكر ، ما تحدث به كامل
ابن سعيد متطبب سعيد الصغير ، وكان سعيد هذا من أجلاء قواد
الموفق ، قال : قال لي سعيد يوماً ، وقد دخلت إليه فرأيت مغموماً ،
فسألته عن حاله فقال لي : شربت أمس نبيذاً فسكرت وعزبت
على غلام لي فضربته بالمقارع حتى مات تحت الضرب ، فلما كان في
السحر من يومي هذا ، رأيت في نومي كأن آتياً أتاني فقال لي : أنا
رسول رب العالمين يقول لك : غضبت على عبد من عبيدي ملكتك
رقه ، فضربته بغير حجة حتى مات ، وعزتي وجلالي [لا أعجز لك]
العقوبة في الدنيا . قال : فقلت له : يوقيك الله ويصونك ، هذه أضغاث
أحلام ، فأظهر ندماً عظيماً ، وغماً شديداً ، وتصديق في يومه بعشرة
الاف درهم دية الغلام وانصرفت . فلما كان من غد صرت إليه ،
فقال لي : ويحك رأيت البارحة أشد مما رأيت قبلها ، فقلت له وما هو ؟
قال : جاءني ذلك الشخص بعينه البارحة في منامي فقال لي : يقول لك
رب العزة : تقتل عبيدي وتصانعي عنه ، هيات ! وانتبهت من قوله
مرعوباً وجلاً خائفاً . فقال كامل بن سعيد المتطبب : فما مضى لقوله

إلا أيام يسيره حتى أنفذه الموفق رسولاً إلى أحمد بن طولون في حمل
مال ، وكتب إليه طيفور خليفته بالحضرة يعرفه أن الموفق حمّله
رسائل إلى وجوه قوادك في تضريبهم عليك ، وإفساد قلوبهم لك ،
فاحذره ، ووصل كتاب طيفور إليه قبل وصول سعيد ، فحين وصل
إليه ووقعت عينه عليه لم ينهنه^(١) حتى قال له : يا ابن كذا وكذا !
فرغت من تضريبك الرجال بسرّ من رأى - وكان أحمد بن طولون
يعرفه بذلك - وصرت إلى بلدي حتى تضرب عليّ رجالي ، ونفسد
نيّاتهم بالتشور والمحال ، العمد ، فأحضرت فقال : دماغه ، فلم تزل العند
تأخذ دماغه حتى مات ، فخرّ برجله بين يديه ، فصحت رؤياه التي رآها .
قال مؤلف هذا الكتاب : وبهذا الخبر صحت رؤيا محبوب بن
رجاء في قوله إنه لما رآه في منامه قال له : خفف عني أن أكرّ من
أسأت إليه كان مستحق ذلك من ربه ، فجعلني عقوبة له ، بعثها الله عز
وجل عليه مني . قال : وكان بين قتله سعيد الغلام وبين مسيره [إلى ابن
طولون والـ] اقتصاص منه . فكان الوقت الذي بلغ الكتاب
فيه أجله .

وحدث عبد الله بن الفتح - وكان من أصحاب سيبا الطويل - قال :
رأيت في منامي كأن سيبا الطويل متعلق بأحمد بن طولون على باب المسجد
الجامع الذي بناه بمصر ، وهو يصيح بأعلى صوته : يا رسول الله ! أعني
على أحمد بن طولون فإنه قتلني ، واصطفي مالي ، واستباح أهلي وولدي .

(١) نهنه عن الأمر قننه : كنه وزجره فكف وأصلها نه

فتأملت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل إلى المسجد فصاح به :
 ياسيما ! كذبت ، ماقتلك أحمد بن طولون ، قتلك عجيج سهل التاجر الذي
 قدرت أن عنده مالا وجدة ، فضربته حتى كاد أن يموت ، ثم دَخَنْتْ
 عليه حتى مات من التدخين ، وأنت وأحمد خاطئان أقل أحدكما وزرا
 أحسنكما سيرة ، وأكثركما معروفا أقربكما من الله ومغفرته .

وحدث أحمد بن دعيم ، وكان من قواد أحمد بن طولون . وترك
 الديوان وحسنت طريقته في الخير قال : رأيت أحمد بن طولون فيما
 يرى النائم ، وهو بحال حسنة فسألته عما فعل الله به ، فقال لي : يادعيم
 ما ينبغي لمن سكن الدنيا أن يحتقر حسنة يعملها ، ولا سيئة يأتيها ،
 عدل بي إلى الجنة بثبتي على رجل متظلم إلي ، وكان عي اللسان ، بعيد
 البيان ، منقطع الحجة ، ضعيف الجسم ، وقد ارتاع مني مع ذلك
 واضطرب ، فوقفت عليه وسكنته حتى سكن روعه ، وصبرت عليه
 في خطابه ، حتى قامت حجته بثبتي ، فتقدمت بإنصافه ، فأنصرف
 وقد أثر فيه السرور .

لجاسه واقتصاده
 وحدث أحمد بن عبدالعزيز الحريري - وكان في خزانة أحمد بن
 طولون ، ومعه قدم من العراق - قال : فرّق أبو الحيش كسوة أبيه
 على حاشيته ، فلحقني منها نصيب ، فما خلا شيء مما صار إلي من رَفء^(١)
 ووجدت في بعضها رقاعاً .

(١) في الأصل : من ادا

قال مؤلف هذا الكتاب : [كان أحمد بن طولون] يقول كثيراً :
 ينبغي للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه ، وتسمحه على شمله
 وقاصديه ، فإنه يملكهم بذلك ملكاً لا يزول به عن قلوبهم ،
 ولا تفسد معه سرائرهم في نصحه ومولاته وحسن طاعته ، وهذه
 كانت صورته رحمه الله .

قال : وحدثنا عبد الله بن الفتح أن فحريراً الخادم غلام المعتمد
 حدثه أنه لما ورد الخبر بوفاة أحمد بن طولون على المعتمد بكى حتى
 خيف على عينيه ، وعج حتى رحمه جماعة خاصته وشمله ، وحرم شرب
 النبيذ . وكان ليله إلى أحمد بن طولون ومحبته ، إذا قعد للشرب جعلت
 بين يديه صينية فيها خردادي ^(١) وقدح وكوز ومغسل ، كل ذلك بلور
 على اسم أحمد بن طولون ، فإذا شرب ندماءه ملأ الغلام من الخردادي
 الذي في تلك الصينية قدحاً ومضى به ، ولا يزال يفعل ذلك إلى أن
 ينصرف الندماء ، وكلما فرغ الخردادي ملأ إلى أن يسكر المعتمد .
 فلما مات وحزن عليه وامتنع من الشرب وأقام كذلك مدة
 طويلة لم يزل ندماءه يتلطفون له ويخاطبونه بما يسليه ، ويسهل أمره
 عليه ، ويعاونه على ذلك أقرب الناس منه ، وعياله وولده وخاصته
 حتى نصب مجلسه . فلما قعد صينية أحمد بن طولون من مجلسه ، كانت

وقع نعي ابن
 طولون في المعتمد
 وحزنه عليه

على رسمها فيه، عاود البكاء عليه والنحيب، وخرج إلى أكثر مما كان
خرج إليه في الابتداء، ورفع المجلس والنبذ من بين يديه، ولم يزل
على ذلك أيضاً مدة طويلة، ورثاه فقال :

إلى الله أشكو أسيَّ عرّاني كوقع الأسلِّ
على رجلٍ أروّع ترى فيه فضلَ الرجلِ
شهابٌ خبا وقدهُ وعارضُ غيبٍ أفلَّ
شكتُ دولتي فقدّه وقد كان زينَ الدُّولِ
إذا أمّه انقاصدو نَ جباهم جميعَ الأملِ

[قلت لعبد الله] بن الفتح : ما توهمت أن المعتمد يقيم شعراً لأبي
أنشدت أشعاراً لم أرضها فقال : كان يمزح بأشعار^(١) فأذا شاء جود .

وحدث علي بن يحيى بن أبي منصور ، وكان خاصاً بالموفق ومقرباً
عنده قال : رأيت الموفق في الساعة التي ورد عليه فيها وفاة أحمد
ابن طولون ، وقد استرجع ووجيم ، وظهر منه عليه كآبة ، لم أرها
ظهرت منه قط لموت قريب ، ولا ولي حميم منلص . فقلت له : ما توهمت
أنه يرد عليك شيء أسرُّ من نعي أحمد بن طولون ، فإلهذا الغم
العظيم الذي قد جرى ، وجرى في غير موقعه ؟ فقال لي : دعنا من
هذا وافهم نني ما أقوله لك : كان هذا الرجل مخالفني ، والخلاف

وقع نعي ابن
طولون في الموفق
وتقديره لصفاته
الغر

(١) في الاصل : ماسا - عاره « بلا قط »

يزيد وينقص ، وأعظمه خلاف استباح فيه مخالفتي ما ادرسه (?)
وغلبي عليه ، وأسأله خلاف أحسن فيه مخالفتي بتدبير ما احتازه منه
فأدى إلى عمارته ، وكان خلاف أحمد بن طولون لي أحب من
طاعة من يطيعني ويستبيح أمواله ، ويخرّب بلداني ، فخلاف من
يحسن تدبير مافي يديه ، أحب إليّ من موالاة من يحتوي على من
وكلته إليه ، وتذمّ العاقبة فيه بسوء تدبيره ، وقبح أفعاله. وكان
هذا الرجل رحمه الله يدبر ما قلده ، كما يدبر المالك ملكه ، ويحوطه
حياطته لنفسه ، ثم لم يخرج عن طاعة ، ولا أجرى عن حال مذمومة :
رعيته شاكرون ، ومعاملوه حامدون ، وبه متبركون ، وأعماله حاضرة ،
وأمواله على يديه راحية ، وأصحابه مغتبطون به ، حسن السياسة ،
جميل الفعل ، كثير المعروف ، فلما قلده أخي نواحيه ، خراجها
ومعاونها ، ضبط جميع ذلك ضبط جزل محتاط ، فتزايدت أفعاله
الجميلة فيها ، على ما كان منه متقدماً ، ثم أقدمني أخي من مكة على
كره مني لذلك ، وكان مقامي بها أحبّ إليّ وأروح لنفسي
. . . هذا لما عاينته وما كابדתه فلما قدمت إليه
رأيت أمو [الدولة] مضطربة على غاية من الاضطراب والانحلال ،
حتى إنه كاد الأمر أن يخرج عن أيدينا بقلّة ضبطه لأمر دولته ،
وسلوكة مالا يحبّ فيها . فاجتهدت في جمع شتات هذه الدولة ،
ورأيت أمير المؤمنين أخي المؤكّد لي البيعة رجلاً لاهياً ، مقبلاً

على لذاته ، مشتغلاً بأفراحه ، لا يشغله عن ذلك شيء من أمر دولته ، ولا يفكر فيه ، قد ألقى أموره إلى من استبد بها دونه ، واجترأ عليها واشتغل بمصالح نفسه وما عاد لمحبيه ، ولا يفكر في عاقبة ، ولا يتخوف من حادثة .

فتعطرس^(١) لبقاء هذه الدولة بما ضببطها به ، وصنعتها كما كانت قد أشرفت عليه من الزوال . وتأملت أمر غلمانه كلهم ، فما أحدث . أمر أحد منهم ، وتأملت أمر أحمد بن طولون رحمه الله ، فوجدته قد حمل إلى إمامه المنفرد باصطناعه ، مذ تقلد هذا البلد ، ما كنت أَرْضَى أن يحمل إليَّ بعضه لا إصلاح ما أنا بسبيله ، ولضيق الأمر وتعذر الأموال عليَّ ، فيما أعانيه ودُفعت إليه ، وناظرني بما إذا تأمله التأمل المنصف علم أن عذره في خلعي ، أوجب من عذري في لعنه ، وما خرج إليه في أمري من انحرافه عني ، أوجب مما خرجت إليه في أمره وفي انحرافي عنه ، وإن كنت أظهر ذلك بلساتي وقلبي ينكره ، ويعلم خطائي فيه ، وعذره فيما يأتيه ، وأئمتنا هؤلاء فهم فساد فيما بيننا وبين الناس . هذا المهتدي أشرت عليه أن مدرح (?) في سيرة أيه ، وأعلمته أن الزمان الذي فسد بما أوجبه ما أجرى إليه من سوء التدبير بما يكون فيه المشقة المحقة غشيمة

اني إنما أردت وقصدت الطعن على تدييره
ورأيه ، وقد علم الله جل اسمه أني قد نصحتة فضرَبَ بيدي
وبين الناس ، وعمل في أمري ما شاهدوه ، ونفاني عن حضرته ،
وركب خطأه وسوء تدييره ، فلم يزل يركض فيه حتى قتل أقبح
قتلة ، فشمت به عدوه ، وإغتم به وليه ، وغم نفسه لاستبداده .
برأيه ، وإن كان كل ما يجري فمن الله جل اسمه ، وقضاؤه ينفذ
كما يشاء بسلب كل ذي لب له حتى تتم مشيئته ، إلا أن مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك المشاورة خطأ ، فأقمت طول
ما أقمت ، هادئ القلب ، آمن السرب ، طيب النفس ، غير مفكر
إلا فيما عاد بأجري ، وحمدته في عاقبتى ، إلى أن ردني أخي .
ولأحمد بن طولون رحمه الله أولاد عداد ، وموالٍ وعدد جم ،
لم يروا غير رياستهم ، ولم يكن في جماعتهم من قلبه ممثلي من هيتنا
غيره ، لأنه ربي في خدمتنا ، وشاهد قوة أمرنا وأحوالنا ، فامتلاء
من ذلك قلبه ، وكبرت سطوتنا في عينه ، وخالف الآن أموالاً
جمة عظيمة ، لا يحوط جميعها من قليل وكثير إحصاءً بمحص ، ولا
ضبط محتاط مكفي ، وإذا اجتمع لمن يقوم مقامه من ولده قلة التهيّب
لنا ، إذ لم يشاهد من أحوالنا ما قدمنا ذكره من مشاهدة أبيه من أمرنا ،
مع كثرة المال والأعراض والعدة الجليلة العظيمة والعدة الكثيرة
الوافرة القوية ، بالحال الجليلة والجمال والمال والشجاعة والإقدام ،

حسب ما اختصهم أبوهم ، وانتخبهم واختارهم ، وملاً أعينهم بما
لا تسمع نحن بمثله لكثير من أصحابنا فكيف غيره ، فهم على ولده بذلك
يحتاطون وفي

بجالين أحدهما المحافظة لما أتاه أبوهم فيهم من الجميل و .
عليه من عظم الأحوال ، وثانيه لأنهم تيقنوا أنهم لا يجدون مثله ولا مثل
ولده أبداً ، فلهذه الأحوال تعظم علينا نكابتهم معار ، ويبعد
علينا في ذلك مرامهم ، ويطرأ علينا منهم ما لعلنا أن نقصر عنه ، وعن
بلوغ المراد به ، لأن الأنصار مع المال حيث كان ، ولا سيما أنصار
من أنصار ، فإن بأيدينا من يقوم منهم كان خليقاً بالغلبة ، وإذا كان
النصر لم قدحت فينا عليه لنا قدحاً عظيماً وهدت منا ركناً كبيراً ،
وكنامع ذلك قد اضطررناه إلى إتلاف الأموال التي تحتاج إليها المملكة
المجاهدة عدواً إن تحرك ، فإن كان النصر لنا عليه لم نجد بداً من أن
نستخلف على بلدنا ونواحيه من هم كانوا لنا وللأعمال أصلح وأجود
وأوثق وأحسن تدبيراً وأجمل حالاً وسياسة فيما تقلده .

وكان بغية المتقلد بعد أحمد بن طولون رحمه الله وبعد تركته
تحصيل الأموال وجمعها لنفسه واستنثاره بها وبجميع ما تنبسط يده
إليه دوننا ، ثم بعد ذلك تخريبه بلداننا ، وإطلاقه نهبا ، وإخافة
سرب أهلها ، ودون فائدة للسلطان ، ولا عائدة علينا ، إلا ما تنبسط
به الألس بالدعاء علينا والوزن ليل . عناقنا ، وهو غير مفكر في

ذلك وليس وكده إلا ما عاد لمحيه . ثم أقبل يترحم على أحمد بن طولون
وبيكي على فقده :

فقال علي بن يحيى بن أبي منصور : فقلت للموفق : ثبت الله
عزم سيدي وسدد رأيه ، وعوضه منه وحرس له ما منحه به ،
فهذا والله الرأي السديد ، والفهم الرشيد ، ولولا ما خصه .
..... قد قام الآن
سيدي أيداه الله عند ما تبيته مما بينه لي الأمير أبده الله وشرحه
من حال هذا الرجل رحمه الله ، وكشف منه ما كان عني مغطى
وعن سائر الناس الذين لا يعلمون مقدار ما علمه الأمير مد الله في
عمره ، وبلغه أفضل آماله في دنياه وآخرته ، والله بكرمه يئنه
ما خوله ، ومن به من رياسته ، ويجعله عماداً لها بمنه وقدرته .

ما حمله ابن
طولون إلى
المحمد

قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت ثبتاً^(١) لابن مهاجر بما حمله أحمد
ابن طولون إلى المعتمد وفرق في جماعة من حاشيته لأربع سنين ،
أولاهن سنة إحدى وستين ومائتين وأخراهن سنة خمس وستين ومائتين ،
مما كانت به السفائح تنفذ إليه سرّاً مع من يثق به ، ويأمنه على سره
وماله ، ولا يعلم بذلك أحد من يكره علمه به من أصحابهم وغيرهم
مما بلغه ألفاً ألفاً ومائتا ألف دينار .

لرخاء العام في
بلاد ابن طولون

قال : وكانت نفقات أحمد بن طولون رحمه الله جداً لا هزلاً كمالها
فيما قرره من الله عز وجل [و] من صالح كل بلد تقلده يرغب في دعائهم

(١) التثنية محرقة النهر الذي يجمع فيه المحدث مهاباته وأشباهه كانه أحد من المحبة

ويستجلبه بكل نوع ، ويمحّنو على رعيته ويستجلب به دعاءهم .
 وكان وكده وشغله واهتمامه بإسعاد بلده ، وسائر ما بعد من
 بلدانه ، يسعى فيما يرخص الله جل اسمه به أسعارهم ، وجميع ما يباع في
 بلده وسائر بلدانه ، فكان الرخص به عاماً ، في كل بلد من سائر
 الأطمعة . وكان السبيل به آمناً ، والأرزاق يبركته دارة ، والنعمة من
 الله جل وعلا منه ارادته (?) جل اسمه على سائر الناس مترادفة متكاثفة .

نعت سيرة أحمد بن طولون



استمرالك

كتب إلينا من بمبي العلامة ايفانوف Ivanov يقول إن البلوي قد يكون من الاثني عشرية أو أنه كان من إحدى فرق الإسماعيلية التي نظر إليها فيما بعد أنها لا تعد في أهل السنة ومثل البلوي كثيرون من أدخلوا في جملة الإسماعيلية .

وكتب إلينا العلامة أبو عبد الله الزنجاني في طهران يقول : إن كل ما ورد في كتب رجال الشيعة بشأن البلوي ينتهي إلى نصين : أحدهما ما ورد في فهرست ابن النديم في بحثه عن الإسماعيلية والدعاة إلى مذهبهم وذكر مصنفهم ، وأظن أنه وقع اضطراب في عبارة كتاب الفهرست فإنه بعد أن ذكر الحلاج وأخباره وأسماء كتبه تعرض لذكر رجال لا نسبة بينهم وبين الباطنية . فقد ذكر عبد الله ابن بكير وهو من الفطحية وأجمعت الشيعة على تصحيح حديثه للوثوق به . وذكر الحصين بن مخارق وهو واقفي . وذكر أبا القاسم علي بن أحمد الكوفي وهو مرمي بالغلو والتخليط وذكر داود بن كورة القمي وهو إمامي . ثم ذكر البلوي ولم يشر إلى دعوته للباطنية . وذكر بعده محمد بن أحمد القمي وهو من معاريف الشيعة الإمامية . فلولا قرائن أخرى لما أمكن عدّه من رجال الباطنية لأن صاحب الفهرست خلط رجال الفرق المختلفة بعضهم ببعض . والنص الآخر هو نص ابن الفضايري وقد نقله ابن المطهر الحلي الشهير

بالعلامة تلميذ نصير الدين الطوسي الحكيم الفلكي وزير هلاكو .
وفيه أن البلوي مصري كذاب وضاع للحديث لا يلتفت إلى حديثه
ولا يعبأ به . اهـ

هذا ما قاله السيد الزنجاني ، وبه يثبت ما أشرنا إليه في مدخل
الكتاب من أن أهل السنة والشيعة متفقون على رمي البلوي بالوضع
واتهامه بالكذب ، والله أعلم بما دعا إلى إلصاق هذه التهمة به وببلغ
هذه الروايات من الصحة .
أما إسماعيلية البلوي فما برحت موضع الشك بعد الذي أورده
صديقنا الزنجاني .

فأتم المطاف

ومن الواجب ، ونحن نودّع البلوي الذي أطر بنا بنغمته وفنه في
تأليف هذه السيرة ، أن نشكر لأصدقائنا الأساندة عبد القادر
المبارك ، و خليل مردم بك ، ويوسف العش ، على معاونتهم لنا في حل
بعض مشكلات تجلت في الكتاب بجهل الناسخ . ونخص بالشناء
حضرات أصحاب المكتبة العربية لتفضلهم بنشر الكتاب على هذه
الصورة الأنيقة . وأكبر الفضل لأحدهم صديقنا الأستاذ أحمد عبيد ،
فإنه أعاد النظر في الكتاب من أوله إلى آخره ، ودقق فيه تدقيقاً بليغاً ،
فرد بذلك معظم نصوص المخطوط إلى نصابها من الصواب . جزاهم الله
عن الآداب أفضل الجزاء .

فهرس

سيرة أحمد بن طولون

- ١ - فهرس مراجع التصحيح والتعليق
- ٢ - ٥ أسماء الرجال والنساء والأئم والجماعات
- ٣ - ٥ البلدان والبحار والأنهار والأماكن
- ٤ - ٥ الموضوعات

فهرس مراجع النصحيع والنعلس

١	احسن التباسم للمقدي البشاري	٢٨	زهر الآداب للحصري
٢	أخبار الحكماء للقطبي	٢٩	صبح الأعنى للقتشندي
٣	الاذكاء لابن الجوزي	٣٠	طبقات الأطباء لابن أبي أصيعة
٤	أسرار الحكماء لياقوت المستعصي	٣١	طبقات الخبابة لابن أبي علفى الفراء
٥	الالفاظ الفارسية المربة لادي شير	٣٢	الطيفي لمحمد بن الحسن الكاتب البغدادي
٦	الانساب للمعاني	٣٣	العقد الفريد لابن طلحة الوزير
٧	البيان والاعراب عما بأرض مصر من	٣٤	العقد الفريد لابن عبد ربه
	الأهراب للمقرزي	٣٥	الفرج بعد الشدة للتوخي
٨	البيان والتبيين للجاحظ	٣٦	الفهرست لابن النديم
٩	التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ	٣٧	للطوسي
١٠	تاج الروس للزبيدي	٣٨	قاموس الجغرافية القديمة لآحمد زكي
١١	تاريخ الامة القبطية للجنة التاريخ القبطي	٣٩	القاموس المحيط للفيروزآبادي
١٢	تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري	٤٠	الكامل لابن الاثير
١٣	تاريخ سعيد بن يطرير	٤١	الكامل للمبرد
١٤	تاريخ القضاعي	٤٢	كنوز الفاطنين لزكي محمد حسن
١٥	التاريخ الكبير لابن عسآكر	٤٣	لسان العرب لاس منظور
١٦	تاريخ مصر لابن إياس	٤٤	لسان الميزان لاس حجر
١٧	تاريخ الوزراء للصافي	٤٥	المخصص لابن سيده
١٨	اليعقوبي	٤٦	مروج الذهب للمسعودي
١٩	تويم البلدان لأبي الفداء	٤٧	مسالك الابصار لاس فضل الله العمري
٢٠	تنقيح المقال للامامقاني	٤٨	المشبه لآذهبي
٢١	نهار القلوب للشمالي	٤٩	معجم البلدان لياقوت
٢٢	الجمهر في الجواهر للبيروني	٥٠	معجم ما استعجم للبكري
٢٣	جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري	٥١	المغرب في حلى المغرب لآحمد بن يوسف
٢٤	حسن المحاضرة للسيوطي		الكاتب المروف بان الداية قطعة منه
٢٥	الحراج لآي يوسف		في سيرة آحمد بن طولون
٢٦	خطط المقرزي	٥٢	المكافأة لآحمد بن يوسف الكاتب
٢٧	روضة الحبين لابن قيم الجوزية	٥٣	منتهى المقال او رجال أبي علي

٥٨ : الوافي بالوفيات للصفيدي	٥٦ : مورد الطائفة لابن تترى بردي
٥٩ : وفيات الأعيان لابن خلكان	٥٥ : ميزان الاعتدال للذهبي
٦٠ : الولاة والقضاة للسكندي	٥٦ : النجوم الزاهرة لابن تترى بردي
	٥٧ : النور الاسلامي للمقرئ
وغير ذلك من الدواوين الشعرية كديوان البحتري وديوان ابن الرومي	

Encyclopédie de l'Islam.

مجلة الاسلام (مادة الطولونية وأحمد بن طولون ، والقطائع ، والقاهرة)

Dozy : Supplément aux dictionnaires arabes.

ملحق بالمعجم العربية لدوزي

Dozy: Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes.

المعجم المفصل في أسماء الثياب عند العرب لدوزي

Zaky Mohamed Hassan: Les Tulunides.

الطولونيون في عهد محمد حسن

فهرس أسماء الرجال والنساء
والأسمم والجماعات (*)

الأتراك (الترك) ٤٣٢، ٢٧، ٤١٨	— ١ —
١٥٢، ١١٨، ٤٠، ٢٣٩، ٢٣٥	
ابن الأثير ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩	آدم ٣٢
٢٩٨، ٢٩٣	الإباضية ٢٥٤، ٢٥٣
أحمد بن إبراهيم الأطروش ١٦١، ٢٧١، ١٧٨، ١٦٢	إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ٢٥٣، ٢٥٤
أحمد بن اسماعيل بن عمار (المعروف	إبراهيم الخليل (عليه السلام) ٢٦٠
بسبع شعرات) ١٧٨، ١٧٩، ٢٤٣	إبراهيم بن عبد الوهاب الينيم ٣١٠، ٩١
أحمد بن أعين ٧	إبراهيم بن قراطغان ١٩٨، ١٨١
أحمد بن أبي أوفى ٧	٣٥١، ٢٠٦
أحمد بن أمين ٢١٧، ٢١٥، ١١٥	إبراهيم بن كامل المصور (المصري)
أبو أحمد بن جعفر المتوكل = الموفق	٢٨٩، ٤٧
أحمد بن جيفويه ١٠١، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣	إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله
أحمد بن خاقان ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٤٧	ابن علي بن محمد بن عمر بن علي بن أبي
أبو أحمد بن الحبيب ٢٩٣	طالب المعروف بابن الصوفي ٦٢، ٦٣
أحمد بن دعباش (أودع باج) ٩٣، ٢٩٢	إبراهيم بن مدبر ٢٩٢، ٢٩٠
٣٢٠، ٣١٥	أتماش ٢٣

(*) رتبنا هذا القهرس على حروف الهجاء باعتبار الحرف الاول والثاني وما يليهما (بعد انقطاع اداة التمرير ولذا اب وابن واخنت وما إليها) والرقم الكبير للصفحات فإذا كان بأعلى رقم أصغر فذلك إشارة الى ان الاسم مكرر في هذه الصفحة بعده ، وإذا كان بجانب الاسم هذه الإشارة = فتمناها انظر .

[illegible]

- أوخوز بن يولخ بن طرخان ٢٩٠
ابن الأرقط ٢٣٩
أسامة بن حباب ٢٧٣
اسحق بن ابراهيم ٣١٩٤٧
اسحق بن دهنار ٤٨٤٢٤٦
اسحق بن طريف الخزومي ٣٠٠
اسحق كاتب جرجان (النصراني) ١٦١
١٦٣
اسحق بن كنداج الخزوي (ذوالسيفين) ١٦٣
٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٤ ٢٩٥
٣٢٠ ٣٣٠
بنو اسرائيل ٣٣٦
اسرائيل بن فروخ ٧٠
الاسلام ٣١٢ ٢٩٢ ٣١٤ ٢٦٣ ٤
اسماء زوجة احمد بن طولون ٢١٢
اسماعيل بن بلبل ٣٣٨
اسماعيل بن جعفر الصادق ٥
اسماعيل بن عبدالله المروزي (ابو نصر) ٥١ ٢٥٠
الاسماعيلية (السبعية) ٤ ٢٦ ٥٥ ٤
٣٦٥
الاسود = ائمين الاسود
ابو الاسود = الخطريف
ابن الاشعث ٢٦٧
اتناس ٣٣
اتسب ٣١٨ ٢٤٩
- الأصبغ بن عبدالعزيز بن سروان ٣٢٠
الاصمعي ٣١٠ ٤٣٧
ابن أبي أصيبعة ٣١٣
الاطروش = احمد بن ابراهيم
الاعراب ٣٢ ٢٣٨ ٢١٠ ٤ ١٠٥ ٤
ابو الأغر ١٠٤ ١٠٥ ٢١٠ ٤ ١٠٦
ابن الاغلب = ابراهيم بن احمد
اغلب بن احمد بن طولون ابو منصور ٣٤٩
الافشين ٢٦٥
الباس بن منصور الزناتي النفوسي ٢٥٣
٢٧٠ ٢٦٤ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٤
اماجور التركي (ماجور الافرنجي) ٥٢
الإمامية ٤ ٣٦٥ ٥٥٤
أندونة الراهب ١١٨
اندونة الكاتب ٨٩
انمج ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٢٠
انوشروان ١٦٧
الاولس ٢٣٢
ابن إياس ٢٥٠
ابتاخ ٣٣
ايفانوف ٣٦٥
ابن الا-ود ١٠١ ٢٤٩ ٢٥٥
ابو ابوب (ابو دؤب) ١٦١ ٤٧٣
٢٤٩ ١٩٠

- ب -

بابك الخرمي ٢٦٠
 الباطنية ٢٦٥
 باكباك ٤٤٢٤٣٣٤٢٧٤١٩
 ٤٦٤٤٥٤٤٣
 البجة ٦٦٤٦٤
 البحتري ٢٦٥٤٢٤
 بدر الحفيني (?) ٨١
 بدر الجمالي ٢٨٨
 البراية ١٩٦
 بركة الحاسب ٧
 البرنطية (البرطية) ١٩٦
 بشر بن غياث الرئيسي ٦٥
 بصير ٢٦٨٤٢٦٧٤٢٦٦
 ابن بطلان ٣١٣
 بعا (أبوموسى) ٢٩٣٤٣٣
 سكار بن قتيبة (أبو بكر) ٥١٤٩
 ٤٢٤٩٤٢١٦٤١٧٩٤٢١٦٧
 ٤٢٩٧٤٢٩٥٤٢٩٤٤٢٥٢
 ٤٣١٨٤٣١٧٤٣١٦٤٢٩٨
 ٣٣٣٤٣٣١ (أبنا اخته) ٣٣٣
 أبو بكر البناء المقدسي ١٨٤
 ابن أبي بكر ١٨٦
 السكري ٤١٠١٤٦٣٤٣٧٤٣٦

٣١٠٤٢٧٣

بلاغ (خادم ابن الأغلب) ٢٥٥٤٢٥٤
 البلوي = عبد الله بن محمد بن عمر
 بلي ٣
 بهم بن الحسين ٦٣
 بولس ٣٣١
 البيروني ٢٣٠٤١٩٦٤٦٠

- ت -

أبو تراب = أحمد بن شعاع
 الترك = الاتراك
 تركان بن عبد الله بن الامام ١٢٦
 ١٢٨٤١٢٧
 التركان ٣٧
 أرغري بردي ١١٢٤٩٣٤٧٤
 بعل (?) بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
 تكين بن منصور الغزري مولى المعتضد
 ١٠٣٤١٠٢

تنوح ٩٦

التوحي (القاضي) ٢٨٧٤١٥
 تينك (بيرك) ٢٩٢٤٢٩١٤٢٩

- ث -

ثابت بن سليمان ٢٤٣
 الثعالي ٥
 ثمود ٢٠٣

ج -

الجاحظ ٣١٧

جباب الجوهرى ٦٠

ابن الجراح = الحسن بن مخلد

ج = علي بن عيسى

جويج بن الطباخ المتطبب ٣٢٥

ابن جرير = الطبري

جعفر بن حذار (أوجرار) الكاتب

١٧٧٠ ٢٤٥ ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٣

٢٦٩ ٢٥٦

جعفر الصادق ٢٥

جعفر بن عبد الغفار ١٠٦

جعفر بن عبدالله ٢٤٦

جعفر بن المعتمد (المفوض الى الله) ٢٧٧

٢٩٨ ٨٥ ٨٣ ٨١ ٧٨

جعفر بن يار جوخ ٢٦٩ ١٥٤ ١٥٣

الجل الشاعر ٦٩

ابن جمهور ١٦١

الجزاوي ١٨٩

ابو الجيش = خمارويه

ابن جيفويه = احمد بن جيفويه

ح -

ابو حاتم ٣١٠ ٣٧

ابو حازم (فاضي دمشقي) ٣٥٠

ابن حباب الجوهرى ٦٠

حباسة بن يوسف ١٠٢

حبسية اخت احمد بن طولون ٣٣

حبشي (ابن اخي اسحاق بن كنداج)

٢٩٣ ٢٩١

الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٩٤ ٣٠

٤٠ ١٨٥ ١٨٦ ٣٠٦

٣١٧ ٣٠٧

ابن حجر ٥

ابن حذار = جعفر بن حذار

حدرى الجوهرى ٦٠

بنو حزم ٢١٧

الحسن بن زيرك (الطيب) ٣١٣

٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣

حسن بن شعرة ١٤٨ ١٤٩

الحسن بن ساجان بن ثابت ١٧٩

الحسن بن عطف ٣٠٥ ٣٠٦

الحسن بن علي العباداني ٣٥٣

الحسن بن قاسم الانباري ١٨٥

الحسن بن محمد بن احمد المصري العسال

(أبو علي) ٣١٩

الحسن بن مخلد بن الحراح ٥٧ ٤٤٣

١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٧

حسن بن مباحر ١٤٢ ١٤٥

١٤٦ ٢٠٩ ٢٧١ ٣١٨

٣٦٣ ٣٣٧ ٣٣٦ ٣٣٥ ٣٣٠

خلف (صاحب احمد بن طولون) ٣١٠	الحسن بن واقع ٤٢٤٧
ان خلكان ١٥١	الحسين بن احمد الماذرائي المعروف بان
ابن الخليج ١٠٤	زنبور (ابو علي) ١٨٠
الخليج = ابو طالب	الحسين بن حمدان ٢٨٧
خليل مردم بك ٣٦٦	حسين الخادم (المعروف بمرق الموت)
خمارويه بن احمد بن طولون (ابو الجيش)	١٤٤٤ ١٤٣٤ ٤٢٤٥ ١٤٤٤
٤١١٨ ٤٦٠٤ ٤٧٤ ٣٢٤ ٢٦٤ ١٣	الحصري ٣٠٧٤ ١٢٨
٤٣٠٩ ٤٢٩٨ ٤٢٨٦ ٤٢١٨ ٤١٨٤	الحسين بن مخارق الواقفي ٣٦٥
٤٣٣٨ ٤ ٣٣٧ ٤ ٣٣٦ ٤ ٣٣٣	ابو حفص بن ابي ثابت ٢٤٩
٣٥٦ ٤ ٣٤٩ ٤ ٣٤٥ ٤ ٣٤٠ ٤ ٣٣٩	الحلاج ٣٦٥ ٤ ٦
الخوارج ٤ ٢٩٢ ٤ ٢٥٣ ٤ ٨٩ ٤ ٥	حمد بن علي الأزدي ١٣١ ٤ ١٣٠
٣٠٧ ٤ ٣٠٦	حمدان (أو احمد) بن خاقان ١٠٦
خير الخادم (ابو صالح الطويل) ٣٤٠	الحنابلة ٧٣
٣٤١	حميد الأرقط ١٨٦
— د —	— خ —
الدارقطني ٢٥	خاقان الطرسوسي ٣٢٠ ٤ ١٥٢
داود بن كورة القمي الإمامي ٣٦٥	خديجة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
ابن الداية = احمد بن يوسف الكاتب	خديجة أخت محمد بن الفتح ١٧٣
ابن دشومة = عبد الله بن دشومة	الخزرج ٣٢٠
دعباش ٧٠	الخزرج ٣٢١ ٤ ٣٢
ابن دعباش = أحمد بن دعباش	خزرج بن احمد بن طولون ابو الكراديس
دعل بن علي الخزاعي ٩٥	٣٤٩
دعناج الحاجب ٥٥	ابن الخصيب = ابو احمد بن الخصيب
دوزي ٢٦٨ ٤ ٢٣٠ ٤ ٢١٣ ٤ ١١٩	خطاروش ٢٩٢ ٤ ٢٩١ ٤ ٢٩٠

ابو زرعة البصري ٩٣
 زكي محمد حسن ٢٠٠٤٠٢٠
 الزنادقة المانوية ٦٣
 ابن زنبور = الحسين بن أحمد
 الزنج ٢٩٤٤٨٤٤١٩
 الزنجاني (ابو عبدالله) ٣٦٥ ٣٦٦
 ابن اخت بن الزنقي ٢٤٠
 زياد المعدني (مولى اشهب) ٢٤٩
 ٣١٨٤٢٥٢٤٢٥١٤٢٥٠
 ابن زيرك = الحسن بن زيرك
 زينب بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
 — س —
 ابن أبي الساج ٣٢٠٤٣١٥
 سارة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
 صبيح شعراث = أحمد بن اسماعيل
 ابن السراج ٢٩٨
 سعد الفرجاني ١٨٩ ٤١٧٥٤٧
 ٣٣٣٤٢٢٤
 سعيد بن بطريق ٣٥٠
 سعيد (الحاجب) ٤١
 سعيد بن توفيل (ابو عثمان الطبيب) ٢١٣
 ٣٢١ ٤٣١٩ ٤٣١٥ ٤٣١٤
 ٣٢٣ ٤٣٢٤ ٤٣٢٥ ٤٣٢٦
 ٣٢٧ ٤٣٢٨ ٤٣٢٩

— ذ —
 الذهبي ٥
 أبو الذؤب الساعي ٢١٨٤٢١٧
 — ر —
 الراغب (الأصفهاني) ١٢٧
 الرائي ١٩٥ ١٩٦
 ابن الربيع ٣١٢
 الربيع (حاجب المنصور) ٣٠٨
 الربيع بن سليمان (صاحب الشافعي) ٢١٦
 ربيعة بن أحمد بن طولون (أبو المكرم)
 ٣٤٩٤٢٨٨٤٢٤٨
 رجاء بن يارجوخ ١٥٣
 الرشيد = هارون
 رشيق أخو سعد الفرجاني ٣٣٣
 الرماني ٣٤٣
 أبو روح = مكن
 الروم ٩٠٤٥٣٤٣٧٤٣٦٤٢٨
 ٩٨ ٤١٠٩ ٤١٣٤ ٤١٥١ ٤٢٤٨
 ابن الرومي ٢٧٧٤٢٧٢
 ربيعة ٣٤٧٤٣٤٦
 أبو ريشة = سليمان بن ثابت
 — ز —
 زبيدة ٧٨
 الزبيدي ١١٨

شجاع بن اسلم الحاجب (ابو كامل)
٢٠٨

الشراة = الطواوج

شعبة ابن خركام البابكي ٢٦٧ ٢٦٦
٧٢ ٤٧٠ ٤٦٩ ٤٦٨

ابن شعرة = حسن بن شعرة

شعيب بن صالح ١٣٠ ٤١٢٩ ٤٧
٣٣٤ ٤٣٣٣ ٤١٤٢ ٤١٣٣

شعير الخادم (صاحب البريد) ٤٤٣

٢٤٣ ٤٤٢ ٤٨٨ ٤٥٨ ٥٦٤ ٤٥

شمس الدين سامي ٥٢

شيبان بن احمد بن طولون (ابو المقانب)
٣٤٩ ٤٢٨٨

للشعبة ٣٦٦ ٣٦٥ ٤٦٣ ٤٥

— ص —

الصابئة (الصائبون) ٢٧٣

الصابوني القاضي ٢٤٩

الصابي ١٨٠

صاعد بن مخلد (ذوالوزارتين) ٢٩٣

٣٠٣ ٤٢٩٦ ٤٢٩٤

صالح بن احمد بن حنبل ٧٣

صالح بن علي ١٤٥

صالح بن محمد ٢٩٤

صالح بن يارجوخ ١٥٣

ابو صحبة (ضحية) ٤٤ ٤٤٣

سعيد الصغير (من قواد الموفق) ٣٥٤
٣٥٥

سعيد الغلام ٣٥٥

سعيد بن كاتب الغرغاني القبطي ١٨١

مكن (ابو روح) ٦٩ ٤٦٨ ٤٦٧

سلامة (جد الطحاوي) ٢١٧

سلم (بعض الشهود) ٨٠

سليمان (كاتب شقير الخادم) ٢٤٢
٢٤٣

سليمان بن ثابت (المعروف بأبي ريشة) ٧٣

سمانة اخت احمد بن طولون ٣٣

سمانة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

السمعاني ٣١٩

السنة ٣٦٦ ٤٣٦٥ ٤٢

السندي بن شاهك ١٩٦

سهل التاجر ٣٥٦

سوار الخادم ١٤٢ ٤١٤١ ٤١٣٧
١٥٩

ابن سيده ١٩٤

سيا الطويل ٩٥ ٤٩٤ ٤٩٠ ٤٨٩
٣٥٦ ٤٣٥٥ ٤٩٧ ٤٩٦

السيوطي ٢٩٩ ٤٢٠ ٤١٩٥ ٤٦٩

— ش —

الشافعي •

الطرسوسي (أبو العباس) ١٠٠٤٩٨	الصفدي ٧٣
١٢٣، ١٢٢	صفية بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
طنج بن جف ٢٨٨	الصقالية ٩٠
طغرغر ٣٣	الصليبيون ٣٧
ابن طلحة الوزير ٨٠، ١٨٤، ٢١٦	صندل المزاحمي ١٢٨
الطوسي (نصير الدين) ٢٤، ٣٦٦	صنم عين شمس ٢٨٨
طولون ٣٣، ٣٤	الصوفي (أو ابن الصوفي) = إبراهيم
آل طولون ١٦، ٢٥٤	ابن محمد
ابن طولون الصالحى = محمد بن علي	الصولي ١٥
الطويل = خير الخادم	ط —
الطويل = سجا	أبو طالب الخليج (صاحب شريطي ابن
طبيب بن صفوان ٢٩١	طولون) ٢٣٦، ٢٣٥
طيفور التبركي (خليفة ابن طولون بالحضرة)	الطاليون ٦٢، ٦٣
٦٠، ٦١، ١٠٩، ١٣٩، ٢٠٠	الطالقاني = القطان
١٥١، ١٦٧، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٥٥	طاهر بن الحسين ٣٣
ع —	طاهر الكبير الخادم ١٩٤، ١٩٥
عاد ٢٠٣	طبارجي ١٢٧، ١٢٨، ٢٢٥، ٢٦٤
عائشة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩	٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣
العباس بن أحمد بن طولون (أبو الفضل)	٣١٥، ٣٣٨
٢٣، ٢٥٤، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨	ابن طباطبا = أحمد بن محمد بن عبد الله
١٠٦، ١٥٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤	الطبري ٣١٧، ٣١٠، ٢٩٨، ٢٩٤، ٣٠٠
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨	الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة
٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥	طنخشي بن بابرده ١٣٣، ١٠٩، ٩١
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦	٣١٠
٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠	

١٩١٤٢١٩٠٤٢٧٧٤٧٦	٤٢٣١٨٤٢٨٦٤٢٧٦٤٢٧٢
عبد الله بن رشيد بن كاس ١٠٩	٣٤٩٤٣٤٢
عبد الله بن الزبير ١٤٦	أبو العباس بن خاقان ٣٣
عبد الله بن طغيا ٢٤٥	العباس بن علي ٦٣
عبد الله بن عبد الكريم ١٨٤	أبو العباس بن الموفق ٢٩٤٤٢٩٣
عبد الله بن الفتح ٤٢٣١٥ ٤٣٢٠	العباسيون (بنو العباس) ٢١٤١٩
٣٥٨٤٣٥٥	٢٩٠٤١٠١٤٣٦٤٣٧٤٢٦٤٢٢
عبد الله بن محمد بن محمد بن محفوظ	العباسة بنت أحمد بن طولون ١٥١
البلوي (أبو محمد) ٤٥٤٢٤٤٣	٣٤٩
٤٠١١٤٤١٠٤٩٤٨٤٧٤٦	عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي ٢٩٧
٤٣٠٤٢١٨٤٢١٥٤١٣٤١٢	عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن
٤٣٦٦٤٣٦٥٤٢٣٠٤٣٣	عبيد الله بن عمر بن الخطاب (أبو
عبد الملك بن صالح ٣٣	عبد الرحمن العمري) ٤٦٥٤٦٤
عبد الملك بن مروان ٢٦٧	٢٣٣٤٢٣٠٤٢٧٤٢٦٦
بنو عبيد ٧	ابن عبد ربه ١٧٧
ابن عبيد ٢٧٠	عبد الرحمن بن سلامة الشيباني ٣٠٠
عبيد الله بن خاقان ٩١	عبد الرحمن صاحب الغرب ١٠٣٤١٠٢
عبيد الله بن سليمان ٢٨٠	عبد الرحمن العمري (صوابه أبو
عبيد الله بن سليمان بن وهب ٨٧٤٧٩	عبد الرحمن = عبد الحميد بن عبد الله)
عبيد الله بن محمد العمري القاضي (بن	عبد العزيز (بن مروان) ٢٦٧
عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن	عبد القادر المبارك ٣٦٦
الخطاب = أبو بكر) ٢٩٤	ابن عبد كان = محمد بن عبد كان
٢٩٧٤٢٩٦	عبد الله بن إياض ٢٥٣
عبيد الله بن يحيى (الوزير) ٣٦٤٢٣٥	عبد الله بن بكير ٣٦٥
عقاب الجوهرى ٦٠	عبد الله بن دشومة ٤٧٣٤٢٧٤٤٧٥

علي بهجت ١٩٣	العثمانية (الدولة) ٣٧
علي ابن الحزور ٢٤٥	العجم ٣٥٤٣٤
علي بن الحسن بن شعيب المدائني ٢١٧٨	العجيني ٢١٨
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ٥	عدنان بن احمد بن طولون (ابو محمد) ٣٤٩
٢٥٨٤٢٥٣	عدي بن احمد بن طولون (ابو حبشون) ٣٤٩
علي بن طباطبا ١٩٩	العرب ١٨٤٤٣٦٤٣٥٤٣٢٤٢٠
علي بن عيسى بن الجراح (الوزير) ٤٣٤٧	عرق الموت = حسين الخادم
علي بن ماجور ٢٤٥٤٢٢٢٤٩٥٤٩٢	عزيزة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
علي بن محمد العلوي البصري الناجم	ابن عساكر ٢١٧٧٤١٧٦٤١٠٣
٣١٧٤٣٠١٤٢٨٢٤٨١٤٣٢	٣٠٧٤٢٩٦٤٢٩٤٤٢٥٤
علي بن مهاجر ٧	العسال الفسر = الحسن بن محمد بن احمد
علي بن يحيى بن ابي منصور ٣٦٣٤٣٥٨	ام ابي العشار = نعت
ابن عمار = احمد ومحمد بن اسماعيل	عقبة ٢٠٨
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥٥٤٣	ام عقبة الأعرابية ٢٠٩٤٢٠٨
٢٠١٤٢٠٠٤١٤٧٤١٤٦٤٧١	ابن العقبني ٢٣٩
٢٩٦	ام عقيل الأعرابية ٢٠٩
عمر بن صخر الطيب ٣٢٥	العلاء الطائي ٢٠٠
عمر بن عبد العزيز ٣٢٠٤١٤٦	العلوي البصري او علوي البصرة = علي
عمرو بن العاص ٢٠١٤٢٠٠	ابن محمد
عمران بن حطان ٣٠٧	علي بن احمد (ابو الجيش) ١٦١
عمران بن عصام العربي ٢٦٧	٢١٦٤٤٢١٦٣
العمري = عبد الحميد بن عبد الله	علي بن احمد الكوفي (ابو القاسم)
العمري = عبيد الله بن محمد	٣٦٥
ابن فضل الله	علي بن اسحق ٩٥
ابو عوانة ٥	علي بن اعور ٢٤٥

عياض بن احمد بن طولون (أبو ناهض)	ابن الفراء ٧٣
٣٤٩	الفراغة ٢٨٨
أبو عيسى (أخو المعتمد) ٢٩٠	فرعون ٢٠٣٤٥٦
عيسى بن إبراهيم بن نوح (أبونوح) ٤٣	ابن فضل الله العمري ٢٥٥٤١١٨
عيسى بن شيبخ ٢٥٤	القطحية ٣٦٥
عيسى بن شيبخ الخشاشي ١٧٥	فيليت ١٩٦٤١٩٠
عيسى الكرخي ٩٣	ق -
عيسى بن بارجوخ ٢١٥٤٤١٥٣	قاسم ١٧٤
غ -	قاسم (أم أحمد بن طولون) ١٧٤٤٣٣
غريرة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩	قاسم (أم محبوب بن رجاء) ١٧٤
غسان بن أحمد بن طولون (أبو المفوض)	القاسم بن شعبة (أبو محمد الفائد)
٣٤٩	٢٤٢٤٠٢٤١٤٢٤٠
ابن الغضائري ٣٦٥٤٤	القط (الأقباط ، الأمة القبطية)
القطريف (أبو الاسرد) ٢٧١٤٧٠	٢٠٦٤١٨١
الغزوي ٢٩٨	قبيحة (أم المعتز) ٤٤٤٢٤٠
ف -	أبو قبيل (وقيل) للملاحمي ٤٢
الفارسي ١١٨٤٧	قحطان ٣٠١٤٣
فاطمة بنت أحمد بن طولون ٣٥	ابن قراطغان = إبراهيم بن قراطغان
٢٤٩٤١٥٤	قريش ٤٠
الفاطميون ١٢٠٤٥٧٤٧	القصبص ٢٩٦
الفتح (أو فلاح) بن خاتان ٣١٠	(القصبصيون) ٩٦
الفتح بن بارجوخ ١٥٣	قضاء ٢٣
فخلة بنت أحمد بن المدبر ٦٠	القضاعي ٢٩٤٤٨٦٤٨١
أبو الفداء ٢٧٣	القطان الطالقاني (أبو جعفر) ٤١٣٤

— م —

ماجور (الافرنجي) ٥٨ ٥٥٢

٩٣ ٩٢ ٩١ ٨٦ ٨٥

المأذرائي = الحسين بن احمد

المأذرائيون ١٨٠ ٤٧٠

بنو مالك ٣٤٨

مؤمنة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

المأمون ٢٠٠ ٤٧٨ ٣٣

مؤنس الخادم ١٠٣ ٤١٠

الماتوية = الزنادقة

مبارك بن احمد بن طولون (ابو الفرج)

٣٤٩

المتوكل على الله ٨٠ ٤٤٥ ٤٤٠ ٤٣٣

٣٤٠ ٤١٤٨

المجنون (ابو نصر) ٢٠٤

محبوب بن رجاء (أبو الضحاك) ٩٢

٧١٣٢ ١١٣ ١١٣ ١١٣

١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥

٣٢٩ ٣١٨ ٢٤٧ ١٧٤

٣٥٥ ٣٥٣

محمد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم

٢٩٩ ٢٥٨ ١٢٥ ١٠٨ ٣١٤٥

٣٦١ ٣٥٦ ٣٥٥ ٣٥٣ ٣١٨

محمد بن آبا (القائد) ٣٣٨ ٢٨٦ ٢٤٨

محمد بن أتماش ١٠٣

١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥

١٤٠ ١٣٩

قطر الندي ابنة خماروية ١٥١

القفطي ٤٢

القلقشندي ٢٨٨ ٢٦٣ ٢٦٠

قبش ٤٠

ابن قيم الجوزية ١٩٣

— ك —

الكاظم = موسى الكاظم

كامل بن سعيد المتطبيب ٣٥٤

كرنكو ١٩٦ ١٢٠ ٦٣ ١٦

الكريزي = محمد بن عبيد الله

كعبور ٢٦٨ ٢٦٧ ٢٦٦

كندة بن احمد بن طولون (ابو شجاع)

٣٤٩

الكندي ٢٤٦ ٩٣ ٨٦ ٦٣

كنيز المغني ٢١٧

— ل —

لميس بنت احمد بن طولون ٣٤٩

لؤلؤ غلام بن طولون (ابو محمد) ٢٥

٢٧٠ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ١٠١

٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦

٢٧٧ ٢٨١ ٢٨٠ ٢٨٦

٢٨٧ ٢٨٨ ٣٠٢ ٣٠٦

٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩

محمد بن احمد بن طولون (ابو عبدالله) ٣٤٩	محمد بن علي بن احمد بن طولون الصالحى
محمد بن أحمد القسي الامامى ٣٦٥	الدمشقي ١٣
محمد بن احمد بن مودود (ابو جعفر) ١١٢	محمد بن علي بن محم (؟) الادنى ٨٩
محمد بن ازهر (وقيل ابن سهل) المعروف بالنتوف ٢٦٩، ٢٤٦	محمد بن علي الماذرائي (ابو بكر) ١٨٠
محمد بن اسحاق بن كنداج ٢٩٣، ٢٩١	محمد بن الفتح (ابو الفتح) ١٧٣
محمد بن اسماعيل بن عمار ٢٨١، ٢٨٠	محمد بن فروخ (أفروج) الفرغاني ٧٠
٢٩٠، ٢٨٥	محمد بن قرّهب (عالم طرابلس) ٢٥٤
محمد بن بشر العنسي ٣٠١	محمد كرد علي ٣٠
محمد بن الحسن الكاتب البغدادي ٢١٣	محمد بن محمد الجذوعي ٧٣
٣١٤	محمد بن موسى بن طولون (ابو جعفر) ٢٢٣، ٢٤٧
محمد بن الحسن الباني ٣٥٢	محمد بن هارون النغلي ٨٩
محمد بن داود ٨٦، ٢٤	محمد بن هلال ٢٥٩، ٤٣
محمد بن زبيدة (الأمين) ٧٨	ابن مدبر = ابراهيم بن مدبر
محمد بن ساجان (كاتب لؤلؤ) ٥٣	ابن مدبر = احمد بن محمد
٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٠، ٢٧٦	مراد (قبيلة) ٣٠١
محمد بن شاذان الجوهرى ٢٩٤	مروان بن الحكم الأردني ٣٠٦
محمد بن عبد الغفار ١٧٧	الروزي = اسماعيل بن عبد الله
محمد بن عبد كان (ابو جعفر) ١٠٩، ٧	الروزي (ابو جعفر) ١٨٤، ٧
١٠٩، ١١٢، ١٤٥، ١٤٧	١٨٧، ١٨٦، ١٨٥
٣٨٣، ٢٦٠، ١٤٨	صميم ٩٣
محمد بن عبد الله (أوعيد الله) الخراساني	مریم بنت احمد بن طولون ٣٤٩
الدهان ١٥٤، ٧	مساور الشاري ٨٩
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ٢٣٨	المستعين بالله ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩
محمد بن عبيد الله الكريزي ٥١، ٥٠	٩٣، ٤٨، ٤١، ٤٠

المستكني بالله ٢٨٨
المسعودي ١٨١
مسلمة بن عبد الملك ٧١
المصريون ٢٩٨، ١٩٦، ١٩٥، ٢١
أبو مصلح = موسى بن مصلح
مضر بن أحمد بن طولون (أبوالعشائر) ٣٤٩
ابن المطهر الحلبي (العلامة) ٣٦٥
مظفر بن أحمد بن طولون (أبو الفتح) ٣٤٩
معاوية بن أبي سفيان ٢٥٣
معقب بن مالك (من أجداد الحجاج) ٣٦٧
المعتز ٤٥٠، ٤٤٤، ٤٠٠، ٣٩
المعتصم بالله ٣٦٥، ١٩٦، ٣٣، ٣٢
المعتضد بالله ٣٣٨، ١٠٣، ٤٥٠
المعتدل على الله ٥١، ٢٢٤، ٢٦٤، ٧
٧٦٤، ٧٤، ٧٣، ٧٣، ٦٣، ٥٩
٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١
٨٩، ٩١، ١٠٩، ١٤٠، ٢٨٠
٢٨٦، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١
٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢
٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣
٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٦
٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٦، ٣٥٧
٣٦٣، ٣٥٨

هدى بن احمد بن طولون (ابو البقاء) ٣٤٩
ام الهدى بنت احمد بن طولون ٣٤٩
هرثمة ٣١٧
هشام بن عبد الملك ٧١
هلاكو ٢٦٦

- و -

الواثق ٣٣
الواثقة ٣٤٦
الواسطي = احمد بن محمد الواسطي
وصيف ٩٣٤٣٣
وصيف بن اخي اسحاق بن كنداج
٢٩٣٤٢٩١
ابن وصيف شاه ٣٥٠
وصيف اللاني (مولى القصبين) ٩٦
الوليد بن عبد الملك ٢٦٧
وهب بن منبه ٣٣٥

- ي -

يارجوخ ٢٧٤٢٥٤٣٥٤٢٤٦
١٥٣٤٥٩٤٥٨٤٥٧٤٤٧
يازمان الخادم ٣١٠٣١٠٣١٠٣١٢٤٣١٢
ياقوت (الروي) ٣٢٠٤١٨٠
ياقوت المستعصي ٣٥٠
يحيى بن بركة الحاسب (أبو زكريا)
١٦٥٤١٦٤

٣٣٤٤٣٣٢٤٣٣١٤٣٢٩
٣٤١٤٣٣٨٤٣٣٧٤٣٣٦
ابن النديم ٣٦٥٤٤
ابو نصر خادم العباس بن احمد بن طولون
٢٧٠
النصرانية ٤

نعت ام ابي العشائر ولد احمد بن طولون
٣٤٣٤٣٢٥٤٢١٢٤٢١٠٤٧
٣٤٧٤٣٤٦
نعميم (المعروف بأبي الذؤبب أو الذهب)
٢١٣٢٤١٣٠٤٧٣
النفوسمي = الياس بن منصور الزناتي
نفيس الطباخ ١٤١
نوح بن اسد (عامل بخارى) ٣٣

- ه -

هارون بن أبي الجيش خمارويه بن احمد
٣٠٩٤٢٨٨٤٥٣
هارون الرشيد ٣٣٣٦٤٤٤٧٧
٧٩٤٧٨
هارون الشاري ٢٩٢
هارون بن محمد العباسي (والي مكة) ٢٩٨
هارون بن ملول ٢١٦٤٢١٤٤٧
بنو هاشم ٤١
هاشم (طبيب الحرم) ٣٢٤٢٢٥٤
٣٢٦

يزبك الفرغاني ٢٧٠	بليق الطرسومي (القائد) ٣٢٠٤٦٨
ابن يزداد (القائد) ٦٣	ابو يوسف (الامام) ٤٤
يشكر ١٨٢	يوسف بن ابراهيم (والد ابن الداية)
يعقوب بن اسحق (ابو يوسف الكاتب)	٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠
٤٢ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤	يوسف بن ابراهيم التتوخي (المعروف
١٦٧ ١٦٥ ١٦٤	بالقصيص) ٩٦
يعقوب بن صالح (صاحب العجيني	يوسف العش ٣٦٦
أو غلا ٢٢٠ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠	أبو يوسف الكاتب — يعقوب بن اسحق
اليعقوبي ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧	اليونانية ١٩٦
بليخ ٧٣٤	

فهرس أسماء البلدان والبحار والامكان

أنطاكية ٣٦٨٩٤٢٩٤٢٩٥٤	- ١ -
٩٦٤٣٤١٣٠٠٢٩٦٢٩٠٤	آسيا الصغرى ٣١١
٣١٢٣١٣٤٢٣١٥٠٤	الاحمدى (قصر) ٢٩٣
الأهرام ٢٠٢١٩٥٤١٩٦٤	انجيم ٢٦٣
لون ٢٨٨	أذنة ٣٦٤٣٧٤٢٣٠٤٢٣١٠٤
- ب -	٣١١٢٤٢٣١١
باب البحر ٣١٠	الأردن ٥٠٤٦٠٤٢٩٧
باب الجبل ٥٤	إرمينية ٥١٢٤٠٤
باب الجهاد ٣١٠	الاساكفة ١٨٠
باب الخاصة ٥٣٤٠٤	أسفل الأرض = الوجه البحري
باب الدرمون ٥٤٠٥٥	الاسكندرونة ٣٦
باب الساج ٥٥	الاسكندرية ٤٢٤٢٤٦٤٢٤٧٤٨٤
باب السباع ٥٥٢٠٥٦	٥٥٢٤٦٢٧٤٦٠٢٤١٦٤٤
باب الشرطة ٥٣	٢٤٨٢٥٦٤٢٦٠٤٢٦٢٤
باب الصلاة ٥٥	٢٦٤٢٢٧٤٢٩٧
باب الصوالة ٥٤٤٠٥٦	إسنى (اسنا) ٦٣
باب فارس ٩٥٤٩٦	أسوان ٦٣٤٦٥
باب الميدان ٥٤	اسيوط ٥٧٤٦٤١١٨
باضع ٦٤	أطنه ٣١١
البحر الاحمر = بحر القلزم	الأشمونين (اشمون) ٦٤٢
بحر الخزر ٣٢٠	إفريقية ٤٧٢٥٣٤
بحر الروم ٣١٦	أنشاص ١٠٢

١٩٣ بولاق	بجر القلزم ٢٠١٤٦٥
٣٦ يباس	البحر المالح ٦٤
٣١٣ بيعة القسيان	البحر المحيط ٢٣٠
٢٣٥٠٤١٨٠ البيارستان (المارستان)	بجيرة الاسكندرية ٦٧
— ت —	بجاري ١٥٥٤٣٣
٣٦ تكريت	البدري (؟) ٦٢
٥٦ قنور فرعون	بذ ٢٦٥
١٣٤٠٥٧ قنيس	البردان (نهر) ٣١١
٢٥٣ تونس	برقة ٦٢٤٤٦٤٢٥٤٢٣٤٢١
— ث —	٢٤٨٤١٥٤٤١٠٢٤٢٧٠
٣٥٤٢٨٤٢١٤١٩ الثغور (الثغر)	٢٧٢٤٢٧٠٤٢٦٧٤٢٥٥
٧٤٤٧٣٤٤٧٤٣٧٤٣٦	بركة الحبش ٣٥٠
٤٩٧٤٩٢٤٩١٤٩٠٤٢٨٩	بستان عرق ٢٠٠
٢٤٥٤٢٤٤٤٤١٩٥٤١٨٣٤٩٩	البصرة ١٨٠٤٢٨٤٤٢٧
٤٣١١٤٣١٠٤٢٩٦٤٢٦٣	بغداد (دار السلام) ٢٢٤٢١٤١٨
٣٥٣٤٣٥١٤٣٤٢	٢٥٤٢٦٤٣٣٤٢٦٤٣٦٤٣١
— ج —	٤١٨٤٤١٨٠٤١٣٤٤٦٠٤٥٩
٤٢١٨٠ الجامع (جامع ابن طولون)	٢٩٩٤٢٨٨٤٢٣٩
٣٥٥٤٢٥٠	بغرامس ٣٦
١٩٣ جامع اولاد عنان	بلاد البيجة ٦٤
٢٨٠ الجب	بليس ١٠٢٤٥١
٣٣٤ الجبل (في بلاد فارس)	ناخ ١٥٥
٢٥٥ جبل نفوسة	البلاد المصرية = مصر
٢٠٠٤١٨٢ جبل يشكري	عبي ٣٦٥

١٥١٤١٤٣٤١٤٢٤١٠٨٤١٠٧	جرجا ٦٣
٣٠١٤٢٨٩٤٢٨٨٤١٥٤٤١٥٢	الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ٣٦٤٢٦٤٢١
٣٥٠٤٣٠٥	٣١٥٤٢٩١٤٢٧٣٤٢٦٣٤١٠١
٢٩٩ حلب	الجزيرة (جزيرة مصر) ٣٥١٢٨٧٤٢٨٦
٦٥ حلفا	الجفار ٣١٦
حلوان ١١٨	الجوسق ٢٩٣
حمامان للمارستان ١٨٠	الجزيرة ٣٦٤٧٢٢٠٣٤١٠٣٤١٠٣
حمص ٣١٠٤٢٩٦٤٢٩٣	١٣٣٤١٨٩٤١٩٠٤١٩١
حوض ابي قديرة (حارة) ٥٣	٢٦٧٤١٩٥
- خ -	- ح -
خليج امير المؤمنين ٢٠٠	الحبش ٦٤
- د -	الحبشة ٦٤
دار ابي احمد بن الخصب ٢٩٤٤٢٩٣	الحجاز ٢٦٣٤٤٤٣
دار الديوان ١٨٠	الحديثة ٢٩٥٤٢٩١
دار السلام = بغداد	حوران ٢٧٣٤١٠٣٤١٠١
دار الكتب الظاهرية ١٣	الحرمان ١٨٤٤٢١
دار هرثمة ٣١٧	الحزبة (الخربة) ٦٤
ديبج ٥٧	حصن أنطاكية ٢٠٠
ديق ٤٥٧	حصن بركة ٧٠
دجلة ٢٩٣٤٢٧٣٤٨٩٤٣٦	حصن الجزيرة ٣٥١٢٨٧٤٢٨٦
الدر ٦٥	حصن الفرما ٣١٦
دمشق ٦٠٤٢٥٢٤٣٠٤٢٨٤٢١٣	حصن منصور ٢٧٣
١٧٥٤١١٣٤١٠٣٤٢٩٣٤٩٢	حصن يافا ٣٥١٤١٨٤
٢٩٦٤٢٩٥٤٢٩٤٢٨٩	الحضرة ٣٣٤٦٠٤٥٩٤٥٧٤٢٦٠

- ٣٩١ -

رجبة مالك بن طوق ٢٩٩	٣٥٠٤٣١٥٤٣١٠٤٢٩٩٤٢٩٧
الرقعة ١٠١٤٨٧ ٢٢٧٣	دمياط ١٣٤٤٥٧
٣١٥٤٣٠٥٤٢٩٩	دهلك ٦٤
الرقتان ٨٦	الدواليب ٢٩١
الرملة ٢٨٧٤٩٢	دور الماذرائيين ٧٠
الرثاها ٢٧٣	ديار بكر ٢٧٣
	ديار ربيعة ٢٧٣
- ز -	الديار المصرية = مصر
الزقازيق ١٠٢	ديار مصر ٢٨٨٤٥٢٧٣٤١٧٣
زنجبار ٢٥٣	الدمارس (?) ١٠٢
- س -	دي حي (?) ٢٦٦
سر من رأى (سامرا) ٣٦٤٣٣	دير القصير ٤١١٨
٤١ ٢٤٢٤٢٠٤٦٠٤١٥٠٤١٦٧	دينار (مقل) ٢٦٦
٣٥٥٤٢٩٦٤٢٩٣٤٢١٧	ام دينار ١٩٠
سروج ٢٧٣	التينور ٣٣٤
السقاية ١٨٠	ديوان الانشاء ١١٢
ابو سنبل (قرية) ٦٥	ديوان التصفح ١١٣
السنبلادين ٥٧	
سواكن ٦٤	- ذ -
سوق الجهاز ٣٣٤	ذات الساحل ١٩٠
سوق الدواب ٥٥٤٥٣	- ر -
سوق الرقيق ١٨٠	رأس ابو فاطمة ٦٥
سوق الطبائخين ٥٤	الرافدان ١٩ = دجلة والفرات
سوق الميارين ٥٣	الرافقة ٢٧٣

١٨٠ الصهرنج	سوق الفاميين ٢٥٤
١٨٤ صور	مهراماط (?) ١٣٠
- ط -	سيس (Mopsueste) ٣١٠
طبرستان ١١٩	- ش -
طبرية ١١٩	شارع الجراء ١٣٣٤١٢٤
طرا ١١٨	الشام (الشام) ٢١٤٢٠٤١٥٤٢٣
طرابلس (أطرابلس) ٤٢٥٣٤٢٣	٤١١٩٤١٠٣٤٢٩٢٤٧٤٤٤٣٤٢٦
٢٦٢٤٢٥٥٤٢٥٤	٢٦٣٤٢٤٦٤٢٣٠٤١٧٨٤١٥١
طرسوس ٤٢٣٧٤٢٣٦٤٢٣٥٤١٩	٤٣٠٠٤٢٨٨٤٢٨٧٤٢٨٦
٣٨ ٤٧٤٢٣٤٤٩٤٢٤٧٤٢٣٨	٣١٧٤٣٠١
٢٩٨٤٩٧٤٢٩١٤٢٩٠٤٨٩٤٨٧	الشامات ٢٤٥٤٢٥٢٤٢٥٠٤٢٤٣
٤١٨٣٤١٥٤٤١٤١٤٢٢٤٢٩٩	٣٤٢٤٢٦٣
٤٣١١٤٢٣١٠٤٢٢٣٤١٨٤	الشرق ١٠٢
٣٥٢٤٣١٢	الشرقية (مديرة) ١٠٢٤٥١
طهران ٣٦٥	شمشاط ٢٧٣
- ع -	شهران (قربة) ١١٨
عبادان ٣٥٣	شهرزور ٣٣٤
العباسة ١٥١	- ص -
عدن ٦٥	الصالحية ٥١
العراق ٤١٠١٤٨٤٤٧٦٤٧٣٤٣٨	صالحية دمشق ١٣
٤٢٨٨٤٢٨٧٤٢٧٨٤١٠٧٤١٠٦	الصعيد (اعلى الارض) ٦٢٤٤٦
٤٣٤١٤٣٠٠٤٢٩٩٤٢٩٨	٢١٧٤٢٨٧٤٢٦٧٤٢٦٥٤٢٦٣
٣٥٦٤٣٤٢	الصعيد الاوسط ٢٣٠
	صهارنج الامير ١٣٤

٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣	٢٩٨ صرفات
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦	العريش (عريش مصر) ١٩٤ ، ٢٨١
٢٩٧ ، ٦٠ ، ٥٠ فلسطين	٢٢٥ ، ٢١٨
١٠٣ ، ١٠٢ الفيوم	١٨٤ عكة
— ق —	٢٥٣ عمان
٢٨٨ ، ١٩٣ ، ٥١ القاهرة	٢٩٦ ، ٢٦٣ ، ٣٦ ، ٢١ العواصم
٢٨٧ ، ٢٠١ قبة الهواء	٦٥ عيذاب
٣٣٤ قريسين	٣٥٠ ، ٣٤٥ ، ١٨٠ ، ٥٦ العين
قردصو Cydnus = البردان	٢٣٥٣
٣٤٢ ، ٢٨٨ القصر (قصر بني طولون)	٥٦ عين أبي ابن خليف
١٧٥ قصر عيسى بن شينخ الخشائي	٢٨٨ ، ١١٧ ، ١١٦ عين شمس
٢٨٨ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٢٠ القطائع	— غ —
٣٤٤	١٠١ ، ٨١ ، ٦٣ الغرب (المغرب)
٦٣ قنا (مديرية)	٣١٨ ، ٢٩٩ ، ٢٤٤ ، ١٠٢
٢٩٦ ، ٢٦٣ ، ٩٦ ، ٣٦ قنسين	٤٤ غزنة
٦٤ قوص	٢٤٤ الغور
٢٥٤ القهروان	٤٤ الغور
١٨٠ القيسارية	٩٣ الغوطة
٥٣ قيسارية بدر (القيسارية الوفاية)	— ف —
٨١	٢٩٩ ، ٢٧٣ ، ١٠١ الفرات
— ك —	٣١٦ الفرما (الفرما)
٢٠٠ الكبش	٨٦ ، ٧٢ ، ٦٣ ، ٤٢ الفسطاط
٩٣ كنيسة مريم	١٦٤ ، ١٣٠ ، ١١٨ ، ١٠٢
٣١١ ، ٣٧ (Cilicie) كيليكيا	٢٠٦ ، ٢٠١ ، ١٩١ ، ١٩٠

- ٣٩٤ -

١٠٢٤١٠١٤٩١٤٩٠٤١٨٦
١٣٤٤١٢٨٤١١٨٤١١٢٤١٠٣
٤١٥١٤١٤٨٤١٤٣٤١٤٢
٤١٧٥٤١٧٣٤١٦١٤١٥٦
٤١٩٠٤١٨٩٤١٨٤٤١٨٠
٤١٩٩٤١٩٦٤١٩٥٤١٩٤
٤٢٣٥٤٢٣٠٤٢١٧٤٢١٦
٤٢٤٩٤٢٤٧٤٢٤٦٤٢٤٥
٤٢٧١٤٢٦٧٤٢٦٣٤٢٥٥
٤٢٨٩٤٢٨٨٤٢٨٧٤٢٨١
٤٣٠٥٤٣٠٠٤٢٩٧٤٢٩٠
٤٣١٦٤٣١٥٤٣١٣٤٣١٠
٣٥٥٤٣٥٣٤٣٥٠٤٣٤٢٤٣٣٠
المصيصة ٣٦٤٣١٠٤٣١٢
الطربة ٢٨٨
المعافر ١٢٩٤١٨٠٤٢٠٤٣٤٣
٣٥٣٤٣٥٢٤٣٥١٤٣٥٠٤٣٤٥
المعشوق (قصر) ٢٩٣
المعرة (معرة النعمان) ٩٦
المعصرة ١١٨
المغرب = الغرب
القدس ١٩٣
المقطم (جبل) ٢٠٠٤٥٤
مكة (المكرمة) ٦٥٤١٥٤
٣٥٩٤٢٩٨٤٢٦٣

- ل -

لؤلؤة ٢٩٠

لبنة ٢٥٥٤٢٥٣

- م -

ماذرايا ١٨٠

المارستان = البيمارستان

المدرسة العصرية ١٣

المدينة (النورة) ٢٩٦٤٢٦٣٤٦٣

مدينة السلام = بغداد

مرسين ٣٧

مرعش ٣٦

مريس (مريسة) ٦٥

مسجد الأقدام ٣٥٣

مسجد عبد الله ١٤٩

مشتول ١٠٢

مشتول السوق ١٠٢

مشتول الطواحين ١٠٢

مشتول القاضي ١٠٢

مصر ٢٠٤١٩٤١٥٤٩٤٧٤٢٣

٢١٤٢٢٤٢٥٤٢٦٤٢٧

٢٣٣٤٢٤٢٥٤٢٦٤٢٧

٢٤٢٥٤٢٦٤٢٧٤٢٨

٢٥٢٤٢٦٤٢٧٤٢٨

٢٦٣٤٢٧٤٢٨٤٢٩

٢٧٤٢٨٤٢٩٤٣٠

النيل ٤١٠٢٤٨٦٤٦٥٤٦٣٤٢٧٤٩	المنامة (المنامة ؟) ١٨٧
٤٢٠٠ ٤١٩٣ ٤١٣٤ ٤١١٨	المنامة ١٣٤
٢٨٧ ٤٢٣٠ ٤٢٠١	منية الأصبح ٣٣٠
— ه —	منية مال الله ٢٧٣ ٤١٥١
هـ ٤٤	الموصل ٢٩٥٤ ٤٣٩١ ٤٢٧٠ ٤٨٩
همدان ٣٣٤	الموقف (بصر) ٣٣٤
هيليوبوليس ٢٨٨	الموقف (بكرة) ٢٩٨
— و —	الميدان ٤١٢٤ ٤٨٠ ٤٥٥٨ ٤٥٤ ٤٢٠
الواحات ٦٣	٤٢٢١ ٤٢٠٦ ٤١٦١ ٤١٥١
وادي النيل ٢٧	٤٣١٦ ٤٢٦٩ ٤٢٦٨ ٤٢٣٥
واسط (القصب) ٧٣ ٤٤٠ ٤٢٣٩ ٤٢٤	٣٥١ ٤٣٤١ ٤٣٣٥ ٤٣١٧
الوجه (في الجواز) ٣	— ن —
الوجه البحري ٨٧	النهر الأسود = البردان
— ي —	لهيبين ٢٩١
يافا ٣٥١ ٤١٨٤	النوبة ٦٥ ٤٥٣

فهرس الموضوعات

٥٦	قصر اس طولون	٣	مدخل الكتاب — المؤلف وتأليفه
٥٦	الوثايات باس طولون الى بغداد	١٣	اصل المخطوط
٥٧	ارساله الهدايا الى ارباب المكاثة في الحضرة	١٦	راموز طرة الاصل المخطوط
٥٨	اهلاك اس طولون لاحد اعادته بالحر والجبر	١٧	راموز الصفحة الاخير
٥٨	حسن حيلته في ارضاء حكومة بغداد	١٨	احمد س طولون بتصور البلوي
٦٠	حس حيلة وكيله في دار السلام	٣١	فائمة الكتاب
٦٢	خارج على اس طولون بين برقة والاسكندرية	≡	سبب التأليف
≡	خارج آخر في الصعيد	٣٢	طريقة المؤلف في تأليفه
٦٤	ناثر آخر في بلاد البجة	≡	قصة العباسيين بالانراك
٦٧	خارجي في الصعيد	٣٣	مصر على عهد العباسيين
٧٠	هياج اهل برقة	≡	أصل طولون والد احمد
٧٢	تقليد اس طولون الحراج والمعونة بمصر والثغور	٣٤	أولية أحمد بن طولون
٧٣	مدح وفد مصر لاس طولون	٣٦	غرام الخليفة بالطرافت الرومية
≡	تديره الحراج واسقاطه المعاون	٣٧	طورا احمد بن طولون بالشجاعة والنجدة
٧٦	عثور ان طولون على كنز	٣٨	عجة الخليفة لاحمد بن طولون
٧٧	مصير ابن دشومة	٣٩	خلم المستعين وتسليمه لاس طولون
≡	اتقسام الدولة العباسية شطرين	٤٠	امتناع اس طولون من قتل المستعين
٧٨	ضعف الخليفة وتشاغله بلذاته	٤١	كيف قتل المستعين
≡	استطراد في فضل المأمون على الأُميين	٤٢	مبدأ سعادة اس طولون بتوليته مصر
٧٩	ارتناك الموفق وإضافته	٤٣	عمال مصر عند دخول اس طولون
٨٠	رسول الموفق الى ان طولون وتحذير المتمتدله	≡	دهاء اس طولون وماعمله لظهوره بمظهر العظمة
كتاب احمد بن طولون الى الموفق يهدده		٤٦	تشيت ابن طولون في اماره مصر
ويشوعده		≡	طلب موسى بن طولون ولاية الاسكندرية
٨١	ارسال الموفق الهال للضرب على ايدي	٤٨	اغتيال ابن طولون بولاية مصر
ابن طولون واستعداد هذا وتصنعه		مطالبة موسى بن طولون بوعد اخيه وضربه	
٨٥	ابن طولون واستعداد هذا وتصنعه	٤٨	مقارع بيد احمد
٨٨	قضاء ابن طولون على اعدائه	٥٠	توثب ابن شيخ على فلسطين والأردن
٨٩	اختفاق من عيبتهم بغداد لحفظ الثغور الشامية	٥١	مبدأ قوة ابن طولون بالاكتار من الجند
٩١	تقليد الثغور لاس طولون	سرباء القطائم والقصور والاسواق وامتداد	
٩١	هلاك اعداء اس طولون	٥٢	المران

١٤٥	صفقات بنى عمال ابن طولون	٩٢	استبعاة اسراء الشام
١٤٦	فصاحة محبوب بن رجا	٩٦	مفاوضته سيما الطويل وطبيعة ابن طولون
١٤٨	انتقام ابن طولون من كان يئال منه	٩٥	مقتل سيما الطويل
١٥٠	صديق لاس طولون يتقلب عليه ويريد قتله		دخول ابن طولون طرسوس ورجوعه عنها
١٥٣	معاملة لاولاد حميه	٩٧	لاسياب سياسية
١٥٤	مقتل خراساني بيد من هناك الخراساني عرضة	٩٨	احسانه لاهل طرسوس واجتماعه ببعض النساء
١٥٦	قتيل التيد وذكاء ابن طولون	١٠٠	طريقته في ضبط المجالس وتقل الكلام
١٥٩	الخطيب الموعود بالقوة ومكافأته	١٠١	مثال من حزمه والتظهير بينه وبين غيره
١٥٩	كشف ظلامه اسراء	١٠٣	القبض على موسى بن اناش وهو في صميم جيشه
١٦١	صبيحة نصراني لابن طولون	١٠٦	تفضيله المصريين في الاستخدام على العراقيين
١٦٤	سجين ابن طولون يتم ثقافته في الحبس		و كيل ابن طولون في بغداد وحيلته في
١٦٨	اسراء تبيكي زوجها لسرقه عليها	١٠٧	الانتقام بالعدو
١٧٣	وزير لجأ الى ابن طولون ثم شط عليه	١٠٩	ملك الروم يطلب الهدنة
١٧٥	القضاء على ابن مديبر	١١٠	عزوف ابن طولون عن النساء
١٧٨	مثال من تشدد ابن طولون مع الرعية	١١١	معض اخلاق ابن طولون وعاداته في ادارته
١٨٠	بعض صدقات ابن طولون ومصانعه وآثاره	١١٢	تدقيقه في الرسائل الصادرة عنه
١٨١	مهندس صراني يعنى لابن طولون عيناً وجامعاً	١١٣	شدة ابن طولون على اقرب الناس اليه
١٨٣	بعض افعال ابن طولون الجميلة	١١٤	توفر ابن طولون على كشف اسرار صحابته
١٨٦	عطف ابن طولون على حفظة الكتاب العزيز	١١٥	غرام ابن طولون بالتجسس على الناس
١٨٩	تمار الخيزاوي المتظلم	١١٨	ابن طولون وورهبان القبط
١٩٣	الصياد قاتل الذهب	١١٨	تجسس ابن طولون على احد اصحابه
١٩٤	الحمام الهدادي وشكر ابن طولون للنعمة	١٢٢	اهتداء ابن طولون للجواسيس عليه
١٩٤	الحث عن الكثرة وتشدد ابن طولون	١٢٤	معرفة الجواسيس بالنظر في لباسهم
١٩٤	في عيار الذهب	١٢٥	جاسوسان على ابن طولون
١٩٧	اطعام ابن طولون وعطفه على شيخ فقير	١٢٨	النساء الصائمات والجاسوسان
١٩٨	ابن طولون يطوي الصدقات لطالبها	١٢٩	المتلاعب من رجال ابن طولون
١٩٩	وإثناء البيوتات	١٣٠	كشف ابن طولون للقتيلة
٢٠١	شفقة على اهل مصر وبعد عن اذام		اهتداؤه لمن يفر منه
٢٠١	سكران اقذته فصاحته من بطش ابن طولون	١٣٣	الجاسوس الصادق الشريف
٢٠٣	المجنون الساقل مع ابن طولون	١٤٠	خيانة وكيل ابن طولون ومصيره
٢٠٥	امره لمصاحب شرمته بالشد واللين	١٤٢	استخدامه الصادقين

- ٢٥٥ تألم ابن طولون من الخالة التي اداها اليها ابنة
٢٥٦ كتاب العباس لايه
٢٦٠ كتاب احمد بن طولون لابنه العباس
٢٦٢ فشل عصيان العباس
٢٦٦ أسر العباس وحمله الى أبيه متقيداً
عودة الحملة الى مصر وقتل العباس رجاله
٢٦٨ يده وعفو الأمير عن اثنين
٢٧٠ قريح ابن طولون لابنه وضربه يده
ماتة مرقرة
٢٧١ انتقال طباع ابن طولون من البذل الى البخل
٢٧٢ تكر غلام ابن طولون لمولاه
٢٧٣ كبس الذهب وطمع صاحبه
استثمان لؤلؤ للموفق ومنفط ابن طولون
٢٧٦ على كلب لؤلؤ
٢٧٧ كتاب ابن طولون لؤلؤ يده ويذكره
٢٨٠ كشفه الاسرار من حمام الزاجل
سعي ابن طولون لاقتناع الخليفة ان
٢٨٠ يقصد مصر وكتابه اليه
استنصاح ابن طولون رجلاً عظيماً كان
في حبسه
٢٨١ غمط ابن طولون حقوق الكتاب واحتقارهم
٢٨٥ انصراف ابن طولون الى الشام لقاء الخليفة
٢٨٦ قصة الصم الذي اجبته والامة يتقدون فيه
٢٨٨ موافاة ابن طولون دمشق لا انتظار الخليفة
٢٨٩ ارجاع المعتد من شخصه الى الشام
٢٩٠ رجوع المعتد الى سر من رأى
٢٩٣ خلم الموفق في مدينة دمشق ووثيقة خلمه
٢٩٤ شهادة القضاة على كتاب الخلم
٢٩٦ تلاعن الموفق واهمدين طولون من النار
٢٩٨ شعراء الشام يحسون لاقتاذ الخليفة
من اخيه
٣٠٠
- ٢٠٦ عقاب قائم اعتدى على راهب قبطي
٢٠٨ عناية ابن طولون بأسطوله
أعرابية ابت ان يكون ابنها جاسوساً
٢١٠ نجس ابن طولون على رجال قصره
قصة الثراب سارق الذهب
٢١٢ عزوف ابن طولون عن احدى زوجاته
تأديب ابن طولون لابنه العباس
٢١٤ حقوة منتعل التصوف على قحته
المبسط مع ابن طولون وذهاب نعمته
٢١٧ تاجر آثر أن يموت في السجن مع معامليه
٢١٨ هارة يوسف بن ابراهيم في التخلص من
ابن طولون
٢٢١ الخندام الثلاثة الا ذكيا
٢٢٢ قول ابن طولون: الجاسوسية صناعة رديئة
كشف ابن طولون جاسوساً من بكتته
٢٢٦ افراط ابن طولون في اهلاك من نالوا منه
أعرابي اراد ان يغدي صاحبه بماله ودمه
٢٣٠ صدق سجين نجا باخلاصه
٢٣٢ شفاعة جماعة في منعم عليهم
٢٣٧ تناخي رجل عن مقابلة المعروف وماعمله
٢٤٠ رجل سعى بأبيه فقتله ابن طولون
٢٤٢ (اخبار العباس بن احمد بن طولون)
خروج العباس على أبيه
٢٤٤ جماعة العباس بن احمد بن طولون
٢٤٥ منزلة الواسطي من ابن طولون وماعمل
العباس لاهلاكه
٢٤٦ خروج العباس على أبيه الى برقة
٢٤٨ ماأخذ العباس من مال مصر ورجالها
٢٤٨ استرضاء ابن طولون ابنة وارسال وفد اليه
٢٤٩ فشل العباس وهزيمته في إفريقية وبرقة
واقتضاره بنفسه
٢٥٣

- ٣٣٧ غدر الواسطي بعد وفاة ولي تمت
٣٣٨ وصية ابن طولون لابنه ابي الجيش
٣٣٩ وصيته لقواده وغلزائه
٣٣٩ وصيته لابي الجيش أيضاً
٣٤٠ نزوة ابن طولون
٣٤١ عنايته بسور قصره وهو مريض
٣٤٢ وصيته لابنه العباس
٣٤٣ إشرافه على الآخرة وموته
= ترتيب جنازة احمد بن طولون
٣٤٦ ماتم اقامته الواتمية
= شر ابن طولون بالتركية
٣٤٧ مبلغ سته
٣٤٨ الأصوات التي كان ابن طولون يختارها
٣٤٩ اولاد احمد بن طولون
= تركه =
٣٥٠ تقائه على مصانعه وصداقاته
٣٥٢ منامات رؤيت لابن طولون تبشر بجهنم
٣٥٦ لباسه واقتصاده
٣٥٧ وقع نعمي ابن طولون في المتمدن وحزنه عليه
= = = في الموفق وتقديره
٣٥٨ لصفاته النثر
٣٦٣ ما حمله ابن طولون الى المتمدن
= الرضاء العام في بلاد ابن طولون
٣٦٥ استدراك
٣٦٦ خاتمة اللطاف
٣٦٧ فهارس سيرة احمد بن طولون
٣٦٨ فهرس مراجع التصحيح والتعليق
= أسماء الرجال والنساء والأسم والجملات
= = البلدان والبحار والامكن
٣٨٨ = الموضوعات
٣٩٦
- ٣٠١ التحاق لؤلؤ غلام ابن طولون بالموفق
الرجوع عن اللعن في بلاد الشرق وبلاد
٣٠٢ ابن طولون
٣٠٥ خيانة لؤلؤ وتفضيل الخارج والريبع عليه
٣٠٨ صير لؤلؤ
(سبب موت احمد بن طولون)
ما جرى لابن طولون مع يازمان
ورجوعه منقطعاً محققاً
٣١٠ بدء علة ابن طولون ورجيله الى مصر
وما وقع له مع طيبة
٣١٢ تويسته للقاضي بكار لا متاعه عن خلق الموفق
عقوبة من استصغر امره وزهده في تجارة
كانوا حسنوها له
٣١٧ شكوى طيبة من استبداده وعدم
سماعه نصائحه
٣١٩ محاولة قائدين الاعتداء على بلاد تمد
من عمل ابن طولون
٣٢٠ محاورته ابن طولون مع اطيائه واهلاكه
طيبة الخالص
٣٢١ الطبيب المتبحر الذي اختير للحرم
٣٢٣ ثقة ابن طولون بديال وزهده في
اشارة الاحباء
٣٢٥ محاورته مع ابن توفيل وضره اياه وقتله
٣٢٨ اطلاق ابن رجاء من محبسه ورد مال عليه
٣٢٩ طلب ابن طولون دعاء الرعية له
٣٣٠ رسوله الى القاضي بكار وما كان منه
٣٣١ جاسوس الموفق على ابن طولون
٣٣٣ كم الانواء عن التكلم في ابن طولون
الى آخر أيامه
٣٣٤ اطلاقه رزق سنة لجيشه
٣٣٦

— ٤٠٠ —

نصائح

هذا وقد ورد في الصفحة الـ ١٢٨ هذه العبارة « ولا أميُّ إليه وأناثره » وهي
كذلك في الاصل إلا أنها من غير نقط ، وقد رجح عندنا أن تكون هكذا :
« وآلا أميُّ إليه وأن أبرّه » .

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية